جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل. كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن

التَوْظيفُ القُرآنّي لآيَات الْأَيَّامِ واللَّيالِيّ

(دِراسةٌ موضوعية)

رسالة قَدَّمَتْها

الطالبة

بشرى ياس خضير عناد

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بابل
وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن

بإشراف

أ.م.د. رياض حمود المالكي

صفر،1444هـ أيلول،2022م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة سبأ:١٨

الإهـداء

إلى ضيــاء أيامي ونور لياليَّ

(أبي)

إلى القلب الناصع بالبياض

(أمي)

إلى أول نجم سطع في طريق دراستي

إلى مصدر قوتي

إلى الحاضر معي دوماً

إلى الذي لا يموت بداخلي

شهيدي

(إحسان ياس خضير)

18 مايو2004

شكرٌ وعرفان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم [7]، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لهذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، إلهي أَحْمَدُكَ ، وَأَنْتَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ ، عَلى حُسْنِ صَنِيعِكَ إِلَيَّ، وَسُبُوغِ نَعْمائِكَ عَلَيَّ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وعجل فرجهم.

ثم أشكر من أسدى لي المعروف، وقَدَّمَ لي العونَ في إتمام هذا العمل والشكر موصولاً لأستاذي المساعد الدكتور: رياض حمود المالكي ولأعضاء لجنة المناقشة الكرام على تفضلهم بقبول مناقشة رسالة الماجستير هذه. ولا يفوتني أن أشكر تلك القلوب النقيّة التي وقفت معي ورفعت أكفها بالدعاء ليّ، ولكل مَنْ وقف بجواري وساندني وقَدَّمَ لي المؤازرة فلولا دعمهم لي لما استطعت (أخوتي الأعزاء).

الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
شكر عرفان	ت
المحتويات	ث–خ
المقدمة	1–4
التمهيد مقاربات اصطلاحية (لِتَوْظِيفِ الْأَيَّامِ واللَّيالِيّ في الدِيانَات السَمَاوِيَّةٌ)	5–20
أولاً: الدِيانَة اليهودية	5.7
أ. اليوم في الدِيانَة اليهودية	5
ب . الليل في الدِيانَة اليهودية	7
ثانياً: الديانة المسيحية	7.8
أ . اليوم الديانة المسيحية	7
ب . الليل الديانة المسيحية	8
ثالثاً: الْأَيَّام واللَّيالِيّ في الدِيانَة الإسلامية	9–20
أولاً: مَفهوم التَّوظيفِ تعريفاً	9–11
أ. في اللغة	9
ب . التوظيف في الاصطلاح	10
ت . التَوْظيفُ القُرآنِيّ	11
ثانياً: مفهوم الأيام في الدِيانَة الإسلامية.	11–16
أ. اليوم في اللغة	12
ب . اليوم في الاصطلاح	14
ثالثاً: مفهوم الليلة في الدِيانَة الإسلامية	16–20

أ. الليل في اللغة	17–16
ب . الليل في الاصطلاح	19–17
ت . الليل في الاستعمال القرآني	20.19
الفصل الأول مظاهر التوظيف القرآنيّ لآيات الأيام والليالي	96–21
المبحث الأول: أساليب التعبير القرآني عن ظاهرة الأيام والليالي	64–21
أولا:. الاقتران والافتراق في الذكر	34–21
ثانياً: التقديم والتأخير	28
ثالثاً: أسرار استخدام بعض الألفاظ في آيات الأيام والليالي	29
المبحث الثاني: مظاهر التوظيف بوصفها ظروفاً للأحداث الزمنية	34
المطلب الثاني: أيام موصوفةٍ	39–34
المطلب الثالث: أيام مضافة	39
المطلب الرابع: الأيام ظروف الأحداث	46
المطلب الخامس: توظيف آيات الليالي	54
المبحث الثالث: جدلية الليالي والأيام	76–65
المطلب الأول: التراتبية (الأسبقية) في الحدث	72.65
المطلب الثاني: عن أفضلية الليل	73
أولاً: من ناحية السكون	73
ثانياً: من ناحية قيامه	74
ثالثاً: من ناحية التأثير في القلب واللسان	76
المبحث الرابع: رمزية الأيام والليالي	96.77
المطلب الأول: الأيام المشهورة	77
يوم الجمعة	77
يوم السبت	80
يوم الفرقان	81
يوم حنين	82
يوم الأحزاب	84
المطلب الثاني: الليالي المشهورة	86

أولاً: ليلة القدر	86
ثانياً: ليلة الإسراء والمعراج	90
ثالثاً: الليال العشر	95
الفصل الثاني إقْترانُ الأُيَّام والليالِيّ بالقَصَص القُرآنيّ	129-97
المبحث الأول: قِصَّـةُ قـوم عَـادِ	107.97
المطلب الأول: صفة تلك الأيام	98
المطلب الثاني: مدة تسخير وتصوير العذاب	103
المبحث الثاني: قِصَّةُ قـوم ثمـود	111.108
المطلب الأول: مدة نزول العذاب	109
المبحث الثالث: قِصَّـة بني إسرائيـل	129.112
المطلب الأول:مُدَّةُ المواعدة	112
أولاً: أربعين ليلة	112
ثانياً: ثلاثين ليلة	118
الفصل الثالث أَبعادُ التوظيف القرآني لآيات الأَيَّام والليالي .	190-130
المبحث الأول : البُعد التكويني لتوظيف الأيام و الليالي	142.130
المبحث الثاني: البُعد العَقَـدّي للتوظيف القـرآني	149-143
المطلب الأول: بيان القرآن لِسُنة التَداول	144
أ. مداولة الأيام	144
ب . تقليب الليل والنهار	148
ث . الحِكَم والأسرار من سنة التداول	149
المبحث الثالث: البعد التشريعي للتوظيف القرآني	150
المطلب الأول: العبـادات	190.150
ولا: الصلاة	159.151
ثانياً: الصـوم	172.159
أ. تعريف الصوم:ـ	159
ب . مواقيت الصوم	160

ت . التوظيف القرآني لآيات صوم الأيام والليالي	163
ثالثـاً: الحـج	173
التوظيف القرآني لآيات الحج	175
المطلب الثاني: أحكام شرعية متنوعة	190.182
أولاً: عدة المتوفى عنها زوجها	182
ثانيا .كَفّارةُ الحلف الكاذب	186
ثالثـاً: الصدقـة	188
الخلاصة	193–191
قائمة المصادر	216–194
المختصر باللغة الانكليزية	A–B

المقـدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون [1]، علا فاستعلى ودنا فتعالى، الذي لا بدء لأوليته، ولا غاية لأزليته، القائم قبل الأشياء، الذي بحكمته أظهر حُججه على خلقه [2]، والصلاة على شفيع الأنام محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه خير البرية وعلى إله وصحبه المنتجبين الأخيار.

أما بعد..

إنها آيات الله الناطقة بالحقائق العلمية الناصعة، فكروية الأرض ودورانها وحركتها، من الحقائق العلمية التي أثبتها القرآن منذ نزوله، فهي ظاهرة كونية تكون مفهومة الغاية عند المسلمين، وفي هذه الرسالة سُلط الضوء على زاوية الزمان من ناحية الأيام والليالي، وبمحاكاة فلسفة الأزمان، فالقرآن الكريم هو كتاب هداية ومنهج للتفكّر والحياة جاء بدستور جوهري مواكب لكافة الأزمان ومحققاً بوارق النجاة. ، ومما لا ريب فيه إن التفسير القرآني تتجلى أهميته بموضوعيته الجامعة لكل المعاني السامية، **سبب اختيار الموضوع:** الوقت الذي هو عبارة عن وعاء أو ظرف تؤدى فيه كافة العبادات وبه نحاول معرفة ومقاربة المقولة التي ترى إن إن جميع الظواهر الكونية خاضعة للناموس الإلهي داخل إطار الفكر الإسلامي، وكان هذا العنوان من فكرة

---

[1] نهج البلاغة: كلام أمير الكلام علي بن أبي طالب (عليه السلام) جمعه محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي(ت/406هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1408هـ، 1/2.

* لفظٌ معرّبٌ من أصل لاتينيّ صِيغَ على اللسان العربيّ، يُعنَى بدراسة علوم الطبيعة.

[2] الأصول من الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت/ 329 هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط3، 1388هـ، 2/1.

الأستاذ الدّكتور: حكمت عبيد الخفاجي، مع تغيير طفيف بموافقة المشرف الأستاذ المساعد الدّكتور: رياض حمود حاتم المالكيّ.

منهجية الدراسة: أعتمدت في هذا البحث على المنهج الأستقرائي الموضوعي من حيث جمع الآيات ذات الصلة ودراستها دراسة تفسيرية، والربط بين الجوانب التشريعية الزمنية والأبعاد العقديّة الزمنية التي تختص بالكون.

مشكلة البحث: إن الزمن في الفكر الإسلامي يدور حول ثلاثة أبعاد الماضي، الحاضر، المستقبل والتاريخ الديني محدد ببداية ونهاية، فالبداية: تتوسم بداية تكوين الخلق (السماوات والأرض والإنسان)، والنهاية: هي بزوالهما مع قيام القيامة وكل ذلك داخل إطار زمني، منه ما كان مفهوماً وجليّاً ويسمى بمنظور الحداثة بفيزقيا(وهو: لفظٌ معرّبٌ من أصل لاتينيّ ، يُعنَى بدراسة علوم الطبيعة) ومنه مالم يحن ساعته الى الآن، ولم نستطع الإحاطة بما لم يكن ولم نعلم طبيعة زمانه كيوم القيامة لعلنا نلامس الطريق إليه من خلال المرور بالآيات التي تشير إلى الزمن .

الدراسات السابقة ومصادر البحث: كثيرة هي الدراسات المعنية بالزمن، وتختلف بحسب طريقة دراستها، ولكن لم نجد دراسات تناولت توظيف الأيام والليالي معاً و ضمن إطار التفسير في إبعاد تشريعية تكوينية قصصية، ولعل أبرز من درس الأيام كان ضمن إطار الزمن بصورة عامة:

- رسالة ماجستير بعنوان (الليل والنهار في القرآن الكريم) لـ ديالا عبد الجبار عبد الله، جامعة النجاح الوطنية في فلسطين، وقد اعتمدت فيه الطريقة الاستقرائية التحليلية، من خلال معرفة أجزاؤهما ودلالة خواتيمهما في القرآن الكريم.

- ورسالة أخرى بعنوان (أسماء الزمن في القرآن الكريم. دراسة دلالية) لـ محمود يوسف عوض، عرض الباحث مفهوم الزمن قديماً وحديثاً في جانبها الدلالي.
- وكذا البحث المنشور باسم: مصطلح «اليوم» ودلالاته في القرآن الكريم، د. عودة عبد عودة عبد الله، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، تمّ البحث فيه من خلال تتبُّع المفردة ، ثم النظر في تفسير الآيات التي وردت فيها هذه المفردة، بهدف استنباط دلالاتها من خلال مواقع ورودها في السياق القرآني.
- كتاب الزمن بين العلم والقرآن، للدكتور منصور محمد حسب النبي، فسر الآيات تفسير جيولوجي علمي.

خطة الرسالة: وقد انتظمت الخطة في تمهيد وثلاثة فصول، وتسنم التمهيد بعنوان: **(مقاربات إصطلاحية لِتَوْظِيفِ الْأَيَّامِ واللَّيالِيّ في الدِيانَات السَمَاوِيَّةٌ)**، والذي تمحور حول تفكيك العنوان وإرجاعه إلى جذره لغوياً وبيان معناه اصطلاحياً، فبينت فيه معنى: التوظيف، واليوم، والليلة عند الديانات الثلاثة: (اليهودية، والمسيحية، ثم الإسلامية).

وكان الفصل الأول بعنوان: : **(مظاهر التوظيف القرآنيّ لآيات الأيام والليالي)**، والذي تَكَوّن من ثلاثة مباحث الأول: مظاهر التوظيف بوصفها ظروفاً للأحداث الزمنية، وقد جاءت الليالي والأيام في القرآن الكريم موظفة بأشكال عفويةٍ، وتراكيب بحسب السياقات القرآنية الواردة فيها بكونها أياماً مضافة وموصوفة بعدة صفات وظروف للأحداث، ذواتا الأثر الظاهري.

والمبحث الثاني: يدور حول جدلية الليالي والأيام، والمبحث الثالث: عالج رمزية الليالي والأيام فهي أصبحت أمثلة ورموز وتطبيقات حية، وذكرت الليالي والأيام المشهورة فيه.

وجاء الفصل الثاني بعنوان**(إقْترانُ الأُيَّام والليالي بالقَصَص القُرآنيّ)**، والذي يتكون من توطئة وثلاثة مباحث الأول بعنوان: قِصَّةُ قوم عَادٍ، والمبحث الثاني عن قِصَّةُ قوم ثمود، وأما المبحث الثالث فقد وضفت الأيام والليالي في قِصَّة بني إسرائيل فدار فحوى الكلام عن الأربعين ليلة والغاية من الميقات ولما نزلت مجملة وأخرى مُفَصّلَةٍ ثلاثين وازدادت بعشر والعلة من ذكر الليل دون اليوم.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: **(أبعاد التوظيف القرآني لآيات الأَيَّام والليالي)**، الذي اشتمل على ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان: (البعد التكويني للتوظيف القرآني)، ، والمبحث الثاني بعنوان: البُعد العَقَدّي للتوظيف القرآني وعلاقة الأيام والليالي بسنة المداولة، وتداول الأيام بين الناس ومنها التقليب الحاصل في الليل والنهار وتناول المبحث الثالث: البعد التشريعي لِلتَوْظِيف القرآني.

وذَيلْتُ الرسالة بالخاتمة والنتائج وقائمة المصادر والمراجع لا أدعي إني بلغت الغاية في هذه الرسالة وفي بيان التوظيف القرآني لآيات الأيام والليالي في القرآن الكريم بصورة كاملة، وعسى أنْ تكون المناقشة سبيلاً لإتمام منقوصات الرسالة، وإني أفرغت قصارى جهدي في جمع المصادر وانتظامها وتناسقها مع المطالب والفضل لله تعالى في ذلك ومن ثم لأساتيذي الأكارم، وإن كنت قد أخفقت فبتقصيري وجَهْلي، وأسأل الله التوفيق والسداد والإخلاص لِمّا يحبه ويرضاه.

الأول من محرم الحرام لسنة 1444هـ

المبحث التمهيدي

مقاربات اصطلاحية (لِتَوْظِيفِ الأَيَّامِ واللَّيالِيّ في الدِيانَات السَمَاوِيَّةْ)

أولاً: الدِيانَة اليهودية

ثانياً: الديانة المسيحية

ثالثاً: الدِيانَة الإسلامية

أولاً: الدِيانَة اليـهودية

أ- اليوم في الدِيانَة اليــهودية

التقويم اليهودي، كالتقويم الإسلامي، مبني على دورة القمر كل شهر يبدأ وينتهي بظهور الهلال الجديد، تبتدأ الأيام في التقويم اليهودي بغروب الشمس، بناءً على الكلمات التي وردت في سرد التوراة لقصة التكوين، وبما أن يوم عمل المزارع أو الصانع ينتهي بغروب الشمس، وبالتالي عدّ ذلك بداية لليوم الجديد، ثُم تطور التقويم اليهودي عبر زمن طويل، وخضع لتأثير الحضارات. وقد جاءت أسماء الشهور الحالية إلى اليهودية عن طريق النفي البابلي (الأسر البابلي لليهود)، فمعظم المهرجانات والأعياد لها مسميات مختلفة تعكس فترات زمنية مختلفة وظواهر متباينة للأعياد، ومن نتائج التغييرات في التقويم اليهودي فهو يشتمل على أكثر من سنة جديدة [1]، وبهذا يبدأ اليوم الجديد في نهاية النهار، بعد غروب الشمس، ويستمر حتى المساء التالي (من الغروب الى الغروب). يعبر التلمود* عن شك بشأن الموعد الدقيق لبداية يوم جديد، إذا كان عند

---

[1] ظ: ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين: روبن فايرستون، المحرر: الحاخام جيمز أ. رودين، ترجمة: عبدالغني بن إبراهيم، تحرير الترجمة العربية و تنقيحها: وصفي كيلاني و د. إران ليرمان، معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية، 124-125.

* التلمود: يطلق على التوراة الشفوية وتعرف دائرة المعارف اليهودية العامة التلمود بأنه الكتاب العقدي الذي يتضمن معارف اليهود ويشمل تعاليمهم، ويحوي سائر مناحي الحياة الإنسانية، وهو جزء من القانون اليهودي المعترف به، وغير الوارد في التوراة المكتوبة، ويمتد في بيانه من العقيدة إلى اللاهوت إلى مجموع الشرائع اليهودية وقوانينها ومتطلبات الحياة وفلسفتها. ظ: مركز دراسات الشرق الأوسط ، التلمود البابلي، الأردن، 2011م، ط1، 22/1.

غروب الشمس بالضبط أو عندما يمكن رؤية بعض النجوم في السماء. لذلك تستمر أيام العيد والأيام الخاصة الأخرى من غروب الشمس حتى ظهور ثلاثة نجوم في المساء التالي [1]، تدور حياة اليهود حول يوم السبت الذي يُعدّ المبدأ الأساس لتنظيم تلك الحياة، وردت الوصايا العشر في صيغتين إحداهما اكثر اتصالاً بالدين والعقيدة وقد جاءت في الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر الخروج، والأخرى أكثر اتصالاً بالعادات والتشريع، وقد وردت في الإصحاح العشرين من سفر الخروج وفي الإصحاح الخامس من سفر التثنية، ونص الصيغة الأولى كالآتي 1. لاَ تَسْجُدُ لإِلهٍ آخَرَ، لأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ. إِلهٌ غَيُورٌ هُوَ2. لاَ تَصْنَعْ لِنَفْسِكَ آلِهَةً مَسْبُوكَةً 3. تحفظ عيد الفطر4. لي كل فاتح رحم (أي البكري يقدم قربانا) وكل بكر من بنيك تفديه5. أول أبكار الأرض تحضره إلى بيت الرب إلهك.6- ستة أيام تعمل، أما اليوم السابع فتسريح فيه.7- اصنع لنفسك عيد الحصاد، عند حصاد الحنطة وعند الجمع في آخر السنة.8- لا تذبح على خمير دم ذبيحتي.9- لا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح.10- لا تطبخ جدياً بلبن أمه. سفر الخروج، 145 [2].ونص الصيغة الثانية: 1. أنا الرب إلهك لا يكن لم آلهة أخرى أمامي 2أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ وَفِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي 3. لاَ

[1] ط: التقويم الأرضي: زكي الشمايله الأبراهيمي، الآن ناشرون وموزعون، ط1، 2019م، 119.

[2] ظ: مقارنة الأديان : أحمد شلبي ، ط3 (1973م) مكتبة النهضة المصرية القاهرة،290.

تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلًا 4أُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ5أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ 6. لا تَقْتُلْ7. لا تزن 8. لا تسرق 9. لا تشهد على قريبك شهادة زور 10. لا تشته بيت قريبك [1]

وقسم اليهود الأسبوع إلى سبعة أجزاء غير متساوية:"الفجر، شروق الشمس، حموة النهار والضحى، الظهر، ريح النهار أو الأصيل، المساء، العشية" [2].

ب . الليل في الديانة اليهودية

تَمَّ العثورُ على المصطلح حوالي 227 مرة في جميع فترات الكتاب المقدس العبرية، الليل يعني فترة الظلمة في النهار [3].

ثانياً: الديانة المسيحية

أ- اليوم في الديانة المسيحية :ـ مدة 24 ساعة وفي العهد الجديد(هو الجزء الثاني من الكتاب المقدس لدى المسيحيين. يحتوي العهد الجديد على 27 سفراً) ، ويوم الرب أو وقت الدينونة: وهو اليوم الذي يعلن فيه *يهوه ذاته ويدين الشر ويكمل عمل الفداء. وهو

---

(1) سفر الخروج،287، وموسوعة اليهود واليهودية: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، 2001م.، 13/ 219.

(2) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مكتبة المشغل، بيروت، ط6، 1981م، 1121-1122.

(3) بحث بعنوان: ماذا يعني الليل في الكتاب المقدس؟
https://alsina-sa.com/ar/biblia/que-significa-noche-en-la-biblia.html،
1-9-2022.

* يَهوَه هو اسم الله المذكور في التوراة وفي العهد القديم في الكتاب المقدس.

اليوم الذي سينتصر فيه يهوه على جميع أعدائه ويخلص شعبه من كل ضيق [1]، "واليوم للدلالة على ساعات النهار من الفجر إلى النهار فكلمة نهار في العبرية هي يوم، وتستخدم للدلالة على اليوم الكامل من[الليل والنهار] وكان النهار يبدأ بالصبح ثم الظهر ثم المساء وكثير أيضا ما تستخدم كلمة يوم للدلالة على مدة من الزمن غير محددة" [2]، "ويوم الرب أو اليوم الرباني (يوم الأحد) يوم قيامة المسيح، هو في آن واحد أول يوم من الأسبوع وهو تذكار اليوم الأول من الخليقة واليوم الثامن الذي فيه بدا المسيح من بعد أن استراح راحة السبت العظيم. اليوم الذي صَنعهُ الرب والنهار الذي لا مساء له" [3].

ب –الليل في الديانة المسيحية

مدة الظلام وكان يقسم على ثلاثة أقسام وكل قسم يدعى هزيعاً جمعها هُزع أو هجعة وجمعها هجعات، أولها من غروب الشمس إلى نصف الليل، والثاني من نصف الليل إلى صياح الديك والثالث من صياح الديك إلى شروق الشمس ،و الليل في زمن العهد الجديد وهو يمتد من غروب الشمس إلى شروقها يقسم إلى اثنتي عشرة ساعة [4].

---

[1] ظ: قاموس الكتاب المقدس ، 1122.

[2] دائرة المعارف الكتابية، تحرير: منيس عبد النور وأندريه زكي وأنور زكي، دار الثقافة، ط1، 352/8.

[3] التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: الجزء الثاني الاحتفال بالسر، 1166.

[4] ظ: قاموس الكتاب المقدس: 828.

ثالثاً: الْأَيَّام واللَّيالِيّ في الدِيانَة الإسلامية

أولاً: مَفهوم التَّوظيفِ تعريفاً

أ. في اللغة: .

يَحتلُ اللفظُ مكانةً كبيرةً في توضيح المعنى، وتقريبه الى النَّفْس، وفي ظلّ الرجوع إلى بيانات اللّغويّين في تبيان معنى التوظف وَجَدْنا ما يأتي:

1. التَّقديرُ والتَّوزيع:. قال الجوهري(ت/393هـ): "والوَظيفَةُ :ما يُقَدَّرُ للإنسان في كلِّ يوم من طعامٍ أو رزق. وقد وَظَّفْتُهُ تَوْظيفا"[1]، وهذا هو الأصل المختار لمادة (وَظّف) عند ابن فارس (ت/395هـ)، قال: "الْوَاوُ وَالظَّاءُ وَالْفَاءُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ شَيْءٍ يُقَالُ : وَظَّفْتَ لَهُ، إِذَا قَدَّرْتَ لَهُ كُلَّ حِينٍ شَيْئًا مِنْ رِزْقٍ أَوْ طَعَامٍ. ثُمَّ اسْتُعِيرَ ذَلِكَ فِي عَظْمِ السَّاقِ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ مُقَدَّرٌ، وَهُوَ مَا فَوْقَ الرُّسْغِ مِنْ قَائِمَةِ الدَّابَّةِ إِلَى السَّاقِ. وَيُقَالُ وَظَفْتُ الْبَعِيرَ، إِذَا قَصَرْتَ لَهُ الْقَيْدَ" [2].

2. الإلـزام: .

قال ابن منظور: وظف :"الوَظِيفَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا يُقدَّر لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزق أَو طَعَامٍ أَو علَف أَو شَراب، وَجَمْعُهَا الوَظَائِفُ والوُظُفُ .ووَظَفَ الشيءَ عَلَى نَفْسِهِ ووَظَّفَه

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت/ 393هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط4 ،1987م، مادة(و ظ ف)، 339/4.

[2] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا(ت/395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1979م، مادة (وظف)، 122/6.

تَوْظِيفاً :أَلزمها إِيَّاهُ، وَقَدْ وَظَّفْت لَهُ تَوْظِيفاً عَلَى الصَّبِيِّ كُلَّ يَوْمٍ حِفْظَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" [1].

3. الاتّباع والاستيعاب:.

قال ابن فارس:" مَرَّ يَظِفُهُمْ، أَيْ يُتْبِعُهُمْ كَأَنَّهُ يَجْعَلُ وَظِيفَهُ بِإِزَاءِ أَوْظِفَتِهِمْ." [2] ، وقال الفيروز آبادي(ت/817هـ)، "والتوظيف تعيين الوظيفة، والمواظفة: الموافقة والمؤازرة والملازمة، وإستوظفهُ: استوعبهُ" [3].

ولهذا التوظيف لغتاً: يظهر في ظلّ الاستعمال اللغوي لمشتقات مادة (وظف) التي ذكرناها آنفاً أنّ التوظيف لا يكاد أن يَخرج عن هذه المعانيّ (التّقدير والتّوزيع والإلزام والاتّباع والاستيعاب) ومن الجدير بالذكر واكثر ملائمة في المعنى هو الاستعمال

ب . التوظيف في الاصطلاح:.

هو: عملية منظمة قائمة على التقدير والتوزيع والاستيعاب والإلزام في بناء النصوص وبيانها مع تبيان حدودها وأنساقها فضلاً عن استدراك نسبيتها والوقوف على نتائجها بلحاظ مرجعية النص وثقافة منتجه.

ولم ترد مشتقات مادة (وظف) في الاستعمال القُرآني

---

[1] لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت/ 711هـ)، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2005م، باب الواو، 4313/4.

[2] مقاييس اللغة: 122/6.

ت . التَوْظيفُ القُرآنّي

لمّا كان الأسلوبُ القُرْآنيّ يتميز بالاختيار الدقيق المعجز في تخيّر الألفاظ التي تؤدي الى إصابة المعنى المراد، إذ اللفظة تكاد تتفجر وتشع؛ لتؤدي أكثر من دلالة بلحاظ السياق الذي ورد فيها. وبعد أن بَيْنت معاني التوظيف لغة واصطلاحاً، نرى أنَّ التَوْظيفُ القُرآنّي: هو عملية منظمة غايتها الوقوف على تبيان أثر الاستعمالات القُرآنيّة المتنوعة في استجلاء المعاني المرادة من هذه الاستعمالات التي ـ بلا شك ـ تمثل إعجازية القُرآن الكريم، وإنَّها جاءت في أعلى صور البيان والإعجاز في هذه العملية، هذه العملية المنظمة تتطلب الإحاطة بقدر الوسع والطاقة بأسلوبية الفن القرآنية وما يلحظ به من وقائع وأحداث، مع معاينة السياقات القُرآنية التي وردت فيها الألفاظ التي يُراد دراستها ولاسيمّا (الأيّام واللّياليّ).

ثانياً: مفهوم الأيام في الديانة الإسلامية

عند الرجوع إلى القرآن الكريم، نجد أنه أطلق(اليوم) باستعمالات متعددة حتى يتضح معنى اليوم في الآية المباركة فاللفظة القرآنية منتقاة بعناية فهي حَسُنت وعُنيت وتخصصت بمميزات متُفردة من نوعِها، استحال وجودها في كلام آخر من كلام البشر، فكفى به متأنقاً في ألفاظه.

"تناول القرآن الكريم الحديث عن (اليوم) بدلالاته المختلفة، بدءاً من اليوم العادي الذي يتجاذب طرفيه الليل والنهار، ومروراً بالأيام التي لا يعلم حقيقتها إلا المولى عز وجل، وهي الحِقب أو الأطوار الزمنية التي خلق الله فيها السماوات والأرض وثمَّة سبقٌ قرآني فريدٌ تمثَّل في استخدام القرآن الكريم مصطلح (اليوم) في سياق الدلالة على

المسافة والسرعة، وهذا استخدام علميّ حديث بدأ على يد إينشتاين في بدايات القرن العشرين" [1].

أ. اليوم في اللغة:

" يُرادُ منه النهار، غير أنَّ ثمَّة فرقاً بين النّهار واليوم، وَهُو كمّا يَقُول صاحبُ الفروق: إنَّ النّهار اسمٌ للضياء المُنفسح الظاهر لِحصول الشّمس؛ بحيث ترى عينها أو معظم ضوئها وهذا حدّ النهار، ولهذا قال اللغويون: إذا قلتَ: سرتُ يوماً فأنت مُؤقِّت، تريدُ مبلغَ ذلك ومقداره، وإذا قُلتَ: سرتُ اليوم أو يوم الجمعة فأنت مُؤرِّخ، فإذا قُلتَ: سرتُ نهاراً أو النهار؛ فلست بمؤرّخ ولا بمؤقِّت، وإنما المعنى: سرتُ في الضياء المنفسح، ولهذا يضاف النهار إلى اليوم فيقال: سرتُ نهار يوم الجمعة، ولهذا لا يُقال للغلس والسَّحر نهارٌ حتى يستضيء الجوّ [2] . قال الراغب الأصفهاني: يُعبّر به عن مدّة من الزمان أيّ مدّة كانت،قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ آل عمران [155] [3].

---

[1] بحث عن مصطلح «اليوم» ودلالاته في القرآن الكريم: عودة عبد عودة عبد الله، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، د. ط .د. ت،2

[2] ظ: الفروق في اللغة: الحسن أبو هلال العسكري (ت/ 395هـ)، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط3، 1997م، 226.

[3] ظ: مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت/٥٠٢ هـ)،تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق، ط1، 1412هـ، مادة (ي و م)، 894 .

"وَاليَوْمُ :معروفٌ مِقدارُه مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إلى غُرُوبِهَا، وَالْجَمْعُ أَيَّامٌ، لَا يكسَّر إلا عَلَى ذَلِكَ، وأَصله أَيْوامٌ فأُدْغم وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا فِيهِ جمعَ الْكَثْرَةِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾ ابراهيم [5]الْمَعْنَى ذكّرْهم بِنِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ فِيهَا عَلَيْهِمْ وبِنِقَمِ اللَّهِ الَّتِي انْتَقَم فِيهَا مِنْ نوحٍ وعادٍ وثمودَ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ خَوِّفْهم بِمَا نزلَ بعادٍ وَثَمُودَ وغيرِهم مِنَ الْعَذَابِ وَبِالْعَفْوِ عَنْ آخَرِينَ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى كَقَوْلِكَ: خُذْهُم بِالشِّدَّةِ واللِّين. وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ، قَالَ: نِعَمَه، وَرَوِي عَنْ أُبيّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فِي قَوْلِهِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، قَالَ: أَيَّامُه نِعَمُه "[1]، وشَاعَ عِنْدَ المُنَجِّمِينَ أَنَّ اليَوْمَ مِنْ الطُّلُوعِ إِلَى الطُّلُوعِ، أَوْ مِنَ الغُرُوبِ إِلَى الغُرُوب، ويُسْتَعْمِلُ بِمَعْنَى مُطْلَقِ الزَّمَانِ وقَدْ يُرادُ باليَوْمِ الوَقْتُ مُطْلَقًا، ولاَ يَخْتَصُّ بالنَّهَارِ دُونَ اللَّيْلِ [2]. "لم يكن اللفظ مقتصرا كغيره من ألفاظ الزمان على مفهوم الوقت المحدد أو غير المحدد من الزمان، ولكنه ارتبط كغيره من الألفاظ التي رأيناها بالشدة والهلاك، يشير المعجم الى أنهم قالوا يوم ذو أيام، ويوم ذو أيايم؛ لطول شره على أهله، وقالوا يوم لنا ويوم علينا أي

---

[1] لسان العرب: ابن منظور، باب الياء، 4406/4.

[2] ظ: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت/ 1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية ، مادة(ي و م)، 34/ 143.

يوم يسرنا ويوم يُحزننا واليوم يومك، ولكل قوم يوم، أي عقاب وجزاء، وقالو في الدعاء: لا أراني الله يومك أي يوم موتك" [1].

ب ـ وفي **الاصطلاح**: "وهو مدة كون الشمس فوق الأرض عرفا، وهو الوقت المطلق لغة، ليلا كان أو نهارا، طويلا أو قصيرا" [2].

"وَالْيَوْم: مُدَّة دورة حَرَكَة الْفلك الْأَعْظَم أَعنِي الْعَرْش، وَإِنَّمَا الشَّمْس متحركة بحركة الْفلك الرَّابِع، وَهِي الَّتِي يتَوَقَّف عَلَيْهَا اللَّيْل وَالنَّهَار. ويتميز الْيَوْم بهَا " [3]،وقد اُختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس إلى غروبها من الغد؛ لأن شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائلها مقيدة برؤية الهلال لدى غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار [4] .

ويكون على معنيين الأول: يطلق ليدل على ما يدل عليه لفظ النهار أي: ليدل على الفترة الزمنية الممتدة ما بين طلوع الشمس وغروبها، وهذا بالمدلول العرفي للنهار،

---

[1] الزمان الدلالي. دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية: كريم زكي حسام الدين، دار غريب للطباعة والنشر، ط2، 2002م، 97.

[2] التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت/ 1031هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م، 348.

[3] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي(ت/ 1094هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 982.

[4] ظ: أبجد العلوم: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت/ 1307هـ)، دار ابن حزم، ط1، 2002 م، 560.

أو يطلق ليدل على الفترة الزمنية الممتدة، ما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس[1] ويطلق على اليوم ليدل على مجموع الفترة الزمنية، لذا قال: إنَّ اليوم هو الفترة الزمنية الممتدة ما بين نصف النهار الى نصف النهار الثاني [2]. قال صاحب بحار الأنوار "إعلم أنَّ اليوم قد يطلق على مجموع اليوم والليلة، وقد يطلق على ما يقابل الليل، وهو يرادف النهار، ولا ريب في أن اليوم والنهار الشرعيين مبدؤهما من طلوع الفجر الثاني إلى غيبوبة قرص الشمس عند بعض، وإلى ذهاب الحمرة المشرقية عند أكثر الشيعة، وعند المنجمين وأهل فارس والروم من طلوع الشمس إلى غروبها" [3].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ البقرة [196]وعلى هذا فهو الزمن الممتد من الفجر الصادق إلى غروب الشمس، كما في أيام الصوم [4].

"ومن فعل شيئاً بالنهار وأخبر به بعد غروب الشمس يقول فعلته أمس؛ لأنه فعله في النهار الماضي واستحسن بعضهم قول الأمس الأقرب و الأحدث وقد يراد

---

(1) ظ: روح المعاني في تفسير كتاب الله العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي(ت/1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 59/1.

(2) ظ: المصدر نفسه: 147/1.

(3) بحار الأنوار: ظ: بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي(ت/1111هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. 12/56.

(4) ظ: معجم متن اللغة: احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م، مادة (يوم)،843/5. «ألفاظ الزمان بين اللغة والقرآن»، كاظم الراوي، مجلة آداب المستنصرية، العدد 4، 1979م، 270.

باليوم الوقت المطلق" [1]، **فاليوم** ما يشمل الليل والنهار، والذي يتكون من أربعٍ وعشرين ساعة زمنية بالقياس الزمني المستعمل لدينا الآن" [2].

ومقدار هذا اليوم هو أربع وعشرون ساعة في زماننا الحاضر ولكن هذا القياس ليس ثابتا إنما يعتمد على سرعة دوران الأرض حول نفسها فكلما زادت السرعة قلت ساعات اليوم [3].

ثالثاً: مفهوم الليلة في الديانية الإسلامية:ـ

أ. في **اللغة** يقال: "لَيْلٌ ولَيْلَةٌ، وجمعها: لَيَالٍ ولَيَائِلُ ولَيْلَاتٌ، وقيل: لَيْلٌ أَلْيَلُ، وليلة لَيْلَاءُ. وقيل: أصل ليلة لَيْلَاةٌ بدليل تصغيرها على لُيَيْلَةٍ، وجمعها على ليال" [4] .

وهو "عَقِيبُ النَّهَارِ ومَبْدَؤُه مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ. اللَّيْلُ ضِدَّ النَّهَارِ واللَّيْلُ ظَلَامُ اللَّيْلِ والنهارُ الضِّياءُ، فإِذا أَفرَدْت أَحدهما مِنَ الْآخَرِ قُلْتَ لَيْلَةٌ وَيَوْمٌ، وَتَصْغِيرُ لَيْلَةٍ لُيَيْلِيَةٌ، أَخرجوا الياء الأَخيرة من مَخْرَجها فِي اللَّيَالِي، يَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِنما كَانَ أَصل تأْسيس بِنائها لَيْلا مَقْصُواً، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: لَيْلَة كَانَتْ فِي الأَصل لَيْلِية، وَلِذَلِكَ صغِّرت لُيَيْلِيَة، وَمِثْلُهَا الكَيْكَةُ البَيْضة كَانَتْ فِي الأَصل كَيْكِية، وَجَمْعُهَا الكَياكي. أَبو الْهَيْثَمِ:

---

[1] التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن المصطفوي (ت/ 1426هـ)، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، 1339هـ، 74/14.

[2] تعيين أوائل الشهور العربية باستعمال الحساب: حسين كمال الدين، السعودية، دار عكاظ، ط1، 1979م، 144. الوقت والتوقيت، عبد السميع الهروي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، 93/1.

[3] ظ: مع الله في السماء: احمد زكي، د. ط.، 81.

.

[4] مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني 751.

النَّهار اسْمٌ وَهُوَ ضدُّ اللَّيْلِ، والنهارُ اسْمٌ لِكُلِّ يَوْمٍ، واللَّيْل اسْمٌ لِكُلِّ لَيْلَةٍ، لَا يُقَالُ نَهار ونَهاران وَلَا لَيْلٌ ولَيْلان، إنما وَاحِدُ النَّهَارِ يَوْمٌ وَتَثْنِيَتُهُ يَوْمَانِ وَجَمْعُهُ أَيام، وَضِدُّ الْيَوْمِ لَيْلَة وَجَمْعُهَا لَيَال، وَكَانَ الْوَاحِدُ لَيْلاة فِي الأَصل، يدلُّ عَلَى ذَلِكَ جَمْعُهُمْ إياها اللَّيالي وَتَصْغِيرُهُمْ إياها لُيَيْلِيَة، قَالَ: وَرُبَّمَا وَضَعَتِ الْعَرَبُ النَّهَارَ فِي مَوْضِعِ الْيَوْمِ فَيَجْمَعُونَهُ حِينَئِذٍ نُهُر" [1]، "تقولُ العربُ: هَذِه لَيْلَةٌ لَيْلاء: إذا اشتدَّتْ ظُلمَتُها، وَلَيْلٌ أَلْيَلٌ" [2]، وجمعه ليلة وقد يُجمع على: ليالٍ وليالي، وجمعها القياسي ليلات وتصغير ليلة: لييلة [3].

ب- أمَّــا اصطلاحاً: "هو بعد غروب الشمس، وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق، وإقبال السّواد منه وإلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق في الأرض المبسوطة، وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل" [4].

"يُعدّ الليل الرمز الأول لتحديد الأوقات لدى كل الشعوب حيث يُحسب الوقت بالليالي وليسَ بالأيام، يقول المزروقي:" أعلم انّهم كانوا يبدؤون بالأوقات بالليل، كما كانوا يبدؤون بالأزمان بالشتاء، ولذلك صار التأريخ دون النهار، وإنما كان كذلك؛ لان الظلام الأول لا ضياء داخل فيه" فقد اعتقدت جماعة أن الظلام يقترن بالسكون والضوء يقترن بالحركة وان كان السكون سابقاً للحركة، فإنَّ الليل سابق للنهار" [5]. غلبت العرب

---

[1] ظ: لسان العرب: ابن منظور، 607/11.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي 30/ 367.

[3] ظ: لسان العرب: ابن منظور، 607/3.

[4] مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت/548هـ)، دار العلوم، بيروت، ط1، 2006م، 20/2.

[5] الأزمنة والأمكنة: احمد بن محمد أبو علي المزروقي (ت/ 1277هـ)، مطبعة حيدر أباد، 274/2.

الليالي على الأيام في التاريخ؛ لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها وإنّما ولدته؛ ولأن الأهلة لليالي دون الأيام وفيها دخول الشهر، لذلك ما ذكرهما الله تعالى إلا وقدم الليالي على الأيام قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ الحاقة [7]، وقوله: ﴿ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ سبأ [18]، فقدم الله سبحانه الليل في رتبة الذكر ورتبة الوصف ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ [10، 11]، فرتبة الذكر ظاهره ورتبة الوصف مقدم على المعاش [1].

"يستخدم العرب التوقيت الغروبي حيث " يبدأ اليوم عند العرب من غروب الشمس ويمتد إلى غروبها التالي فليله (أي اليوم) سابق لنهاره" على أن يكون الليل من غروب الشمس إلى الفجر ويبدأ النهار من الفجر حتى الغروب. وعلى هذا يكون الليل أسبق من النهار لديهم وهذا ما راعاه القرآن الكريم فلن تجد موضعا اجتمع فيه الليل والنهار أو الأيام والليالي إلا تقدم الليل على النهار أو الليالي على الأيام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة [274] وحيثما اجتمعت الأيام والليالي عدداً تكون الليالي أكثر من الأيام؛ لأنها السابقة بالحدوث" [2]، وفي الآية التالية تعارض مع هذا القول

---

[1] ظ: الأزمنة والأمكنة: احمد بن محمد أبو علي المزروقي، 165/1

[2] مفهوم اليوم في القرآن: ملتقى أهل التفسير، مجموعة من المؤلفين، 2010م، تم الإطلاع عليه بتاريخ23 -11-2021

https://al-maktaba.org/book/31871/16297#p22.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ الحاقة [7]،أرى في ذلك موضوعية القرآن الكريم والترابط بين ورود السور، حيث نعلم إن العرب كانوا يبدؤون يومهم من غروب الشمس، فيقولون ليلة الجمعة أو ليلة العيد وهكذا.

ت . الليل في الاستعمال القرآني: "والليل هو بعد غروب الشمس، وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق، وإقبال السواد منه، وإلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق في الأرض المبسوطة وعدم الجبال، والروابي، فقد دخل الليل"[1].

ولأجل هذا "إنما استقر العرف العام والخاص على جعل أول النهار الفجر وأول الليل الغروب؛ لما سيأتي أن الناس لما كانوا في الليل فارغين عن أعمالهم الضرورية للظلمة المانعة فاغتنموا شيئا من الضياء لحركتهم وتوجههم إلى أعمالهم الدينية والدنيوية، فهو فترة زمنية تمتد من مغرب الشمس الى طلوع الفجر أو الى طلوع الشمس"[2].

ومن الضروري تحديد بداية الليل والنهار ونهايتهما؛ لإنها ذات أهمية كبيرة في الشرع والأحكام الشرعية، حيث يتعلق بتحديد بداية اليوم الشرعي ونهايته، تحديد أحكام مرتبطة بفريضة الحج، وتحديد مدة الصيام في أيام رمضان، كما أنه بتحديد أجزاء الليل والنهار والمراحل التي يمر فيها كل منهما، تتحدد مواقيت الصلاة وهذا يكون الليل

---

[1] التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت/460هـ)، تح: احمد قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي:2/ 135,

[2] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، 15/56.

الشرعي يمتد من غروب الشمس حتى طلوع الفجر والنهار الشرعي يمتد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس [1].

[1] ظ: فقه السنة: سيد سابق، ط 3، دار الكتاب العربي، 1977 م، 437.

الفصل الأول

مظاهر التوظيف القرآنيّ لآيات الأيام والليالي

المبحث الأول: أساليب التعبير القرآني عن ظاهرة الأيام والليالي

المبحث الثاني: مظاهر التوظيف بوصفها ظروفاً للأحداث الزمنية

المطلب الأول: أيام موصوفه

المطلب الثاني: ومضافة

المطلب الثالث: الأيام ظروفاً للأحداث

المطلب الرابع: توظيف آيات الليالي

المبحث الثالث: جدلية الليالي والأيام

المطلب الأول: التراتبية (الأسبقية) في الحدث

المطلب الثاني: عن أفضلية الليل

المبحث الرابع: رمزية الأيام والليالي

المطلب الأول: الأيام المشهورة.

المطلب الثاني: الليالي المشهورة

المبحث الأول

أساليب التعبير القرآني عن ظاهرة الأيام والليالي

من جمالية الأساليب القرآنية هي التعبير عما يحوم حول النص وما في أعماقه من أسرار وما ابدع فيه النص ، إن الذي يُهمُّنا عند حديثنا عن أساليب التعبير كونه ظاهرة لبيان أيامه ولياليه كالآتي:.

أولاً: الاقتران والافتراق في الذكر

ومن ابرز أمثلة أقتران الأيام هي **يوم القيامة:**

ويومُ القِيامة: يومُ البَعْث؛ يَقُوم فِيهِ الخَلْق بَيْنَ يَدَيِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَفِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ يَوْمِ القِيامة فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، قِيلَ: أَصله مَصْدَرُ قَامَ الخَلق مِنْ قُبورهم قِيَامَةً [1]"وسميت الْقِيَامَة؛ لِأَن النَّاس يقومُونَ فِي هَذَا الْيَوْم لِلْحسابِ وَجَزَاء الْأَعْمَال"[2]. و(الْقِيَامَة) القوامة وَيَوْم الْقِيَامَة يَوْم بعث الْخَلَائق لِلْحسابِ [3]، عن الصادق(عليه السلام) "سميت القيامة قيامة ؛ لان فيها قيام الخلق للحساب، وقد ورد تأويل ذلك بقيام القائم (عليه السلام)" [4].

---

[1] ظ: لسان العرب: ابن منظور، 506/12.

[2] تفسير القرآن: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي (ت/ 489هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، السعودية، ط1، 1418هـ، 1997م، 102-101/6.

[3] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، 768/2.

[4] مقدمة تفسير البرهان: أبو الحسن ابن محمد طاهر العاملي (ت/1138هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 2006م، 445، الكافي: الكليني، 223/8.

وقـال أميـر المـؤمنين (عليه السلام) فـي بعـض خطبـه: أيهـا النـاس، إن الـدنيا دار فنـاء، والآخـرة دار بقـاء، فخـذوا مـن ممـركم لمقـركم، ولا تهتكـوا أسـتاركم عنـد مـن لا تخفـي عليـه أسـراركم، وأخرجـوا مـن الـدنيا قلـوبكم مـن قبـل أن تخـرج منهـا أبـدانكم، ففـي الـدنيا حييـتم ، وللآخـرة خلقـتم، إنمـا الـدنيا كالسـم يأكلـه مـن لا يعرفـه، إن العبـد إذا مـات قالـت الملائكـة: مـا قـدم؟ وقـال النـاس: مـا أخـر؟ فقـدموا فضـلا يكـن لكـم، ولا تـؤخروا كـلا يكـن علـيكم، فـإن المحـروم مـن حـرم خيـر مالـه، والمغبـوط مـن ثقـل بالصـدقات والخيـرات موازينـه، وأحسـن فـي الجنـة بهـا مهـاده، وطيـب علـى الصـراط بها مسلكه " [1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ القيامة [1]

والله تبـــــــارك وتعـــــــالى عظـــــــم ذلـــــــك اليـــــــوم

فقالتعـالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ الإنفطـار [17]؛ لشدته، وتنبيهـا علـى عظـم حالـه، وكثرة أهواله ﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ الإنفطار [18]، كرره تأكيداً لذلك، وقيل: أراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة، وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار [2] .

---

[1] الأمالي: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت/ 381 هـ)، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1417هـ، 172، و نهج البلاغة: 2/ 183.

[2] ظ: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي (ت/ 1982م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1997م ،288/10.

أن هذا التعبير إنما هو لونٌ من ألوان الأَساليب في العربية تُخبر صاحبك عن أمرٍ يَجهله أو ينكره، أو كما ذهبت إليه بنت الشاطىء، وهو أنَّ القصدَ من ذلك هو التأكيد "والتأكيد عن طريق النفي، ليس بغريبٍ عن مألوفِ استعمالنا، فأنت تقولُ لصاحبك: لا أُوصيكَ بفلان تأكيداً للوصية ومبالغةً في الاهتمام [1].

"وكلمة "يوم" هي ظَرْف زمان، وظرف الزمان لا بُدَّ له من حَدثٍ يقع فيه، ويوم القيامة ليس محلَّ إنذار أو تبشير؛ لأن الإنذار أو البشارة لا بُدّ أنْ يكونا في وقت التكليف في الحياة الدنيا، وهكذا يكون المُنْذر به هو تخويفهم مِمّا يحدث لهم في هذا اليوم، فما سوف يحدث لهم هو العذاب؛ وكأنه قنبلة موقوتة ما إنْ يأتي يوم القيامة حتى تنفجر في وجوههم، وهم يطلبون تأجيل العذاب لِمُهْلة بسيطة، يُثبتون فيها أنهم سيُجيبون الدعوة ويطيعون الرسول، وهم يطلبون بذلك تأجيل قيامتهم فيكون الجواب من الحق سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ ابراهيم [44] "[2].

"ولكن هل هذا القيام يكون أول ما يموت الأنسان ويبعث للحساب أم يبقى ينتظر الحساب ؟. الموت هو أول منازل الطريق إلى المعاد، وأول مشاهد النشأة الآخرة، قال

---

[1] ظ: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2003 م، 203.

[2] تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت/ 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م، 12/7599-7600.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الموت القيامة ، إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته ، يرى ما له من خيرٍ وشرّ " [1].

وقد عُرِّف عن يوم القيامة في القرآن بأسلوب كما سماه مصطفى محمود (لغز الزمن واختلاف التقويم الزمني) إنَّ الله تعالى لا يجري عليه طارئ الزمان فالمستقبل بالنسبة له حدث وماضي حاصل في علم الله ودون في ام الكتاب ومنها يوم القيامة (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ)، (وَبُرِّزَتِ الجحيم لِلْغَاوِينَ)، (وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ) فكل شيء ما عدا الله يجري عليه طارئ الزمان، وعروج الملائكة بيوم كان مقداره خمسين الف سنة فاليوم بخمسين الف سنة بالنسبة للملائكة والروح فيكون بهذا لهم تقويم زمني مختلف ومثله عند ملائكة التدبير فيوم بألف سنة [2]

وبعد البحث والتمعن في آيات الله تعالى نجد هناك إشارات واردة انطلاقاً من قوله **تعالى:**

﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢ ﴾ يس [52]

---

[1] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي المتقي الهندي (ت/ 975هـ)، تح: بكري حياني ، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة ، ط: 5، 1401هـ، حديث 42123، 1981م.

[2] محاضرة على اليوتيوب للدكتور مصطفى محمود بإسم اللغز الزمني، بتاريخ 2022–11–1.

وإنما وصفوا القبر بالمرقد؛ لأنهم لمّا أحيوا كانوا كالمنتبهين من الرقدة وقيل : إنهم لما عاينوا أحوالهم في القيامة، عدوا أحوالهم في قبورهم بالإضافة إلى تلك الأهوال رقاداً . قال قتادة : هي النومة بين النفختين، لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما [1].

والآية تصوّر القبور «بالمراقد» والنهوض من القبور (بالبعث) كما ورد في الحديث المعروف «كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون» ، وإحياء الموتى وبعثهم من القبور وإحضارهم في محكمة العدل الإلهي لا يحتاج إلى مزيد وقت ، كما كان الأمر عند هلاكهم ، كما الصيحة الأولى للموت ، والصيحة الثانية للحياة والحضور في محكمة العدل الإلهي ، قال تعالى: ﴿ هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ يس [53]، بصيغة الجملة الإسمية دليل على الوقوع السريع لهذا المقطع من القيامة[2]، ومنها في قوله تعالى إشارة أخرى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون [99، 100] ،وبها نستدل على وجود حد فاصل وحياة أخرى بين الدنيا يعرف بالبرزخ عرفه

[1] ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، 214/8.

[2] ظ: الأمثل :ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2013م. 164/11. السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي نور الدين ابن برهان الدين (ت/1044هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ، 1/ 405.

الجرجاني: "البَرزخ عبارةٌ عن الفاصِل بين الشَّيئين، أي الفاصلُ بين عالمِ الأجسام الكَثيفةِ المادِّية وعالم الأرواح المُجردة، أي بين الدُّنيا والآخرة" [1].

وبهذا نستدل بخارقة زمنية تحكي لنا فاصله الزمن بين الموت والحياة، وعن مدى تحكم الخالق بكينونة الزمن بقوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ البقرة [259]، فيوم الدنيا البته ليس كيوم الآخرة، فيوم الدنيا يُقاس بمقياس دنيوي (ساعة وسنة)، ونحن نعلم أنّ الله تعالى عادل ورحيم وباعتقادي مهما حدث جدال ونزاع واختلافات بين أقوال المفسرين إلا أن الله قادرُ على جعل تلك الأيام متساوية برحمته وعدله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة [117]، نجهل كيفية ذلك التساوي فهو قادر على جعل اليوم على هابيل وقابيل مثل اليوم الذي يتوفى به آخر نفس، والكيفية ما هي ألا سر ألهيٌّ يكمن عنده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنعام [103]

لذا تكون القيامة أسلوب تعبير عن الدين وقيام الساعة، فـ الذي يموت ويقبر يبقى هامداً، ويكون بعثه يوم الحساب وهنا يكون بداية لعودة النفس له والله أعلم.

[1] ظ: التعريفات: أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرْجَانِيّ (ت/471هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، 45.

أما عن اقتران الليالي فخير مثال عنه قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر [1]،

وهذا سيأتي الحديث عنه في الليالي المشهورة، أما عن الانفراد في الأيام فقد قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ الإسراء [71] ، وذكر الطبرسي فيه أقوال: أحدها أن ينادى يوم القيامة فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد، فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأسمائهم ثم يقال: هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة، وثانيها: معناه بكتابهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة، وثالثها: إن معناه بمن كانوا يأتمون به من علمائهم وأئمتهم، وفي رواية صحيحة السند عن ما رواه العام والخاص عن الأمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) عن الرسول الأكرم (صل الله عليه وآله وسلم) أنه قال: فيه يدعى كل أناس بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم، أو إن معناه بكتابهم الذي فيه أعمالهم، أو معناه بأمهاتهم[1]، و(يَوْمَ) أي أذكر يوم (نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ) يعني: يوم القيامة [2] .

"فالإمام من يؤتم به، ويؤتمر بأمره وحياً كان أو إنساناً أو عقلاً أو هوى ، وفي الحديث : « يدعى الناس يوم القيامة بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيّهم » ،والمراد بالكتاب في الآية كتاب الأعمال ، وأصحاب اليمين هم أهل الطاعات والحسنات ، وأصحاب الشمال هم أهل المعاصي والسيئات ، والمعنى أن المنادي ينادي يوم القيامة

---

[1] ظ: مجمع البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ،274/6

[2] ظ: فتحُ البيان في مقاصد القرآن : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت/ 1307هـ)تح : خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1992 م 7/426.

: أين اتباع الأنبياء والمصلحين ؟ أين العاملون بوحي العقل والدين؟ . فيأتون ويأخذون كتاب الحسنات وثوابها بأيمانهم فرحين مستبشرين، ينادي المنادي وأيضا: أين أتباع الظلمة الطغاة وأعوانهم؟ أين الخائنون والمفسدون ؟ . فيأتون ويأخذون كتاب السيئات وعقابها بشمائلهم أذلاء خاسئين (ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) . الفتيل تعبير عن الشيء الحقير التافه ، والمعنى أن الله يجزي كلا بعمله ، لا ينقص من ثواب من أحسن، ولا يزيد في عقاب من أساء" [1].

ثانياً: التقديم والتأخير

من آيات التقديم والتأخير هي تكوير الليل والنهار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ الزمر [5]

وفي ذلك إشارة إلى جرَيَان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما. قال ابن الخطيب: إن النور والظلمة عسكرانِ عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا، والمراد من هذا التكوير أنه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر [2].

وصَوَّرَهُما في حالِ كَوْنِهِ يَلُفُّ؛ ويَلْوِي؛ ويُدِيرُ؛ فَيُغَطِّي مَعَ السُّرْعَةِ والعُلُوِّ والغِلَّةِ؛ تَكْوِيرًا كَثِيرًا مُتَجَدِّدًا مُسْتَمِرًّا إلى أجَلِهِ؛ ﴿ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ﴾؛ بِأنْ يَسْتُرَهُ بِهِ؛ فَلا يَدَعُ لَهُ أثَرًا؛ ولِعَظَمَةِ هَذا الصُّنْعِ؛ أعادَ العامِلَ؛ فَقالَ: ﴿ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ ﴾؛ عالِيًا تَكْوِيرُهُ وتَغْطِيَتُهُ؛

---

[1] التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية (ت/1979م) ،دار الأنوار، بيروت، ط4، 5/ 69.

[2] ظ: اللباب في علوم الكتاب: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت/ 775هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، 16/ 472.

﴿ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾؛ فَيُذْهِبُهُ كَذَلِكَ؛ ويُدْخِلُ في هَذا الزِّيادَةَ في كُلٍّ مِنهُما؛ بِما يَنْقُصُ مِنَ الآخَرِ؛ لِأَنَّهُ إذا ذَهَبَ أحَدُهُما؛ وأتى الآخَرُ مَكانَهُ فَكَأنَّ الآتِيَ لَفَّ عَلى الذّاهِبِ؛ وألْبَسَهُ؛ كَما يُلَفُّ اللِّباسُ عَلى اللّابِسِ؛ أوْ أنَّهُ شَبَّهَ الذّاهِبَ في خَفائِهِ بِالآتِي بِشَيْءٍ ظاهِرٍ؛ لُفَّ عَلَيْهِ ما غَيَّبَهُ عَنْ مَطامِحِ الأبْصارِ أوْ أنَّ كُلًّا مِنهُما لَمّا كانَ يَكُرُّ عَلى الآخَرِ كُرُورًا مُتَتابِعًا شُبِّهَ ذَلِكَ بِتَتابُعِ أكْوارٍ بَعْضِها عَلى بَعْضٍ فَتُغَيِّبُ ما تَحْتَها، ولَمّا كانَتِ الظُّلْمَةُ سابِقَةً عَلى الضِّياءِ وكانَ اللَّيْلُ إنَّما هو ظُلْمَةٌ يَسْبِقُها ضِياءٌ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ رَتَّبَ سُبْحانَهُ هَذا التَّرْتِيبَ عَلى حَسَبِ الإيجادِ؛ ولِذَلِكَ قَدَّمَ آيَةَ النَّهارِ [1]. يقول الطباطبائي: "التكوير طرح الشيء بعضه على بعض، فالمراد طرح الليل على النهار وطرح النهار على الليل فيكون من الاستعارة بالكناية قريب المعنى من قوله: ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ **الأعراف [54]**، والمراد استمرار توالي الليل والنهار بظهور هذا على ذاك ثم ذاك على هذا وهكذا ، وهومن التدبير" [2].

ثالثاً: أسرار استخدام بعض الألفاظ في آيات الأيام والليالي

من أسرار القرآن الكريم هو استخدامه للألفاظ التي جاءت معبرة عن أفنان النص وما يحويه من تأمل ملفت بين مفردتين جاءتا بلفظ واحد، ولكل منها يحمل معنى مختلف عن الأخر ومنها قوله تعالى:

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت/ 885هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، 16 /453.

[2] الميزان: محمد حسين الطباطبائي، 17/ 238.

﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة [259]

حادثة تروي لنا قصة الرجل(ورد في معظم كتب التفاسير إنه نبي الله عزير عليه السلام) الذي مر على قرية خاوية وتهدمت جدرانها، وهلك سكانها فسأل عن كيفية إحياء بعد موتها فأماته الله مدة مئة عام، ثم أحياه. يقول الطبرسي: "أنه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك وقيل إن القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه ؛ لأن الله أماته في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال يوماً ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم فقال :بل مكثت في مكانك مائة سنة ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ أي: لم تغيره السنون الأمثل فيرى أكثر المفسرين أن هذه الآية تعني أن الله قد أمات النبي المذكور مدة مائة سنة ثم أحياه بعد ذلك، وهذا ما يستفاد من كلمة " أماته " [1].

([1]) مجمع البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، 2/141–142وظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت/ 510هـ) تح: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997 م،1/ 352.

إلا أن صاحب تفسير المنار يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى نوع من النوم الطويل المعروف عند بعض الحيوانات المسمى بالسبات. حيث يغط الكائن الحي في نوم عميق وطويل دون أن تتوقف فيه الحياة، كالذي حدث مثلا عند أصحاب الكهف ولكن ليس في هذه الآية ما يدل على صحة هذا القول، بل إن ظاهر الآية يدل على أن النبي قد فارق الحياة، وبعد مائة سنة استأنف الحياة مرة أخرى. ولا شك أن موتا وحياة كهذين هما من خوارق العادات [1] فاليوم من جانب عزير (عليه السلام) من أيام الدنيا خاضع لقوانين الطبيعة ودوان الأرض حول نفسها وكما هو الحال ورد ذكره في الآية إنه مات ولم يكن نائم في مدة أمدها مائة عام، والآية الأخرى تتحدث بنفس الطريقة(يوماً أو بعض يوم) ، وجاء بمعنى مختلف كما نرى في قوله تعالى:

﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ **المؤمنـــون [113]** يقول الزمخشري:

"استقصروا مدّة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها؛ لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيام الدعة إليها. أو لأنهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو لأنّ المنقضى في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في مقالهم لسنى لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها. وقرئ فَسْئَلِ الْعادِّينَ

(1) ألامثل في تفسير كتاب الله االمنزل: ناصر مكارم الشيرازي، 2/90–91، تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (ت/ 1354هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م، 3/ 42.

والمعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يومأَنْسَاهُمْ شِدَّةَ الْعَذَابِ مُدَّةَ مُكْثِهِمْ فِي الْقُبُورِ. وَقِيلَ: لِأَنَّ الْعَذَابَ رُفِعَ عَنْهُمْ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ فَنَسَوْا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ فِي قُبُورِهِمْ [1]

في حين يقول محمد صديق خان (ت/1307هـ):" استقصروا مدة لبثهم وشكوا في ذلك لعظم ما هم فيه من العذاب الشديد. وقيل إن العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم، وقيل أنساهم الله ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى النفخة الثانية، ثم لما عرفوا ما أصابهم من النسيان لشدة ما هم فيه من الهول العظيم أحالوا على غيرهم فقالوا:

(فاسأل العادّين) جمع عادّ من العدد، أي المتمكنين من معرفة العدد، وهم الملائكة لأنهم الحفظة العارفون بأعمال العباد وأعمارهم، وقيل المعنى فإسئل الحاسبين العارفين بالحساب من الناس [2]

([1]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت/538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، 3/ 205،وظ:الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت/ 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964 م.155/12.

([2]) فتح البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان 9/ 156.

فكلتا الآيتين تحيكان لنا حدث الأول نبي الله عزير(عليه السلام) وقصة الخارقة الزمنية معه، والثانية عبارة عن سؤال موجه لأهل الأرض عن مدة لبثهم في القبر، وذا سر من أسرار استخدام بعض الألفاظ الليالي

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ هود [81] القطع من الشيء طائِفَةٍ مِنهُ أوْ نَصِفِهِ [1]أما عن قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ يونس [27]

فالقطع جاء هنا كناية عن شدة العذاب كما صورها لنا صاحب كتاب من وحي القرآن: على كل وجهٍ قطعةٌ من الليل الأسود المظلم، الذي يحوّله إلى سوادٍ، أو كأنما تراكمت قطع الليل على كل وجهٍ من وجوههم حتى شكلت طبقاتٍ ملبّدةً من الظلام؛ لأنهم لا يملكون عذراً يعتذرون به، ولا يجدون شفاعةً يلجأون إليها، ولا ملاذاً يلوذون به، فها هم خاشعون من الذلّ، خاضعون أمام المصير المحتوم [2]

([1]) ظ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت/ 710هـ) تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998 م.76/2.
([2]) من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط 2، 1998م.،11/ 300.

المبحث الثاني

مظاهر التوظيف بوصفها ظروفاً للأحداث الزمنية

الظرف هو اسم لبيان زمان أو مكان حصول الفعل، يقع الحدث فيه فيكون كالوعاء له، وقد جاءت الليالي والأيام في القرآن الكريم موظفة بوصفها ظروفاً لتلك الأحداث بأشكال تراكيب تناسب السياقات القرآنية الواردة منها ما جاء موصوف ومنها مضاف ومنها جاء لبيان رمزية الأيام والليالي كما نلاحظ :.

المطلب الثاني: أيام موصوفةٍ

1. ما يتعلق بشؤون العباد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾ الرحمن [29]، " أَغْنَى فَقِيرًا وَأَفْقَرَ غَنِيًّا، وَأَعَزَّ ذَلِيلًا وَأَذَلَّ عَزِيزًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَضْدَادِ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الضِّدَّيْنِ لَيْسَا مُنْحَصِرَيْنِ فِي مُخْتَلِفَيْنِ بَلِ الْمِثْلَانِ فِي حُكْمِهِمَا فَإِنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ، فَمَنْ وُجِدَ فِيهِ حَرَكَةٌ إِلَى مَكَانٍ فِي زَمَانٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ فِيهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ حَرَكَةٌ أُخْرَى أَيْضًا إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَلَيْسَ شَأْنُ اللَّهِ مُقْتَصِرًا عَلَى إِفْقَارِ غَنِيٍّ أَوْ إِغْنَاءِ فَقِيرٍ فِي يَوْمِنَا دُونَ إِفْقَارِهِ أَوْ إِغْنَائِهِ أَمْسِ" [1]، فالخالق (جل وعلا)، يدير الكون كل يوم بطريقة تمليها شؤونه المتجددة، مما يجعل أفعاله تتجدّد وعطاياه تتنوّع في صنع الوجود فيما يحتاج إلى الوجود، وفي تدبير

[1] مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ١٤٢٠ هـ، 359/29.

ما يحتاج إلى التدبير، وقد جاء في رواية الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، أنَّ النبيَّ محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «الله تعالى كل يوم هو في شأن، فإن من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرّج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين» [1]. ويتضح ممّا تقدّم: بلحاظ تكملة النص القرآني إن اليوم الذي يقصده هو الدهر الذي كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ الرحمن [31]، إن الفراغ هنا ليس هو الفراغ من شغل؛ لأن الله تعالى ليس له شغل يفرغ منه، ولا يشغله شأن عن شأن، ولكن تأويله القصد، أي: سنقصد لحسابكم أو مجازاتكم أو محاسبتكم في يوم ما [2] فالأيام التي استعملت هنا انتقلت من معناها الزمني إلى معنى آخر، وهو السلطة والقدرة والتحكم.

2ـ الأيام المعدودة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ ﴾ البقرة [80]

الآية الكريمة تبين كمية القبح في أقْوالِ وأفْعالِ اليهودِ: بأنهم غير مشمولين بالعذاب كونهم شعب الله المختار وما عذابهم إلّا أيّامًا قَلِيلَةً، وهَذا الجَزْمُ لا سَبِيلَ إلَيْهِ بِالعَقْلِ البَتَّةَ ، المَسْألَةُ الأُولى: ذَكَرُوا في تَفْسِيرِ الأيّامِ المَعْدُودَةِ :أنَّ لَفْظَ الأيّامِ لا تُضافُ إلّا إلى العَشْرَةِ فَما دُونَها، ولا تُضافُ إلى ما فَوْقَها. فَيُقالُ: أيّامٌ خَمْسَةٌ وأيّامٌ عَشَرَةٌ ولا

[1] ظ: من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله، 113/21.

[2] ظ: فتح البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان، 328/13، ظ: معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت/ 311هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م،99/5.

يُقالُ أيّامٌ أحَدَ[1]، "والمُرادُ مِنَ النّارِ نارُ الآخِرَة، ومِنَ المَعْدُودَةِ المَحصورَةُ القَلِيلَةُ، وكَنى بِالمَعْدُودَةِ عَنِ القَلِيلَةِ لِما أنَّ الأعْرابَ؛ لِعَدَمِ عِلمِهِم بِالحِسابِ وقَوانِينِهِ تُصَوّرُ القَلِيلَ مُتَيَسِّرَ العَدَدِ والكَثِير مُتَعَسرَه، فَقالوا :شَيء مَعدود، أيْ قَلِيلٌ، وغَيْرُ مَعْدُودٍ أيْ كَثِيرٌ، ورُوِيَ عَنْهم أنَّهم يُعَذَّبُونَ أرْبَعِينَ يَوْمًا عَدَدَ عِبادَتِهِمُ العِجْلَ" [2] .

ويتضح مما تقدم: أنَّ ورود لفظة الأيام بصيغة الجمع مضافة الى مفردة معدودة وليس بمعدودات، إن مدة عذاب اليهود هي سبعة أيام معدودة ثم ينقطع العذاب، فهي بمثابة ظروف لأيام بنظرهم سهلة يسيرة لا غبار عليهم فيها، ولم يضلوا خالدين في النار بل ينعمون بالنعيم بعدها ولذا أحجموا عن ذكر عددها بـ (معدودات).

3ـ اليوم الثقيل

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ الإنسان [27]، "وَاليَوْم الثقِيل هو يَوْم القِيامة؛ وَإِنمَا سُمِي ثقيلا لِشَدَائدِه وَأَهوالِهِ. وَقِيل: لِلقضَاءِ فِيه بَين عباد الله"[3].

وصف الله تعالى ذلك اليوم: بالثقيل وهو وصف شديد الدقة والعمق من ناحية المعنى ثقيل من حيث المحاسبة وثقيل من حيث المجازات وثقيل من حيث الفضائح وثقيل من حيث شدائد الحشر وثقل المسؤوليات وثقيل من حيث الذنوب التي تثقلُ كاهل

---

[1] ظ: مفاتيح الغيب: الرازي، 566/3.

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت/ 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 304/1.

[3] الجامع لإحكام القرآن: القرطبي، 150/19.

المجرمين! وعبّر بـ (وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ) مع أنّ القاعدة تقتضي أن يقال «أمامهم وذلك من أجل الإشعار بأنّ المجرمين نسوا ذلك اليوم إلى حدٍ كأنّه تركوه وراءهم[1] .

ويرى صاحب الميزان: أن اليوم ثقيلا من الاستعارة، والمراد بثقله شدته كأنه محمول ثقيل يشق حمله ، واليوم يوم القيامة، وكون اليوم وراءهم تقرره أمامهم؛ لأن وراء تفيد معنى الإحاطة ، أو جعلهم إياه خلفهم ووراء ظهورهم بناء على إفادة(وَيَذَرُونَ)، معنى الإعراض، والمعنى: فاصبر لحكم ربك وأقم الصلاة ولا تطع الآثمين والكفار منهم؛ لأن هؤلاء الآثمين والكفار يحبون الحياة الدنيا فلا يعملون إلا لها ويتركون أمامهم يوما شديدا أو يعرضون فيجعلون خلفهم يوما شديداً سيلقونه [2] .

4ـ اليوم الموعود

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴾ البروج [2]

عندما أقسم باليوم الذي وعدته على عباده؛ لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة[3]، وفي المعاني معاني الأخبار عن الباقر (عليه السلام) انّه سُئل عن ذلك فقال: ما قيل لك؟ فقال: السائل، قالوا: شاهد يوم الجمعة ومشهود يوم عرفة، فقال: ليس كما قيل لك الشّاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة أما تقرأ القرآن؟ قال الله عزّ وجلّ: ذلك يوم مجموع له النّاس وذلك يوم مشهود. وعن الصادق (عليه السلام) : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة، فعن الحسن المجتبى (عليه السلام):

---

[1] ظ: نفحات القرآن: ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي (عليه السلام)، ايران، ط1، 1426هـ،5/ 50.

[2] ظ: الميزان :20 /155.

[3] ظ: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت/310هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م، 332/24.

انّه سُئل عن ذلك فقال: أمّا الشّاهد فمحمّد أمّا المشهود فيوم القيامة أمّا سمعت الله سبحانه يقول: يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً، وقال: ذلك يوم مجموع له النّاس وذلك يوم مشهود [1].

فاليوم الموعود هو يوم القيامة، وَعَد اللَّهُ سبحانه وتعالى به وبيَّنه في كتابه، ونصب عليه الأدلَّة العقلية التي تدلُّ على أنَّه واقعٌ حتمًا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء [104]، قالَ: اليَوْمُ المَوْعُودُ يَوْمُ القِيامَةِ والشّاهِدُ يَوْمُ الجُمْعَةِ والمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ وهو الحَجُّ الأكْبَرُ فَيَوْمُ الجُمْعَةِ جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا لِمُحَمَّدٍ وأُمَّتِهِ وفَضَّلَهم بِها عَلى الخَلْقِ أجْمَعِينَ وهو سَيِّدُ الأيّامِ عِنْدَ اللَّهِ وأحَبُّ الأعْمالِ فِيهِ إلى اللَّهِ وفِيهِ ساعَةٌ لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصَلِّي يَسْألُ اللَّهَ فِيها خَيْرًا إلّا أعْطاهُ إيّاهُ[2]، وفي قول للآلوسي(ت/ 1270هـ): اليَوْم الَّذي يخرجُ النّاسُ فِيهِ مِن قبورِهِمْ، وقِيلَ: يُمْكِنُ أنْ يُرادَ بِهِ يَوْمَ شَفاعَةِ النَّبِيِّ صَلّى اللَّهُ تَعالى عَلَيْهِ واله وسَلَّمَ[3] .

ويقول صاحب الأمثل: إنّ اليوم الموعود هو اليوم الذي وعد به جميع الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، والذي تحدثت عنه الآيات القرآنية المباركة،

---

(1) ظ: معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت/ 381هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، 1971م، 285، الصافي في تفسير القرآن:محمد المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني(ت/ 1091هـ)، تح: محسن الحسيني الأميني، دار الكتب الإسلامية، ايران، ط1، 1419هـ،7/ 441، ميزان الحكمة، 2/ 530.

(2) ظ: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت/911هـ)، دار الفكر، بيروت.468/8.

(3) ظ: روح المعاني: الألوسي 295/15.

اليـوم الـذي يلتقـي فيـه جميـع الخلـق مـن الأولـين والآخـرين للحسـاب، إنّـه يـوم القيامـة الحـق [1]، ومـن هـذا القـول أرى أنَّ اليـوم الموعـود هـو يـوم القيامـة ، اليـوم الـذي يجمـع فيـه الله (جـل وعـلا) الخلائـق ويجـازيهم، وهـو آتٍ لا ريـب فـي ذلـك البته.

المطلب الثالث: أيام مضافـة

من مظاهر التوظيف القرآني للأيام والليالي مجيئها بصورة مضافة الى ما يدل على معناها كما نرى:

1. يوم الفصل

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ النبأ [17، 18]، أَنَّ يَوْمَ الفصل كَانَ فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ، وَحُكْمِهِ حَدًّا تُؤَقَّتُ بِهِ الدُّنْيَا، أَوْ حَدًّا لِلْخَلَائِقِ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ، أَوْ كَانَ مِيقَاتًا لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، أَوْ كَانَ مِيقَاتًا لِاجْتِمَاعِ كُلِّ الْخَلَائِقِ في فصل الحكومات وقطع الخصومات. و(يَوْمَ يُنفَخُ) ، وهَذا النَّفْخُ هو النَّفْخَةُ الأخِيرَةُ الَّتِي عِنْدَها يَكُونُ الحَشْرُ، والنَّفْخُ في الصُّورِ فِيهِ قَوْلانِ: أحَدُهُما: أنَّ الصُّورَ جَمْعُ الصُّورَةِ، فالنَّفْخُ في الصُّورَةِ عِبارَةٌ عَنْ نَفْخِ الأرْواحِ في الأجْسادِ، والثّانِي: أنَّ الصُّورَةَ عِبارَةٌ عَنْ قَرْنٍ يُنْفَخُ فِيهِ هو وَقْتًا وَمَجْمَعًا وَمِيعَادًا لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ، وَسُمِّيَ يَوْمَ الْفَصْلِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْصِلُ فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) أَيْ لِلْبَعْثِ فَتَأْتُونَ أَيْ إِلَى مَوْضِعِ الْعَرْضِ. أَفْواجاً أَيْ أُمَمًا، كُلُّ أُمَّةٍ

[1] ظ: الأمثل: ناصرمكارم الشيرازي، 177/15.

مَعَ إِمَامِهِمْ [1]، وسمي بيوم الفصل؛ لِأنه يفصَل فيه الحق مِن الباطل وهو مِن أسماء يَوم القيامةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ المرسلات [12، 13][2]، وفي هذا اليوم بيان لصفة يوم القيامة الذي فيه يقوم الناس لرب العالمين وسماه الله يوم الفصل؛ لأنه يوم القضاء الفصل منه تعالى [3].

2. يوم الخلود

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾ سورة ق [34

"وسماه يوم الخلود؛ لأنه لا انتهاء له بل هو دائم أبداً، وهذا القول في الدنيا إعلام وإخبار، وليس ذلك قولاً يقوله عند قوله: ادخلوها، أو أن اطمئنان القلب بالقول أكثر" [4]

فتلك عقبى أُخراكم، ادخلوها بسلام فقد سَلمتمْ من العذاب والآفات، ذلك اليوم: يوم خلود دائم، فمن خصائص العربية استعمال ذلك للتعظيم؛ لتعظيم ذلك اليوم، وعَلى كِلا الوَجْهَيْنِ فَإضافَةُ يَوْمٍ إلى الخُلُودِ بِاعْتِبارِ أنَّ أوَّلَ أيّامِ الخُلُودِ هي أيّامٌ ذاتُ مَقادِيرَ غَيْرِ مُعْتادَةٍ، أوْ بِاعْتِبارِ اسْتِعْمالِ يَوْمٍ بِمَعْنى مُطْلَقِ الزَّمان[5]، "أنتم أيها المتقون في جنة (لا ينقطع نعيمها، ولا يظعن مقيمها، ولا يهرم خالدها، ولا يبأس ساكنها) ولكم على الدوام فوق ما تشتهون وتقترحون وبعد، فإن هذا التفاوت الهائل بين الجنة والنار يكشف

---

[1] ظ: مفاتيح الغيب: الرازي،31/ 12.

[2] ظ: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت/ 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 م.،311/25.

[3] ظ: الميزان في تفسير القرآن: الطبتطبائي، 147/18.

[4] فتح البيان: محمد صديق خان، 179/13.

[5] ظ: التحرير والتنوير :ابن عاشور، 26/ 321.

كشفا قاطعا عن مدى البعد والتفاوت بين درجات المتقين والمجرمين، وان الفرق بين منازلهم عند الله تعالى تماما كالفرق بين الجنة والنار" [1].

3. يوم الجمع

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ التغابن [9]، اليوم الذي يعرف فيه (التَّغَابُنِ) بالفوز عن (المغبون) بالغلبة[2].

هو اليوم الذي يرى فيه أهل جهنم مكانهم الخالي في الجنة ويأسفون لذلك، ويرى أهل الجنة مكانهم الخالي في النار فيفرحون لذلك ثم يتحدث القرآن الكريم عن أحوال المؤمنين في ذلك اليوم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) أو(يَوْمُ التَّغَابُنِ) [3]، ومنها قوله تعالى

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ الشورى [7]، ويروي لنا السمرقندي المعنى: لتنذرهم بيوم القيامة، والباء محذوفة منه كما قال (لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) يعني ببأس شديد وإنما سُمي يوم الجمع: لأنه يجتمع فيه أهل السماء وأهل الأرض كلهم، من الأولين، والآخرين (لَا رَيْبَ فِيهِ) يعني يوم القيامة لا شك فيه أنه كائن [4].(وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) أَيْ: تنذرهم بيوم الجمعِ وهو يَوْمُ القيامة يجمع اللَّهُ الْأَوَّلِينَ والآخرين وأهل السموات وأَهل الأرضِينَ لَا

---

[1] التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية ، 137/7.

[2] ظ: تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت/1112هـ)، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، 532/3.

[3] تفسير الأمثل: ناصر مكار الشيرازي، 382/18.

[4] بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 375هـ)،تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد موجز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م. 137/3.

شك فِي الجمع أَنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون[1]، والقول فيَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ الْأَصْلُ: أَنْذَرْتُ فُلَانًا بِكَذَا فَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى بِيَوْمِ الْجَمْعِ وَأَيْضًا فِيهِ إِضْمَارٌ وَالتَّقْدِيرُ لِتُنْذِرَ أَهْلَ أُمِّ الْقُرَى بِعَذَابِ يَوْمِ الْجَمْعِ وَفِي تَسْمِيَتِهِ بِيَوْمِ الْجَمْعِ وُجُوهٌ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْخَلَائِقَ يُجْمَعُونَ فِيهِ [2].

4. يوم البعث

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل [89]، "نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ لمن صدّق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرّم حرامه ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ يقول: وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته" [3]، "والْأَنْبِيَاءُ شُهَدَاءُ عَلَى أُمَمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا الرِّسَالَةَ وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ شَهِيدٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا" [4]، فالإنسان كلما أيقن بوجود الشهود والمراقبين عليه من قبل الله سبحانه ازداد في محاسبة نفسه[5].

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 138/4.

[2] ظ: مفاتيح الغيب: الرازي، 27/ 580.

[3] جامع البيان: الطبري، 278/17.

[4] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 164/10.

[5] ظ: تفسير الأمثل: الشيرازي 7، 139.138.

5. يوم الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ السجدة [29]

أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد، قال قتادة: قال أصحاب النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) للكفار: إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاء: متى هذا الفتح؟ القضاء، والحكم [1].

الذي هو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم، لأن يوم فتح مكة؛ ويوم بدر: كليهما مما ينفع الإيمان، [2]، والمراد بالفتح هنا اليوم الذي يحكم فيه بالحق [3].

في يوم الفتح أقوال عدة منها: إنَّ يوم الفتح: هو يوم بدر فإنه لم ينفع الذين قتلوا من المشركين إيمانهم بعد القتل، وآخر قال: إنَّ المراد به فتح مكة وغيره، بيد إن هناك نظرية يرد بها ناصر مكارم الشيرازي عن من قال بي : "إذا كان المراد من يوم الفتح يوم القيامة . كما إرتضى ذلك بعض المفسّرين . فإنّ ذلك لا يناسب جملة : (ولا هم ينظرون) لأنّ إعطاء الفرصة وعدمه يرتبط بالحياة الدنيا ، إضافةً إلى أنّ «يوم الفتح» لم يستعمل بمعنى يوم القيامة في أيّ موضع من القرآن الكريم "

6- يوم الآزفة

---

[1] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 604/3.

[2] ظ: فتحُ البيان في مقاصد القرآن : محمد صديق خان، 36/11، ظ: الميزان: الطباطبائي، 273/16.

[3] ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية ،186/6.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر [18]،هو: اسم من أسماء يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾ النجم [57][1].

وذكر صاحب كتاب فتح القدير: أي: يوم القيامة سميت بذلك؛ لقربها، يقال: أَزِفَ فلان، أي: قرب يَأزَف أزفاً، ومنه قول النابغة:

أَزف التّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكابَنَا ... لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِنْ [2]

"والإنذار، وَالإعلام المُقترن بتهدِيد خاصة، فكُل إنذار إعلام، وَليس كُل إعلام إنذاراً" [3].وهو: يوم حضور الموت، فهو: قريب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ غافر [18]، وذلك أنها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجرة كقوله: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ الأحزاب [10]

بين سبحانه: أنه لا ينفع الكافرين في ذلك اليوم أحد، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله، (يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ) قال: يوم القيامة يلتقي فيه آدم، وآخر ولده، وأخرج

---

(1) ظ: تفسير القرآن العظيم: أبو القاسم بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت/ 360هـ)، تح: هشام بن عبد الكريم الموصلي، ط2. 123/7.

(2) ظ: فتح القدير: ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت/ 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ، 557/24، ديوان النابغة الذبياني: نقلا عن ديوان الشعراء الخمسة، الهلال، مصر، 1911م، 41.

(3) أضواء البيان: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت/1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، لبنان،1995 م. 3/382.

عنه أيضاً قال: (يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ) يوم الآزفة، ونحو هذا من أسماء يوم القيامة عظمه الله، وحذره عباده[1]. ونلاحظ أن الأيام المضافة التي سلف ذكرها هي مظاهر تصويرية مظافة تدل على يوم القيامة.

7. يوم الظُّلَّة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ ﴾ الشعراء [189]

إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم عظيم لقوم شُعيب [2]، وفي قَوْلُه قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَبَسَ عَنْهُمُ الرِّيحَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْحَرَّ حَتَّى أَخَذَ بِأَنْفَاسِهِمْ، وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ فَكَانُوا يَدْخُلُونَ الْأَسْرَابَ، لِيَتَبَرَّدُوا فِيهَا فَيَجِدُوهَا أَشَدَّ حَرًّا مِنَ الظَّاهِرِ، فَهَرَبُوا إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَأَظَلَّتْهُمْ سَحَابَةٌ وَهِيَ الظُّلَّةُ، فَوَجَدُوا لَهَا بَرْدًا وَنَسِيمًا، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا فَاحْتَرَقُوا [3].

وأمّا الظلة فهي السحاب أقامها الله فوق رؤوسهم(قوم شعيب)، فأمطرت عليهم ناراً فهلكوا، وقد أصابهم الله بما اقترفوه؛ لأنهم إن أرادوا بالكسف القطعة من السحاب فظاهر، وإن أرادوا بها القطعة من السماء فقد نزل عليهم العذاب من جهتها[4].

ولهذا يوم الظُّلَّة: هو اليوم الذي أنزل فيه اللهُ العذابَ على قوم النبي شعيب (عليه السلام)، ولا يعني يوم واحد بل امتد الى سبعة أيام.

---

(1) ظ: معاني القرآن وإعرابه: ، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت/ 311هـ) ،تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، 4/ ٣٦٩، فتح القدير: 557/4.

(2) ظ: جامع البيان: الطبري، 394/19.

(3) ظ: الجامع لأحكام القرآن:القرطبي، 13/ 137.

(4) ظ: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، 416/9.

المطلب الرابع: الأيام ظروف الأحداث

1. يوم بياض الوجه وسوادّه

يُرِيدُب بذلك اليوم: تَبْيَضُّ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ الْكَافِرِينَ وَقِيلَ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ الْمُخْلِصِينَ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ الْمُنَافِقِينَ،و يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ آل عمران [106] [1]، فالمراد باليوم هذا: يوم القيامة، وبياض الوجه كناية عن استبشار المؤمن برضوان الله وفضله، وسواد الوجه كناية عن حزن الكافر والفاسق لغضبه تعالى عليهما، وعذابه لهما [2].

وأرى: أنَّ بياض الوجه وسواده ماهي إلا كناية بما قدمته يداه فإذا كان مدلوله سروراً وبهجة من نعم الله الخالق وفضله فوسم ببياض الوجه وانقلب الى أهله مسروراً، وأمّا إذا جاء يوم القيامة وكان مسّود الوجه دل على قبح أعماله بغبار الطمع والجشع وكان ذا صورة مغبرة وتبدلت صورته شقي وتعس والله أعلم.

وهذا ينتهي المشهد العظيم بإعلان قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ المائدة [119]، يَعْنِي يَوْمَ القِيامَةِ، وإنَّما نَفَعَهُمُ الصِّدْقُ في ذَلِكَ اليَوْمِ؛ لِوُقُوعِ الجَزاءِ فِيهِ وإنْ كانَ في كُلِّ الأيّامِ نافِعًا، وفي هَذا الصِّدْقِ

[1] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 1/ 489-490.

[2] ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية ،128/2.

الَّــذِي كــانَ مِــنهم فــي الــدُّنْيا نَفَعَهــم فــي الآخِــرَةِ جُــوزُوا عَلَيْــهِ مِــنَ الثَّــوابِ، فَعَلى هَذا المُرادِ بِهَذا الصِّدْقِ، أَنَّهُ صِدْقُهم في عُهُودِهِمْ بِالبَلاغِ، أو أَنَّهُ تَصْدِيقُهم لِرُسُلِ اللَّهِ وكُتُبِه[1] ، والإشارَةُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ وهو حاضِرٌ وظاهرةٌ حِينَ تَجْرِي هَذِه المُقاوَلَةُ وجملة (يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ) مُضاف إلَيها يَوْمَ، أي هَذا يَوْمُ نَفْعِ الصِدقِ، أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْحَقِّ فَالصَّادِقُ يَنْتَفِعُ فِيهِ بِصِدْقِهِ؛ لِأَنَّ الصِّدْقَ حَسَنٌ فَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْحَقِّ إِلَّا الْأَثَرُ الْحَسَنُ، بِخِلَافِ الْحَالِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا عَالَمِ حُصُولِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ يَجُرُّ ضُرًّا لِصَاحِبِهِ بِتَحْرِيفِ النَّاسِ لِلْحَقَائِقِ، أَوْ بِمُؤَاخَذَتِهِ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ لَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَأَمَّا مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ فَذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ الْحَاصِلِ فِي يَوْمِ القِيامَةِ [2].

2. يوم فرار المرء

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ عبس [34-36]

توهم الانسان في تلك اللحظة العصيبة عليه أَنَّ الفرار هو المخلص، وفي ذلك اليوم رَأى ما يَحِلُّ مِنَ العَذابِ بِأَقْرَبِ النّاسِ إلَيْهِ كَوْنُ أَقْرَبِ النّاسِ لِلْإنْسانِ، يَفِرُّ مِنهم يَقْتَضِي هَوْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ بِحَيْثُ، إذْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ كانَ مُماثِلًا لَهم فِيما ارْتَكَبُوهُ مِنَ الأعْمالِ،

---

[1] ظ: تفسير النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت/ 450هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، لبنان ،90/2.

[2] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 7/ 118.

ورُتِّبَتْ أصْنافُ القَرابَةِ في الآيَةِ حَسَبَ الصُّعُودِ مِنَ الصِّنْفِ إلى مَن هو أقْوى مِنهُ تَدَرُّجًا في تَهْوِيلِ ذَلِكَ اليَوْمِ. فابْتُدِئَ بِالأخِ لِشِدَّةِ اتِّصالِهِ بِأخِيهِ مِن زَمَنِ الصِّبا فَيَنْشَأُ بِذَلِكَ إلْفٌ بَيْنَهُما يَسْتَمِرُّ طُولَ الحَياةِ، ثُمَّ ارْتُقِيَ مِنَ الأخِ إلى الأبَوَيْنِ وهُما أشَدُّ قُرْبًا لِابْنَيْهِما، وقُدِّمَتِ الأُمُّ في الذِّكْرِ لِأنَّ إلْفَ ابْنِها بِها أقْوى مِنهُ بِأبِيهِ ولِلرَّعْيِ عَلى الفاصِلَةِ، وانْتُقِلَ إلى الزَّوْجَةِ والبَنِينَ وهُما مُجْتَمَعُ عائِلَةِ الإنْسانِ وأشَدُّ النّاسِ قُرْبًا بِهِ ومُلازَمَةً [1]. ففي ذلك اليوم الرهيب يهرب الإنسان من أحبابه، من أخيه، وأمه، وأبيه، وزوجته، وأولاده لاشتغاله بنفسه قال في التسهيل: ذكر تعالى فرار الإنسان من أحبابه، ورتبهم على مراتبهم في الحنو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشدُّ شفقةً على بنيه من كل من تقدم ذكره و لكل إنسان منهم في ذلك اليوم العصيب، شأنٌ يشغله عن شأن غيره، فإنه لا يفكر في سوى نفسه، وبيَّن بعدها حال الناس وانقسامهم في ذلك اليوم إلى سعداء وأشقياء، فقال تعالى في وصف السعداء: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ عبس [38]، أي وجوه في ذلك اليوم مضيئة مشرقة من البهجة والسرور ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ عبس [39]، أي فرحة مسرورة بما رأته من كرامة الله ورضوانه[2]، وفي خلاصة الحديث عن الأيام التي تدل

---

[1] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 30/ 135.

[2] ظ: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني(ت/2021م)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997 م،3/ 496، ظ: التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت/741هـ)، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ، 2/ 454.

بوقعها على يوم القيامة وأسمائها يقول الإمام علي (عليه السلام) في مناجاته: اللهم إني أسألك الأمان يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم [1].

3. اليوم الذي لا بيع فيه ولا خُلَّة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة [254]

يقول الطبري : ادخروا لأنفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم، بالنفقة منها في سبيل الله، والصدقة على أهل المسكنة والحاجة، وإيتاء ما فرض الله عليكم فيها، وابتاعوا بها ما عنده مما أعده لأوليائه من الكرامة، بتقديم ذلك لأنفسكم، ما دام لكم السبيل إلى ابتياعه، بما ندبتكم إليه، وأمرتكم به من النفقة من أموالكم[2]، "من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه"، يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه، من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم، والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه، أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحوكم به ولا شفاعة قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ طه [109] [3].

---

[1] ظ: بحار الأنوار: العلامة المجلسي، 419/97.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن:الطبري، 5/ 382.

[3] ظ: نوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت/ ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ١٤١٨ هـ.153/1.

ويـأمر تعـالى عبـاده بالإنفـاق ممـا رزقهـم فـي سـبيله سـبيل الخيـر ليـدخروا ثـــواب ذلـــك عنـــد ربهـــم وليبـــادروا إلـــى ذلـــك فـــي هـــذه الحيـــاة الـــــــــدنيا(مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ)، يعنـــــــــي: يـــــــــوم القيامـــــــــة (لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ)، أي: لا يبـاع أحـد مـن نفسـه ولا يفـادى بمـال لـو بذلـه، ولـو جـاء بملء الأرض ذهبـا ولا تنفعـه خلـة أحـد، يعنـي: صـداقته بـل ولا نســـــــابته كمـــــــا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ **[المؤمنون 101]**، (ولا شفاعة) أي : ولا تنفعهم شفاعة الشافعين[1].

4. يوم الوفاء بالوعد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ آل عمران [30]

يرى الرازي(ت/606هـ): أنَّ هَذِهِ الآيَةَ مِن بابِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ، ومِن تَمامِ الكَلامِ الَّذِي تَقَدَّمَ، في قَوْلِهِ: (يَوْمَ) وُجُوهًا: الأوَّلُ: قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: اليَوْمَ مُتَعَلِّقٌ بِالمَصِيرِ والتَّقْدِيرُ: وإلى اللَّهِ المَصِيرُ يَوْمَ تَجِدُ، الثّانِي: العامِلُ فِيهِ قَوْلُهُ: (وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ) في الآيَةِ السّابِقَةِ، كَأنَّهُ قالَ: ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ في ذَلِكَ اليَوْمِ[2] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت/ 774هـ) تح: محمد حسين شمس الدين الناشر، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419 هـ. 511/1.

(2) ظ: مفاتيح الغيب: الرازي، 197/8.

ويتجلى علم الله وقدرته في يوم البعث أمامها، حيث تتجسد الأعمال وتتحول الى حقائق مشهودة يراها الإنسان، وكم هي ممتعة ورائعة أن يجد الإنسان خير عمله، حيث قد ذهب عناؤه وانتهت صعوباته، وبقيت عاقبته الحسنى [1].

5. يوم ينظر المرء ما قدم

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ النبأ [40]، وقال علي بن إبراهيم معنى قوله تعالى قال: ترابياً أي علويا، وقال: إن رسول الله (صل الله عليه وآله) قال: المكنى أمير المؤمنين أبو تراب [2]، و في كتاب علل الشرائع بإسناده إلى عباية بن ربعي قال: قلت لعبد الله ابن عباس: لم كنى رسول الله(صلى الله عليه وآله) عليا أبا تراب؟ قال: لأنه صاحب الأرض وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها واليه سكونها، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة على من الثواب و الزلفى والكرامة قال: " يا ليتني كنت ترابا " أي من شيعة علي (عليه السلام)، وذلك قول الله عز وجل " ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا " [3]، وهَذا كُلُّهُ تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ، وحَثٌّ أكِيدٌ

---

[1] من هدي القرآن: محمد تقي المدرسي، دار القارئ، ط:2، 2008م، 396/1ـ397.

[2] تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(ت/329هـ)، تح: طيب الموسوي، مطبعة النجف، 1387هـ، 402/2.

[3] علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت/ 381 هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط1، 2006م. 157/1، تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت/1112هـ)، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، د. ت.496/5ـ497.

عَلى السَّعْيِ الحَثِيثِ لِفِعْلِ الخَيْرِ، وطَلَبِ النَّجاةِ في اليَوْمِ الحَقِّ. نَسْألُ اللَّهَ السَّلامَةَ والعافِيَةَ [1].

6. يوم صدق الوعد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ المائدة [119]، يَعْنِي يَوْمَ القِيامَةِ، وإنَّما نَفَعَهُمُ الصِّدْقُ في ذَلِكَ اليَوْمِ لِوُقُوعِ الجَزاءِ فِيهِ وإنْ كانَ في كُلِّ الأيّامِ نافِعًا، وفي هَذا الصِّدْقِ قَوْلانِ: أحَدُهُما: أنَّ صِدْقَهُمُ الَّذِي كانَ مِنهم في الدُّنْيا نَفَعَهم في الآخِرَةِ جُوزُوا عَلَيْهِ مِنَ الثَّوابِ، فَعَلى هَذا المُرادِ بِهَذا الصِّدْقِ وجْهانِ مُحْتَمَلانِ :أحَدُهُما: أنَّهُ صِدْقُهم في عُهُودِهِمْ بِالبَلاغِ ،والثّانِي: أنَّهُ تَصْدِيقُهم لِرُسُلِ اللَّهِ وكُتُبِه، والقَوْلُ الثّانِي: أنَّهُ صِدْقٌ يَكُونُ مِنهم في الآخِرَةِ يَنْفَعُهم لِقِيامِهِمْ فِيهِ بِحَقِّ اللَّهِ، فَعَلى هَذا في المُرادِ بِهَذا الصِّدْقِ وجْهانِ مُحْتَمَلانِ: أحَدُهُما: أنَّهُ صِدْقُهم في الشَّهادَةِ لِأنْبِيائِهِمْ والثّانِي: صِدْقُهم فِيما شَهِدُوا بِهِ عَلى أنْفُسِهِمْ عَنْ أعْمالِهِمْ، ويَكُونُ وجْهُ النَّفْعِ فِيهِ أنْ يَكُفُّوا المُؤاخَذَةَ بِتَرْكِهِمْ كَتْمَ الشَّهادَةِ، فَيَغْفِرُ لَهم بِإقْرارِهِمْ لِأنْبِيائِهِمْ وعَلى أنْفُسِهِمْ. وَهَلْ هم مَصْرُوفُونَ عَنْهُ قَبْلَ

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت/1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، لبنان،1995 م، 414/4.

مَوْقِفِ العَرْضِ؟ عَلى قَوْلَيْنِ، واللَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أعْلَمُ بِالصَّوابِ[1] ، و يكون المراد به صدقهم في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ [2]. أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْحَقِّ فَالصَّادِقُ يَنْتَفِعُ فِيهِ بِصِدْقِهِ، لِأَنَّ الصِّدْقَ حَسَنٌ فَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْحَقِّ إِلَّا الْأَثَرُ الْحَسَنُ، بِخِلَافِ الْحَالِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا عَالَمِ حُصُولِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ يَجُرُّ ضُرًّا لِصَاحِبِهِ بِتَحْرِيفِ النَّاسِ لِلْحَقَائِقِ، أَوْ بِمُؤَاخَذَتِهِ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ لَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ. وَأَمَّا مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ فَذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ الْحَاصِلِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ[3].

7. أمر الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ يونس [24]

وتأويل ذلك عند الطبري يقول: جاء الأرض "أمرنا"، يعني: قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلا وإما نهارًا (فَجَعَلْنَاهَا)، يقول: فجعلنا ما عليها (حَصِيدًا)، يعني: مقطوعة مقلوعة من أصولها [4]، والأمر عند ابن عطية الآتي أحد الأمور كالريح والصر والسموم ونحو ذلك، وتقسيمه (لَيْلًا أَوْ نَهَارًا) تنبيه على الخوف وارتفاع الأمن في

---

[1] تفسير النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت/ 450هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، لبنان. 90/2.

[2] مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي 378/3.

[3] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 118/7.

[4] جامع البيان: الطبري، 15/ 56.

كـل وقـت [1]، اتاهـا أمرهـا: قضـاؤنا أو عـذابنا(لَيْلًا أَوْ نَهَارًا) أي زرعهـا (حَصِيدًا) كالمحصود بالمناجل (كَأَن) مخففة أي كأنها(لَّمْ تَغْنَ) تكن [2]، أيْ فـي لَيْلٍ أوْ فـي نَهارٍ ولَعَلَّ المُرادَ الإشارَةُ إلى أنَّهُ لا فَرْقَ في إتْيانِ العَذابِ بَيْنَ زَمَنِ غَفْلَتِهِمْ وزَمَنِ يَقَظَتِهِمْ إذْ لا يَمْنَعُ مِنهُ مانِعٌ ولا يَدْفَعُ عَنْهُ دافِعٌ [3].

المطلب الخامس: توظيف آيات الليالي

أ . القسم بالليل وما يتعلق به

من مظاهر توظيف الليالي القسم بها من خلال تعظيمها وتبجيلها.

1. إقبال الليل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ التكوير [17]

بالرجوع إلى المعاني اللغوية يتضح أنَّ: عسعس دنا من أوله وأظلم، والعسّ طلب الشيء بالليل، عسّ يعسُّ عسّاً، ومنه أخذ العسس. وقال صاحب العين: العَسّ نقض الليل عن أهل الريبة والعَسّ قدح عظيم من خشب أو غيره، وكأن أصله امتلاء الشيء

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت/ 542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1422 هـ.3/ 114.

[2] تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت/ 864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت/ 911هـ)، دار الحديث ، القاهرة، ط1. 270.

[3] روح المعاني: الآلوسي، 6/ 96.

بما فيه، فقدح اللبن من شأنه أن يمتلئ به، ويمتلئ، الليل بما فيه من الظلام، وعسعس أدبر بامتلاء ظلامه. وقال الحسن: معناه إذا أظلم [1].

فأقبل ظلامه، واعتكر سواده وقتامه، فظهرت الكواكب زهراً منثوراً في بيداء تلك الغياهب، فإن فيه نقصاناً بالظلام وغير ذلك من الأحكام، وقيل :معناه أدبر، وقيل: أظلم، وقيل: انتصف، وقيل: انقضى، وسعسع بمعناه فهو ما لا يستحيل بالانعكاس، والآية من الاحتباك: ذكر خنوس الكواكب وكنوسها أولاً يفهم ظهورها ثانياً، وذكر الليل ثانياً يفهم حذف النهار أولاً [2].

" وقِيلَ: هي لُغَةُ قُرَيْشٍ خاصَّةً، وقِيلَ: كَوْنُهُ بِمَعْنى أقْبَلَ ظَلامُهُ أوْفَقُ بِقَوْلِهِ تَعالى:﴿والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ﴾ فَإنَّهُ أوَّلُ النَّهارِ فَيُناسِبُ أوَّلَ اللَّيْلِ، وقِيلَ: كَوْنُهُ بِمَعْنى أدْبَرَ أنْسَبُ بِهَذا لِما بَيْنَ إدْبارِ اللَّيْلِ وتَنَفُّسِ الصُّبْحِ مِنَ المُلاصَقَةِ فَيَكُونُ بَيْنَهُما مُناسَبَةُ الجِوارِ، والمُرادُ مِن تَنَفُّسِ الصُّبْحِ عَلى ما ذَكَرَ غَيْرُ واحِدٍ إضاءَتَهُ وتَبَلُّجَهُ" [3].

2. إدبار الليل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ الفجر [4]

وفي قول مسند الى عِكْرِمَةُ وَالْكَلْبِيُّ وَمُجَاهِدٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ: رجح تلك الليلة على إنها: لَيْلَةُ الْمُزْدَلِفَةِ ؛ لِإِخِصَاصِهَا بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا لِطَاعَةِ اللَّهِ. وَقِيلَ: لَيْلَةُ

---

[1] ظ: كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت/ ١٧٠هـ)، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 74/1، التبيان في تفسير القرآن: 285/10

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، 21/ 286.

[3] روح المعاني: الآلوسي، 15/ 262.

الْقَدْرِ، لِسَرَايَةِ الرَّحْمَةِ فِيهَا، وَاخْتِصَاصِهَا بِزِيَادَةِ الثَّوَابِ فِيهَا. وَقِيلَ: إِنَّهُ أَرَادَ عُمُومَ اللَّيْلِ كُلَّهُ [1]، وحصل الاتِّفَاقَ عَلى المَعْنى وهو سَرَيانُ اللَّيْلِ، ولَكِنَّ الخِلافَ في التَّعْبِينِ: هَلِ المُرادُ بِهِ عُمُومُ اللَّيالِي في كُلِّ لَيْلَةٍ أو لَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ ؟ وما هي ؟ فَقِيلَ أيضا هي: الليالي العَشْرُ من عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ [2].وأقسم تعالى: وحق الليل عندما يسرى ويمضى، تاركاً من خلفه ظلامه، ليحل محله النهار بضيائه، أو: وحق الليل وقت أن يَسْرِى فيه السارون، بعد أن أخذوا حظهم من النوم، فإسناد السُّرَى إلى الليل على سبيل المجاز، كما في قولهم: ليل نائم، أي: ينام فيه الناس [3].

3. ما يشتمل عليه الليل والنهار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ الانشقاق [17]

وجيء هنا بالقسم باللّيل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه، وقيل هو ما بقي من النّهار وقال ابن عباس، وأكثر المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشّمس، وهو مذهب عامة العلماء، وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبي حنيفة أي: جمع وضم ما كان منتشراً بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك أن اللّيل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه، وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد، فيجوز أن يقسم به [4]، والتركيب يدل على الاجتماع والضم ومنه الوسق؛ لأنه جامع لستين صاعاً. واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت، وقد وسقها

---

[1] ظ: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 42/20.

[2] ظ: أضواء البيان:الشنقيطي، 8/ 523.

[3] ظ:التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، ط1.15/384.

[4] ظ: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، 409/4.

الراعـي أي جمعهـا. أقسـم الله سـبحانه بجميـع مـا ضـمه الليـل وآواه وسـتره مـن النجـوم والدواب وغيرها. ويمكن أن يكون من جملته أعمال العباد الصـالحين. ثم أقسم بالقمر إذا اتسق أي اجتمع نوره وتكامل كما يقال " أمور فلان متسقة " أي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة [1]، والوسق هو جمع المتفرق، أي: وأقسم بالليل وما جمعه وما ضمّه وستره بظلمته فما موصولة، يقال: وسقه فاتسق واستوسق يعني: أنّ كلا منهما مطاوع لوسق أي: جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك إنَّه إذا أقبل الليل أقبل كل شيء الى مأواه مما كان منتشرا بالنهار، وقيل يجوز أن يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل؛ لأنه تعالى قد مدح المستغفرين بالأَسحار فيجوز أن يقسم بهم[2].

[1] ظ:غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت/ 850هـ) تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416 هـ.: 6/ 470ـ471.

[2] ظ: روح البيان في تفسير القرآن: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (ت/ 1127هـ)، دار الفكر، بيروت،10/ 380، المفردات في غريب القرآن، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.871.

4: القسم بغشاوة الليل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ الشمس [4]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ الليل [1]

إنَّ اللَّيْلَ فيه سكون (الناس) وهدوء الأصوات وفيه النَّوْم وهو الموت الأصغر فيكون بعد طلوع الفَجْرِ كالنفخ في الصور فيتحرك الناس [1].

ويمثل هذا القسم صورة من صورة غشاء الكون بالظلام، فكأنه غشاء يلقي بظله على الأفق، فيحجب كل إشراقةٍ في الكون في أرجائه، وهنا تتخدّر العيون فيزحف إليها النعاس، وتهدأ الأجساد فتكف عن الحركة، ويستسلم الناس للاسترخاء، فيحتضنون أحلامهم في حبٍّ وهدوء، ويغيبون في استغراق في أحلام اليقظة أو في أحلام النوم، وتغفو الأسرار وتحتجب عن العيون، إنه الكون الرهيب الذي يدفع إلى التفكير، ويوحي بالروحانية، ويقود إلى همسات الحب ووشوشات الظلام ووسوسات الصدور ونبضات القلوب وإيحاءات الشعور. وهذا ما يريد الله من الإنسان أن يستغرق فيه، ليدرك سرّ العظمة في النظام الكوني الذي يتحرك فيه [2]، والقسم الأول بالليل حين يغطي بظلامه نصف الكرة الأرضية، أو يغطي قرص الشمس، وهذا القسم تأكيد على أهمية الليل ودوره الفاعل في حياة الأفراد، من تعديله لحرارة الشمس، ونشره السكينة على كل الموجودات الحية، وتوفير الجو لعبادة المتهجدين ومناجاة الصالحين. والنهار يبدأ من اللحظة التي

---

[1] ظ: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، 4/7- 8.

[2] ظ: من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله، 24/ 293-292.

يطلع فيها الفجر، فيشق قلب ظلام الليل، ثم يمتد ليملأ كل السماء، ويغمر كل شيء بالنور. بهذا النور الذي هو رمز الحركة والحياة، والعامل على نمو كل الموجودات الحية في القرآن الكريم تركيز على مسألة نظام " النور " و" الظلمة " ودورهما في حياة البشر؛ لأنهما من نعم الله الكبرى ومن آياته العظمى سبحانه [1].

5. القسم بسكون الليل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ الضحى [2]

أي: سكن واستقر ظلامه وقيل إن المراد بالضحى أول ساعة من النهار، وقيل صدر النهار وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الشتاء والصيف وقيل معناه ورب الضحى ورب الليل إذا سجى عن الجبائي وقيل إذا سجى أي: غطى بالظلمة كل شيء عن عطاء والضحاك وقيل إذا أقبل ظلامه عن الحسن في قوله تعالى: **﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ الضحى [3]**، جواب القسم ومعناه وما تركك يا محمد ربك وما قطع عنك الوحي توديعا لك وما قلاك أي ما أبغضك منذ اصطفاك [2].

---

[1] ظ: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، 255/20.

[2] ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، 20/ 294.

ويكون "(سَجَىٰ) من السَّجو أو السُّجو، أي سكن وهدأ، وتأتي الكلمة أيضاً بمعنى غطّى، وأقبل ظلامه. والميت الملفوف بالكفن «مسجّى»، وفي الآية بمعنى سكن وهدأ، والليلة الخالية من الرياح تسمى «ليلة ساجية» أي هادئة، والبحر حين يستقر ويخلو من الأمواج الصاخبة يسمى «بحر ساج». والمهم في الليل- على أي حال- هدوءاً وسكينته ممّا يضفي على روح الإنسان وأعصابه هدوءً وارتياحاً، ويُعدّه لممارسة نشاط يوم غد، وهو لذلك نعمة مهمّة استحقت القسم بها. بين القَسَمين ومحتوى السّورة تشابه كبير وارتباط وثيق. النهار مثل نزول نور الوحي على قلب النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، والليل كانقطاع الوحي المؤقت، وهو أيضاً ضروري في بعض المقاطع الزمنية" [1].

هاتـه الليـالي والأيـام أدلـة مـن أدلـة مظـاهر عظمـة الخـالق وأمـارات صـنعه العظـيم فالقسـم بهـا تأكيـد علـى عظمتهـا مـن جهـة، والتبجيـل والتعظـيم بهـا مـن جهـة أخـرى، وتعريـف الخلـق أنهـا مـن صـنع الخـالق (جـل وعـلا). وعلـى وتيـرة الكـلام به، لذا نرى إنَّ قسمه بمخلوقاته ومنها الليل .

6. النذير بقسم الليل

[1] الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، 276/20.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ المدثر [32، 33]، وَيرادُ بها الحالُ والمخَاطبةُ والنِّذَارَةُ، وأقْسَمَ تعالى بالقَمَرِ وما بَعدَه تَنْبيهاً عَلَى النَّظَرِ في ذلكَ والفكرِ المؤدّي إلى تعظيمهِ . تعالَى . وتحصيلِ معرفتِه تعالى مالك الكلّ وقوام الوجود [1].

فبعد أن زجر سبحانه الجاحدين، أقسم بالقمر والليل والنهار إن النار حق لا ريب فيه، وإنها العذاب الذي لا عذاب فوقه ولا مثله. وفي القسم بهذه الكائنات إيماء إلى أَنَّ ذوي البصائر يستدلون بما فيها من بديع الصنع على وجود الصانع، وان من أوجدها من لا شيء قادر على أن يحيي العظام وهي رميم [2]، والقسم بالقمر؛ لأنّه إحدى الآيات الإلهية الكبرى [3].

ب . أهمية الليالي

1. جعلها لباساً

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ الفرقان [47]

القول في تأويل ذلك: الذي مدّ الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباسا. وإنما قال جلّ ثناؤه (وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا) ؛ لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون، فصار لهم سترا يستترون به، كما

---

[1] ظ: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت/ 875هـ)، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ، 515/5.

[2] ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية 7/ 464.

[3] ظ: تفسير الأمثل: الشيرازي،460/28.

يستترون بالثياب التي يُكسونها وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم، وتهدأ به جوارحكم [1] .

وقال البغوي: "سِتْرًا تَسْتَتِرُونَ بِهِ، يُرِيدُ أَنَّ ظُلْمَتَهُ تَغْشَى كُلَّ شَيْءٍ، كَاللِّبَاسِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى لَابِسِهُ،(وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا) رَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ وَقَطْعًا لِعَمَلِكُمْ، وَأَصْلُ "السَّبْتِ": الْقَطْعُ، وَالنَّائِمُ مَسْبُوتٌ لِأَنَّهُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَحَرَكَتُهُ" [2]. وهَذِهِ الآيَةُ وما بها من دلالة على قدرة الخالق وبيان لنعمائه في الخلق العظيم ؛ لِأَنَّ الِاحْتِجابَ بِسَتْرِ اللَّيْلِ كَمْ فِيهِ لِكَثِيرٍ مِنَ النّاسِ مِن فَوائِدَ دِينِيَّةٍ ودُنْيَوِيَّةٍ، والنَّوْمُ واليَقَظَةُ شَبَّهَهُما بِالمَوْتِ والحَياةِ، وعَنْ لُقْمانَ أنَّهُ قالَ لِابْنِهِ: كَما تَنامُ فَتُوقَظُ، كَذَلِكَ تَمُوتُ فَتُحْشَرُ [3].

فهو جعل الليلَ وقتاً لسكون قومٍ ووقتاً لإنزعاج آخرين؛ فأربابُ الغفلة يسكنون في ليلهم، والمحبون يسهرون في ليلهم إنْ كانوا في رَوْحِ الوصال، فلا يأخذهم النومُ لكمال أُنْسِهم، وإن كانوا في ألم الفراق فلا يأخذهم النوم لكمال قلقهم، فالسّهرُ للأحباب صِفَةٌ: إمَّا لكمال السرور أو لهجوم الهموم[4].

ويرى الآلوسي: أن في ذلك بَيانٌ لِبَعْضِ بَدائِعِ آثارِ قُدْرَتِهِ – عَزَّ وجَلَّ – ورَوائِعِ أحْكامِ رَحْمَتِهِ ونِعْمَتِهِ الفائِضَةِ عَلى الخَلْقِ، وتَلْوِينُ الخِطابِ؛ لِتَوْفِيَةِ مَقامِ الِامْتِنانِ حَقَّهُ، واللّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ (جَعَلَ) وتَقْدِيمُها عَلى مَفْعُولَيْهِ لِلِاعْتِناءِ بِبَيانِ كَوْنِ ما بَعْدُ مِن مَنافِعِهِمْ، وفي تَعْقِيبِ بَيانِ أحْوالِ الظِّلِّ بِبَيانِ أحْكامِ اللَّيْلِ الَّذِي هو ظِلُّ الأرْضِ مِن

---

[1] جامع البيان: الطبري، 278/19.

[2] معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 448/3.

[3] ظ: مفاتيح الغيب: الرازي،465/24.

[4] لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت/ 465هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3. 2/ 639.

لُطْفِ المَسْلَكِ ما لا مَزِيدَ عَلَيْهِ، أيْ: وهو الَّذِي جَعَلَ لِنَفْعِكُمُ اللَّيْلَ كاللِّباسِ يَسْتُرُكم بِظَلامِهِ كَما يَسْتُرُكُمُ اللِّباسُ [1].

فعندما تغيب الشمس وتُحجب أشعتها يأتي الليل ولابد من الإشارة الى أهمية العظمى في خلق الليل، فهو ملجأ الإنسان للسكون والراحة وتخليصه من ضغوطات الحياة، ومجهوداته خلال النهار، واثر ذلك عميق في نفسه يستعيد من نشاطه وحيويته إضافة الى كونه موعد ولقاء مع النفس لكي ترقى، ذو أثر عظيم وفرصة للتقرب من الله تعالى بسبب سكون الداخل وملؤه بالفيوضات الإلهية .

2. للهجوع

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ الذاريات [17]

في قَوْلِهِ تَعالى: (مِّنَ ٱلَّيۡلِ) وذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّوْمَ القَلِيلَ بِالنَّهارِ قَدْ يُوجَدُ مِن كُلِّ أحَدٍ، وأمّا اللَّيْلُ فَهو زَمانُ النَّوْمِ لا يَسْهَرُهُ في الطّاعَةِ إلّا مُتَعَبِّدٌ مُقْبِلٌ، فَإنْ قِيلَ: الهُجُوعُ لا يَكُونُ إلّا بِاللَّيْلِ، والنَّوْمُ نَهارًا لا يُقالُ لَهُ الهُجُوعُ، فَيَقُولُ في قَوْلِهِ تَعالى: (كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ) ذَكَرَ أمْرًا هو كالعامِّ يَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ بَعْدَهُ: كانُوا مِنَ اللَّيْلِ يُسَبِّحُونَ ويَسْتَغْفِرُونَ أوْ يَسْهَرُونَ أوْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَإذا قالَ يَهْجَعُونَ فَكَأنَّهُ خَصَّصَ ذَلِكَ الأمْرَ العامَّ المُحْتَمَلَ لَهُ ولِغَيْرِهِ فَلا إشْكالَ فِيهِ [2].

---

[1] روح المعاني : الآلوسي، 10/29.

[2] مفاتيح الغيب:الرازي، 167/28.

والهُجوع: النَّوم بالليل دون النهار[1] إنّ الليل هنا المراد منه العموم والجنس. فعلى هذا فهم كلّ ليلة يحيون قسماً منها بالعبادة وصلاة الليل. أمّا الليالي التي يرقدون فيها حتّى مطلع الفجر وتفوت عليهم العبادة فيها كليّاً فهي قليلة جدّاً، وهذا التّفسير منقول عن الإمام الصادق في بعض أحاديثه أيضاً، ويرى الكثير من المفسّرين أنّ المراد من «الإستغفار» هنا هو «صلاة الليل»؛ لأنّ «الوتر» منها مشتمل على الإستغفار [2].

وقد تواترت النصوص الدينية في التحريض على قيام الليل والتبتّل إلى الله في رحم الظلام حيث تسكن النفوس ، وتنام العيون ، وتتساقط الحجب بين العبد وربّه، ويخلو الحبيب بحبيبه .. ويخيّل لمن يتلوها أنّ قيام الليل واجب كسائر الفرائض.

جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال لسليمان الديلمي :«يا سليمان لا تدع قيام الليل ، فإنّ المغبون من حرم قيام الليل» [3].

---

[1] ظ:زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت/ 597هـ) تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ .4/ 168.

[2] ظ: الأمثل: الشيرازي، 206/13

[3] ظ: من هدي القرآن: محمد تقي المدرسي، 407/9. بحار الأنوار، 146/84.

المبحث الثالث

جدلية الليالـــي والأيـــام

المطلب الأول: التراتبية (الأسبقية) في الحدث

يتركز مفهوم التراتبية على صلته بما يليه، بما أنَّ في تعاقب الليل والنهار ينتج لنا (يوم) فأيهما الأسبق في الخلق الليل أم النهار؟ ولأجل هذا نبين أهم آيات اختلاف الليل والنهار:

أولاً: آيات اختلاف الليل والنهار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يس [40]

"لَا يَنْبَغِي إِذَا كَانَ الليلُ أَنْ يَكُونَ لَيْلٌ آخَرُ حَتَّى يَكُونَ النَّهَارُ، فَسُلْطَانُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ، وَسُلْطَانُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ. يَطْلُبَانِ حَثِيثَيْنِ، يَنْسَلِخُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، وَالْمَعْنَى فِي هَذَا: أَنَّهُ لَا فَتْرَةَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، بَلْ كُلٌّ مِنْهُمَا يَعْقُبُ الْآخَرَ بِلَا مُهْلَةٍ وَلَا تَرَاخٍ؛ لِأَنَّهُمَا مُسَخَّرَانِ دَائِبَيْنِ يَتَطَالَبَانِ طَلَبًا حثِيثًا" [1]، لَمّا جَرى ذِكْرُ الشَّمْسِ والقَمَرِ في مَعْرِضِ الآياتِ الدّالَّةِ عَلى انْفِرادِهِ تَعالى بِالخَلْقِ والتَّدْبِيرِ، وعَلى صِفاتِ إلَهِيَّتِهِ الَّتِي مِن مُتَعَلَّقاتِها تَعَلُّقُ صِفَةِ القُدْرَةِ بِآيَةِ الشَّمْسِ وسَيْرِها، والقَمَرِ وسَيْرِهِ، فزادَهُمُ اللَّهُ عِبْرَةً وتَعْلِيمًا بِأنَّ لِلشَّمْسِ سَيْرًا لا يُلاقِي سَيْرَ القَمَرِ، ولِلْقَمَرِ سَيْرًا لا يُلاقِي سَيْرَ الشَّمْسِ ولا يَمُرُّ أحَدُهُما بِطَرائِقِ مَسِيرِ الآخَرِ وأنَّ ما يَتَراءى لِلنّاسِ مِن شِدَّةِ الشَّمْسِ والقَمَرِ في جَوٍّ واحِدٍ وفي

[1] ظ: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 514/6.

حَجْمَيْنِ مُتَقارِبَيْنِ، وما يَتَراءى لَهم مِن تَقارُبِ نُجُومِ بُرُوجِ الشَّمْسِ ونُجُومِ مَنازِلِ القَمَرِ، إنْ هو إلّا مِن تَخَيُّلاتِ الأبْصارِ وتَفاوُتِ المَقادِيرِ بَيْنَ الأجْرامِ والأبْعادِ. فَبَيَّنَ اللَّهُ أنَّهُ نَظَّمَ سَيْرَ الشَّمْسِ والقَمَرِ عَلى نِظامٍ يَسْتَحِيلُ مَعَهُ اتِّصالُ إحْدى الكُرَتَيْنِ بِالأُخْرى لِشِدَّةِ الأبْعادِ بَيْنَ مَدارَيْهِما [1].

وبما أنَّ الكون خاضع لنظام جبار فالآية تحدثت عن احدى صوره: ثبات ودوام ذلك النظم في السنين والشهور، والنهار والليل ، فقد وضع الله سبحانه وتعالى لها نظاماً وبرنامجاً لا يقع بسببه أدنى إضطراب أو إختلال في وضعها وحركتها ، وبذا ثبت تاريخ البشر وإنتظم بشكل كامل، ومن المعلوم أنّ الشمس تطوي في دورانها خلال العام الأبراج الإثني عشر، في حين أنّ القمر يطوي منازله خلال شهر واحد ، وعليه فحركة القمر أسرع من حركة الشمس في مدارها إثنتي عشرة مرّة ، لذا فإنّ الآية تقول: بأنّ الشمس بحركتها لا يمكنها أن تدرك القمر في حركته فتقطع في شهر واحد ما تقطعه في سنة واحدة . وبذا يختلّ النظام السنوي لها كما أنّ الليل لا يتقدّم على النهار، بحيث يدخل جزء منه في النهار، فيختلّ النظام الموجود، بل إنّهما . على مدى ملايين السنين . ثابتان على مسيرهما دون أدنى تغيير [2].

ويتضح لي أنَّ: لكل جرم من أجرام السماء له فلكه الخاص به، التنكير في لفظة (الفلك) أفاد العموم وفيه إشكال ولإزالة اللبس نقول: الشمس وعند شروقها يسمى نهار، وعند غروبها يسمى ليل، يعني أمامها ليل وخلفها تاركةٌ ليلاً، وكل ليل يكون أمامه نهار وخلفه نهار؛ ولهذا لا يكون هناك سابق والله اعلم.

---

[1] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 23/23.

[2] ظ: الأمثل:ناصر مكارم الشيرازي، 144/11

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾ الأعراف [54]

أي: يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ ويَطْلُبُهُ حَثِيثاً التَّغْشِيَةُ: التَّغْطِيَةُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُذْهِبُ اللَّيْلُ نُورَ النَّهَارِ لِيَتِمَّ قِوَامُ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا بِمَجِيءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَاللَّيْلُ لِلسُّكُونِ وَالنَّهَارُ لِلْحَرَكَةِ وَفَحْوَى الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّهَارَ يُغْشِيهِ اللَّهُ اللَّيْلَ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَعَاقُبِهِ اللَّازِمِ فَكَأَنَّهُ طَالِبٌ لَهُ لَا يُدْرِكُهُ بَلْ هُوَ فِي إِثْرِهِ بِحَيْثُ يَكَادُ يُدْرِكُهُ وَقَدَّمَ اللَّيْلَ هُنَا كَمَا قَدَّمَهُ فِي يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَفِي وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَفِي وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ [1].

ويجعل الليل كالغشاء للنهار، فيغطي بظلمته ضياءه، ولم يذكر في هذه الآية يغشي الليل بالنهار اكتفاء بأحد الأمرين عن الآخر كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾ النحل [81]، لدلالة الحال عليه [2] ، وهذا من تدبيره تعالى لشؤون الكون، ومعناه الليل يتبع النهار، ويتعقبه مسرعا في طلبه، ويتغلب على المكان الذي كان فيه ، فيصير مظلماً بعد أن كان منيراً ، ومثله قوله تعالى :﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ الليل [1]، أي يتغلب على ضوء النهار، وقوله : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ الشمس [4]، أي يتغلب على ضوء الشمس [3]، إنَّ الله تعالى يلقي بالليل كغشاء على النهار، ويستر ضوء النهار بالأستار المظلمة **(يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ)**

---

[1] ظ: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت/ 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ. 66/5.

[2] ظ: فتح البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان/ 375/4.

[3] تفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، 339/3.

والملفت للنظر أنّ العبارة المذكورة ذكرت في مجال الليل فقط، ولم يقل (ويغشي النهار الليل)؛ لأنّ الغطاء والغشاء يناسب الظلمة فقط ولا يناسب النور والضوء ثمّ يضيف بعد ذلك قائلا : إنّ الليل يطلب النهار طلبا حثيثا (يطلبه حثيثا) .إنّ هذا التعبير . نظرا لوضع الليل والنهار في الكرة الأرضية . تعبير في غاية الروعة والجمال ؛ لأنّه لو نظر أحد إلى كيفية حركة الكرة الأرضية من الخارج ، وكيفية دورانها حول نفسها مع العلم أنّ الكرة الأرضية تدور بسرعة فائقة حول نفسها لأحس أنّ غول الظلّ المخروطي الأسود يجري بسرعة كبيرة على هذه الكرة خلف ضوء النهار، ولكنه غير صحيح بالنسبة إلى ضوء النهار؛ لأنّ ضوء الشمس منتشر في نصف الكرة الأرضية وفي جميع الفضاء المحيط بأطراف الأرض، وإنّما ظلمة الليل فقط هي التي تدور مثل شبح غامض الأسرار حول الأرض [1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ البقرة [164]

"إن ظاهرة اختلاف الليل والنهار هي نعمة من نعم المولى عز وجل ينبغي التفكر فيها. قال الزجاج: فهذه الآيات تدل على أنه واحد – عزَّ وجلَّ – فأما الآية في أمر السماءِ فمن أعظم الآية؛ لأنها سقف بغير عمد، والآية في الأرض عظيمة فيما يُرى سهْلِها وجبلِها وبحارها، وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا

[1] ظ: تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، 394/4.

يمكن أحد أن ينشئ مثلها، وكذلك في تصريف الرياح، وتصريفها أنهاِ تأتي من كل أفق فتكون شمالًا مرة وجنوباً مرة ودبُوراً مرة وصبا مرة، وتأتي لواقح للسحاب فهذه الأشياءُ وجميع ما بث الله في الأرض دالة على أنه وأحدٌ كما قال عزَّ وجلَّ: (وَإِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ)"[1]، يعني في خلق السموات والأرض دليل على وحدانية وفي مجيء الليل وذهاب النهار، ومجيء النهار وذهاب الليل. ويقال: اختلافهما في الكون، ويقال: نقصان الليل وتمام النهار، ونقصان النهار وتمام الليل، وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ. يعني السفن. ويقال للسفينة الواحدة: الفلك ولجماعة السفن: الفلك يعني السفن التي تسير في البحر، فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة فتسير في البحر بِما يَنْفَعُ النَّاسَ من الكسب والتجارة وغير ذلك [2] .

ويريد بها: تعاقبهما فِي الذهاب والمجيء، ومنه يقال: فلان يختلف إلى فلان، إذا كان يذهب إليه ويجيء من عنده، فذهابه يخلف مجيئه، ومجيئه يخلف ذهابه، أي: يأتي أحدهما خلاف الآخر، أي بعده [3].

"وبهذا تَحَتَّمَ عَلَيْهِ التَّصْدِيقُ بِأَنَّ صانِعَهُ هو اللَّهُ سُبْحانَهُ، وإنَّما جَمَعَ السَّماواتِ لِأَنَّها أجْناسٌ مُخْتَلِفَةٌ، كُلُّ سَماءٍ مِن جِنْسٍ غَيْرِ جِنْسِ الأُخْرى، ووَحَّدَ الأرْضَ لِأَنَّها كُلَّها مِن جِنْسٍ واحِدٍ وهو التُّرابُ، المُرادُ بِاخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ تَعاقُبُهُما بِإقْبالِ أحَدِهِما وإدْبارِ الآخَرِ، وإضاءَةِ أحَدِهِما وإظْلامِ الآخَرِ، والنَّهارُ: ما بَيْنَ طُلُوعِ الفَجْرِ إلى غُرُوبِ

---

[1] معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 237/1.

[2] ظ: بحر العلوم: السمرقندي، 109/1.

[3] ظ: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت/ 468هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1994م، 246/1.

الشَّمْسِ. وقالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: أَوَّلُ النَّهارِ طُلُوعُ الشَّمْسِ، ولا يُعَدُّ ما قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ النَّهارِ، وكَذا قالَ ثَعْلَبٌ" [1].

الاختلاف وما ورائه سر من أسراره يكمن في عظمة الخالق في خلقه ونتناول مثال آخر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ **يونس [6]**"

وفي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أَيْ: تَعَاقُبُهُمَا إِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ هَذَا، وَإِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا، لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ شَيْئًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ الأعراف [54]،وَقَالَ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ يس [40] [2]. ويَجُوزُ أنْ يُرادَ بالتفاوت: بِازْدِيادِ كُلٍّ مِنهُما بِانْتِقاصِ الآخَرِ وانْتِقاصُهُ بِازْدِيادِهِ وهو ناشِئٌ عِنْدَهم مِنِ اخْتِلافِ حالِ الشَّمْسِ بِالنِّسْبَةِ إلَيْنا قُرْبًا وبُعْدًا؛ بِسَبَبِ حَرَكَتِها الثّانِيَةِ الَّتِي بِها تَخْتَلِفُ الأزْمِنَةُ وتَنْقَسِمُ السَّنَةُ إلى فُصُولٍ، وقَدْ يَتَساوى اللَّيْلُ والنَّهارُ في بَعْضِ الأزْمانِ عِنْدَ بَعْضٍ[3].

ويرى صاحب فتح البيان: أنّ في تعاقبهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر، وكون كل منها خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها أو في تفاوتهما في أنفسهما بازدياد كل منهما وانتقاص الآخر باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة

---

[1] فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، 189/1.

[2] ظ: تفسير القرآن العظيم: بن كثير، 217/4.

[3] ظ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي، 69/6.

أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة أما في الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها، وأما في أنفسها فإن كروية الأرض تقتضي أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً وفي مقابله نهاراً قال ابن الخطيب: وعندي فيه وجه ثالث هو أنهما كما يختلفان في الأزمنة فهما يختلفان في الأمكنة فإن من يقول إن الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي آخر عصر، وفي آخر مغرب، وفي آخر عشاء، وهلم جرّاً. هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول. أما البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالضد من ذلك، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر عجيب [1].

ثانياً: السلخ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ يس [37]

وتأويل السلخ: النزع، ينزع منه النهار، ومعنى "منه" في هذا الموضع: عنه، كأنه قيل: نسلخ عنه النهار، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ الأعراف [175]، أي: خرج منها وتركها، فكذلك انسلاخ الليل من النهار [2].

---

[1] ظ: فتح البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان، 18/6.

[2] جامع البيان: الطبري، 20/ 516.

وَالسَّلْخُ: الْكَشْطُ وَالنَّزْعُ، يُقَالُ: سَلَخَهُ اللَّهُ مِنْ دِينِهِ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْإِخْرَاجِ. وَقَدْ جَعَلَ ذَهَابَ الضَّوْءِ وَمَجِيءَ الظُّلْمَةِ كَالسَّلْخِ مِنَ الشَّيْءِ وَظُهُورِ الْمَسْلُوخِ فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ. وَ (مُّظْلِمُونَ) دَاخِلُونَ فِي الظَّلَامِ، يُقَالُ: أَظْلَمْنَا أَيْ دَخَلْنَا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ، وَأَظْهَرْنَا دَخَلْنَا فِي وَقْتِ الظُّهْرِ، وَكَذَلِكَ أَصْبَحْنَا وَأَضْحَيْنَا وَأَمْسَيْنَا. وَقِيلَ: "مِنْهُ" بِمَعْنَى عَنْهُ، وَالْمَعْنَى نَسْلَخُ عَنْهُ ضِيَاءَ النَّهَارِ. "فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ" أَيْ فِي ظُلْمَةٍ، لِأَنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ يَتَدَاخَلُ فِي الْهَوَاءِ فَيُضِيءُ فَإِذَا خَرَجَ منه أظلم [1]، وفي تلك الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة، خلق الليل والنهار، هذا بظلامه، وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا؛ كما قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ الأعراف [54][2]، وعلامةٌ أخرى لهم على كمال قدرة الله . تعالى .

الليلُ نزيل عنه الضوء ونفصله عن النهار فإذا هم داخلون في الظلام، وفي الآية رمزٌ إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض، فإذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل ويُكشف ويزول فيظهر الأصل وهو الظلمة [3]، وبما أنّ الليل خُلق قبل النهار فتكون الظلمة خُلقت قبل الضوء.

---

[1] ظ: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 15/ 26.

[2] ظ: تفسير القرآن الكريم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/ 751هـ)، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410 هـ، 6/ 511.

[3] ظ: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997 م، 3/ 12.

المطلب الثاني: عن أفضلية الليل

لا مناص من أنَّ الذكر هو مطيّة السالك لله تعالى، فمن نالها نال الحظ الأوفر والأفضلية لكليهما، بما أنَّ أحدهما متمم للآخر. وهنا محاولة الوقوف على أفضلية من ناحية ورود العبادة وقت الليل بحسب الشواهد القرآنية.

أولاً: من ناحية السكون

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ غافر [61]، وهي من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلماً بارداً تناسبه الراحة الظاهرية، بالسكون والنوم الذي هو الموت الأصغر، والراحة الحقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة (وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا) أي: مضيئاً لتبصروا فيه حوائجكم، وتتصرفوا في طلب معايشكم، وهو من الإسناد المجازي، أي مبصراً فيه؛ لأنَّ الإبصار في الحقيقة لأهل النهار [1].

ويقول القاسمي: "اللَّهُ الَّذِي لا تَصْلُحُ الأُلُوهِيَّةُ إلّا لَهُ ولا تَنْبَغِي عِبادَةُ غَيْرِهِ، هو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ مُظْلِمًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ، فَتَسْتَرِدُّوا بِالرّاحَةِ فِيهِ، ما فاتَكم مِنَ القُوى في العَمَلِ بِالنَّهارِ: (وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا) أيْ: أنْ يُبْصَرَ فِيهِ، أوْ بِهِ لِتَتَحَرَّكُوا لِتَحْصِيلِ الأكْسابِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ، فَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكم بِهِما وبِما فِيهِما فقد تفضل الله عليكم بهما وبما فيهما إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ أي ليشكروه بعبادته وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ

[1] ظ: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: خسن صديق خان، 207/12.

ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أي عن طاعته إلى إثبات الشريك وعبادته" [1] .

إنّ ظلمة الليل وهدوءه وسكونه تُعَدُّ من جانب سبباً قهرياً لتعطيل الحركة اليومية لعمل الإنسان السوي ونشاطه والظلمة – من ناحية أُخرى– تمحو عن الإنسان تعب النهار ، وتدفعه إلى الإستقرار والرأفة لجسده وأعصابه، في حين تُعَدُّ النور والنهار أساس الحياة والحركة؛ و في النهار المبصر يُضاء محيط الحياة وتدب الحركة والنشاط في روح الإنسان وكيانه والطريف أنّ «مبصراً» تعني الذي يبصر، وعندما يوصف النهار بهذا الوصف، فانه في الحقيقة نوع من التأكيد في جعل الناس مبصرين، والنظام الدقيق كتناوب الليل والنهار والظلمة والنور، تُعَدُّ واحداً من مواهب الله تبارك وتعالى وعطاياه لعباده، وسرّاً من أسرار الحركة في الحياة وفي منظومة الوجود الكوني. فبدون النور ليس ثمّة حياة أو حركة، ومن دون أن يتناوب الليل والنهار أو الظلام والنور سيؤدي إلى تعطيل حركة الحياة، بل وجعلها مستحيلة. فشدّة النور مثلا ستشل الموجودات وتعطّل نمو النبات، وكذلك الظلمة الدائمة لها أضرارها، ولكن الناس وبدواعي العادة والألفة لم يلتفتوا إلى هذه المواهب الإلهية وما تستنبطه من منافع لهم [2].

ثانياً: من ناحية قيامه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ المزمل [1-4]

---

[1] محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت/ 1332هـ) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1418 هـ، 3/ 317.

[2] ظ: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، 108/12.

(ٱلۡمُزَّمِّلُ)، الملتـفّ بثيابـه، والمقصـود منـه الرسـول الأكـرم (صـل الله عليـه والـه وسلم)، هـو الـذي تزمـل بثيابـه، وقـال آخـرون: وصـفه بأنـه متزمّـل النبـوّة والرسـالة [1]، والمعنـى: صـلِّ بالليـل إلا قلـيلا مـن الليـل، فـإن القيـام بالليـل عبـارة عـن الصـلاة بالليـل (نِّصۡفَهُۥٓ) هـو بـدل مـن الليـل فيكـون بيانـا للمسـتثنى منـه أي قـم نصـف الليـل ومعنـاه صـلَّ مـن الليـل النصـف إلا قلـيلا وهـو قولـه (أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا) أي مـن النصـف. أي علـى النصـف وقـال المفسـرون: أو أنقـص مـن النصـف قلـيلا إلـى الثلـث أو زد علـى النصـف إلـى الثلثـين وقيـل إنَّ نصـفه بـدل مـن القليـل فيكـون بيانـا للمسـتثنى، والمعنـى فيهمـا سـواء ويؤيـد هـذا القـول مـا روي عـن الصـادق (عليـه السـلام) قـال: القليـل النصـف أو أنقـص مـن القليـل قلـيلا أو زد علـى القليـل قلـيلا[2].الْمُزَّمِّـلُ اسْـمٌ مُشْـتَقٌّ مِـنْ حَالَتِـهِ الَّتِـي كَـانَ عَلَيْهَـا حِـينَ الْخِطَـابِ، وَكَـذَلِكَ الْمُـدَّثِّرُ. وَفِـي خِطَابِـهِ بِهَـذَا الِاسْـمِ فَائِـدَتَانِ: إِحْـدَاهُمَا الْمُلَاطَفَـةُ، فَـإِنَّ الْعَـرَبَ إِذَا قَصَـدَتْ مُلَاطَفَـةَ الْمُخَاطَـبِ وَتَـرْكَ الْمُعَاتَبَـةِ سَـمَّوْهُ بِاسْـمٍ مُشْـتَقٍّ مِـنْ حَالَتِـهِ الَّتِـي هُـوَ عَلَيْهَـا فَقَـوْلُ اللَّهِ تَعَـالَى لِمُحَمَّـدٍ (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلّم): يَـا أَيُّهَـا الْمُزَّمِّـلُ قُـمِ فِيـهِ تَـأْنِيسٌ وَمُلَاطَفَـةٌ، لِيَسْتَشْـعِرَ أَنَّـهُ غَيْـرُ عَاتِـبٍ عَلَيْـهِ. وَالْفَائِـدَةُ الثَّانِيَـةُ- التَّنْبِيـهُ لِكُـلِّ مُتَزَمِّـلٍ رَاقِـدٍ لَيْلَـهُ لِيَتَنَبَّـهَ إِلَـى قِيَـامِ اللَّيْـلِ وَذِكْـرِ اللَّهِ تَعَـالَى فِيـهِ، لِأَنَّ الِاسْـمَ الْمُشْـتَقَّ مِـنَ الْفِعْـلِ يَشْـتَرِكُ فِيـهِ مَـعَ الْمُخَاطَـبِ كُـلُّ مَـنْ عَمِـلَ ذَلِـكَ الْعَمَـلَ وَاتَّصَـفَ بِتِلْـكَ الصِّفَةِ [3].

---

[1] ظ: جامع البيان: الطبري، 23/ 676.

[2] ظ: مجمع البيان: الطبرسي، 10/ 123-124.

[3] ظ: ألجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 13/ 33.

وتفسيرها عند النسفي هو: التخيير بين أمرين أمّا أن يقوم أقل من نصف الليل على البت، و إمّا أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه، وإن جعلت (نِّصْفَهُۥٓ) بدلاً من(قَلِيلًا) كان مخيراً بين ثلاثة أشياء: بين قيام نصف الليل تاماً، وبين قيام الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه. وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف [1].

ثالثاً: من ناحية التأثير في القلب واللسان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ المزمل [6]

وَالْغَرَضُ فيه عند ابن كثير أَنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ: سَاعَاتُهُ وَأَوْقَاتُهُ، وَكُلُّ سَاعَةٍ مِنْهُ تُسَمَّى نَاشِئَةً، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ هُو أَشَدُّ مُوَاطَأَةً بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَأَجْمَعُ عَلَى التِّلَاوَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ أَيْ: أَجْمَعُ لِلْخَاطِرِ فِي أَدَاءِ الْقِرَاءَةِ وَتَفَهُّمِهَا مِنْ قِيَامِ النَّهَارِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ انْتِشَارِ النَّاسِ ولَغَط الْأَصْوَاتِ وَأَوْقَاتُ الْمَعَاشِ [2]، ونَاشِئَةُ اللَّيْلِ أَيْ أَوْقَاتُهُ وَسَاعَاتُهُ؛ لِأَنَّ أَوْقَاتَهُ تَنْشَأُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا، يُقَالُ: نَشَأَ الشَّيْءُ يَنْشَأُ: إِذَا ابْتَدَأَ وَأَقْبَلَ شيئا بعد شي، فَهُوَ نَاشِئٌ وَأَنْشَأَهُ اللَّهُ فَنَشَأَ، وَمِنْهُ نَشَأَتِ السَّحَابَةُ إِذَا بَدَأَتْ وَأَنْشَأَهَا اللَّهُ تعالى، و بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَضْلَ صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ، وَأَنَّ الِاسْتِكْثَارَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ بِالْقِرَاءَةِ فِيهَا مَا أَمْكَنَ، أَعْظَمُ لِلْأَجْرِ، وَأَجْلَبُ لِلثَّوَابِ، و أَنَّهَا أَثْقَلُ عَلَى الْمُصَلِّي مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ. وَذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ مَنَامٍ وَتَوَدُّعٍ وَإِجْمَامٍ، [3].

---

[1] ظ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي، 3/ 555.

[2] تفسير القرآن العظيم: الآلوسي، 263/8.

[3] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 19/ 39.

المبحث الرابع

رمزية الأيـــام والليـــاليّ

من مظاهر التوظيف أن الأيام والليالي أصبحت أمثلة ورموز وتطبيقات حية، وعند الرجوع إلى القرآن الكريم، نجد أنه أطلق (اليوم والليل) بإستعمالات متعددة حتى يتضح المعنى المقصود في الآية المباركة. فاللفظة القرآنية منتقاة بعناية فهي حَسُنت وعُنيت وتخصصت بمميزات متُفردة من نوعِها، استحال وجودها في كلام آخر من كلام البشر، فكفى به متأنقاً في ألفاظه.

المطلب الأول: الأيام المشهورة

ولعل من أشهر إستعمالات الأيام الواردة هي: يوم الفرقان، حنين، وأسماء الأيام (الجمعة والسبت)، هُما المذكوران في القرآن الكريم.

يوم الجمعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ الجمعة [9]

"عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: إِنَّ لِلْجُمُعَةِ حَقّاً وَحُرْمَةً فَإِيَّاكَ أَنْ تُضَيِّعَ أَوْ تُقَصِّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَتَرْكِ الْمَحَارِمِ كُلِّهَا فَإِنَّ اللَّهَ يُضَاعِفُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَيَمْحُو فِيهِ السَّيِّئَاتِ وَيَرْفَعُ فِيهِ الدَّرَجَاتِ قَالَ وَذَكَرَ أَنَّ يَوْمَهُ مِثْلُ

لَيْلَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُحْيِيَهَا بِالصَّلَاةِ وَ الدُّعَاءِ فَافْعَلْ فَإِنَّ رَبَّكَ يَنْزِلُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ" [1].

"وَكانَ اسْمُ يَوْمِ الجُمُعَةِ في الجاهِلِيَّةِ العُرُوبَةَ، لِأَنَّ أسْماءَ الأيّامِ في الجاهِلِيَّةِ كانَتْ غَيْرَ هَذِهِ الأسْماءِ، فَكانُوا يُسَمُّونَ يَوْمَ الأحَدِ أوَّلُ، والِاثْنَيْنَ أهْوَنُ، والثُّلاثاءَ جُبارٌ، والأرْبِعاءَ دَبارٌ، والخَمِيسَ مُؤْنِسٌ، والجُمُعَةَ عُرُوبَةُ، والسَّبْتَ شِيارٌ، وأنْشَدَنِي بَعْضُ أهْلِ الأدَبِ وَأوَّلُ مَن سَمّاهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ كَعْبُ بْنُ لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ لِاجْتِماعِ قُرَيْشٍ فِيهِ إلى كَعْبٍ، وقِيلَ بَلْ سُمِّيَ في الإسْلامِ لِاجْتِماعِ النّاسِ فِيهِ لِلصَّلاةِ" [2].

وتأويله عند الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ وذلك هو النداء، ينادي بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة؛ ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة يقول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل" [3]. إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً؛ لِأَنَّهَا الْمُشْتَقَّةُ مِنَ الْجَمْعِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً بِالْمَعَابِدِ الْكِبَارِ وَفِيهِ كَمُل جَمِيعُ الْخَلَائِقِ، فَإِنَّهُ الْيَوْمُ السَّادِسُ من الستة التي خلق الله فيها السموات وَالْأَرْضَ، وَفِيهِ

---

[1] الكافي: محمد بن يعقوب الكليني(ت/329هـ)، مطبوعات الفجر، بيروت، ط:1، 2007م، باب فضل يوم الجمعة وليلته، 336.335/3.

[2] النكت والعيون: الماوردي، 9/6.

[3] جامع البيان:الطبري، 380/23.

خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا. وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْراً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ كَمَا ثَبَتَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ [1].

فالسعي هَاهُنَا بِمَعْنى الْعَمَل وَالتَّصَرُّف. وَعَن الْحسن وَقَتَادَة: أَن المُرَاد من قَوْله: ﴿فَاسْعَوْا﴾ هُوَ النِّيَّة بِالْقَلْبِ والإرادة لَهَا [2].

ولما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم من يوم بصفة نفسية ولا معنوية لم يبق تمييزها إلا بالأعداد؛ ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من العدد نحو الاثنين والثلاثاء والأربعاء أو بالأحداث الواقعة فيها كيوم بعاث ويوم بدر ويوم الفتح ومنه يوم الجمعة [3].

في حين قال الطباطبائي: "والجُمُعة بضمتين أو بالضم فالسكون أحد أيام الأسبوع وكان يسمى أولا يوم العروبة ثم غلب عليه اسم الجمعة، والمراد بالصلاة من يوم الجمعة صلاة الجمعة المشرعة يومها، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا أذن لصلاة الجمعة يومها فجدوا في المشي إلى الصلاة واتركوا البيع وكل ما يشغلكم عنها" [4].

وَمِمّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ المُرادَ بِها صَلاةُ الجُمُعَةِ المقامة في يوم مبارك: يوم الجمعة يوم إجتماع الناس وفي مودة ورحمة وتعارف وتواصل' * وتُضَاعَفّ الصدقة في يوم

---

[1] ظ: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 8/ 147، مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت/241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م، 5 240/1.

[2] تفسير القرآن : السمعاني، 5/ 434.

[3] الضوء المنير على التفسير: ابن قيم الجوزية(ت/751هـ)، تح: علي الحمد المحمد الصالحي، مؤسسة النور للطباعة، الرياض.

[4] تفسير الميزان: الطباطبائي، 285/9.

* حديث مروي عن الأمام الباقر(عليه السلام): الصدقة يوم الجمعة تضاعف؛ لفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام. ذكره صاحب ميزان الحكمة، 2/ 538.

الجمعة، وترك البيع وعقد النية القلبية لما فيه من سمو وشرف وفضل عند الله تعالى؛ لهذا يمكن القول إنَّ رمزية يوم الجمعة هي الاجتماع (عبادية تعارفيه).

يوم السبت

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ الأعراف [163]

وَسْوَسَ إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْهَكُمْ عَنِ الِاصْطِيَادِ وَإِنَّمَا نَهَاكُمْ عَنِ الْأَكْلِ، فَاصْطَادُوا. أَوْ قِيلَ: وَسْوَسَ إِلَيْهِمْ أَنَّكُمْ إِنَّمَا نُهِيتُمْ عَنِ الْأَخْذِ، فَاتَّخَذُوا حَيْضًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، تَسُوقُونَ الْحِيتَانَ إِلَيْهَا يَوْمَ السَّبْتِ، ثُمَّ تَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ زَمَانًا ثُمَّ تَجَرَّأُوا عَلَى السَّبْتِ، وَقَالُوا: مَا نَرَى السَّبْتَ إِلَّا قَدْ أُحِلَّ لَنَا، فَأَخَذُوا وَأَكَلُوا وَبَاعُوا[1].

والسَّبْتُ هو اليَوْمُ المَعْرُوفُ وأصْلُهُ السُّكُونُ، يُقالُ: سَبَتَ إذا سَكَنَ، وسَبَتَ اليَهُودُ تَرَكُوا العَمَلَ في سَبْتِهِمْ، والجَمْعُ أسْبُتٌ، وسُبُوتٌ، وأسْباتٌ وقَرَأ ابْنُ السُّمَيْفِعِ " في الأسْباتِ" عَلى الجَمْعِ [2].

وذكر محمد جواد مغنيه في تفسير هذه الآيات ،بأن الله حرم على اليهود العمل يوم السبت ، ومنه صيد الأسماك ،ولأجل أن يعاملهم الله معاملة المختبر لحالهم، ويظهرهم للملأ على حقيقتهم كان يرسل الحيتان إليهم بكثرة ظاهرة على وجه الماء يوم

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي،241/2.

[2] فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ٢٩٢/2.

السبت ، ويمنعها عنهم في سائر الأيام ، فتوصل جماعة منهم إلى حيلة يحللون بها ما حرم الله، فحفروا أخاديد ،ومسارب تتصل بالماء تنفذ الحيتان منها إلى الأخاديد ،ولا تستطيع الخروج فكانوا يأخذونها يوم الأحد ويقولون ،نحن نصطاد يوم الأحد ، لا يوم السبت، فأنكر عليهم جماعة منهم ، وزجروهم عن هذا الاحتيال والتلاعب بالدين ، وحذروهم من بأس الله وعذابه فلم يتعظوا [1]

إنّ هذه القصّة .كما أشير إليها في الأحاديث الإسلامية . ترتبط بجماعة من بني إسرائيل كانوا يعيشون عند ساحل أحد البحار (والظاهر أنّه ساحل البحر الأحمر المجاور لفلسطين) في ميناء يسمى بميناء «أيلة» (والذي يسمى الآن بميناء ايلات) وقد أمرهم الله تعالى على سبيل الاختبار والامتحان أن يعطّلوا صيد الأسماك في يوم السبت، ولكنّهم خالفوا هذا التعليم، فأصيبوا بعقوبة موجعة مؤلمة نقرأ شرحها في هذه الآيات [2]. وبهذا رمزية السبت الإنقياد؛ لإنّ الله تعالى منعهم من الصيد فصادوا فإتخذوا من يوم السبت ظلماً وعدواناً .

من الأيام المشهورة:

يوم الفرقان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنفال [41]

[1] تفسير الكاشف: محمد جواد مغنيه، 241/3.
[2] تفسير الأمثل: الشيرازي، 4/ 546-549 .

"ويوم الفرقان هو يوم بدر" [1]، " وبدر اسم عين ماء بين مكة والمدينة، وهي إلى المدينة أقرب، قيل بأنها سُميت باسم صاحبها" [2]، وقيل: سُمي يوم بدر بيوم الفرقان؛ لأنَّ الله فرّق فيه بين الحقّ والباطل، وهو أول يوم ظهر فيه نصر المسلمين الضعفاء على المشركين الأقوياء[3].

" و (يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ) أي يوم بدر (يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ) أي: جمع المؤمنين وجمع الكافرين. إن كنتم آمنتم بكل ذلك، فاعملوا بما علمتم، وارضوا بهذه القسمة عن إذعان وتسليم وحسن قبول، وما أنزله الله على نبيه (صلى الله عليه وآله سلم) يوم بدر. يتناول ما نزل من آيات قرآنية، كما يتناول نزول الملائكة لتثبيت المؤمنين، وتبشيرهم بالنصر كما يتناول غير ذلك مما أيدهم الله به في بدر وسمي يوم بدر بيوم الفرقان؛ لأنه اليوم الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل وقوله تعالى: (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) تذييل قصد به بيان أن ما أصابه المؤمنون يوم بدر من غنيمة ونصر إنما هو بقدرة الله التي لا يعجزها شيء فعليهم أن يداوموا على طاعته وشكره ليزيدهم من عطائه وفضله"[4]، ومن هذا المنطلق تكون رمزية يوم الفرقان هي الثبات على الحق ومعرفته، ففيه فُرق الحق عن الباطل.

من الأيام المشهورة ويوم حنين

---

[1] مفاتيح الغيب: الرازي، 486/5.

[2] تاج العروس:الزبيدي، 10/140.

[3] ظ:البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت/ 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.495/4، محاسن التأويل: القاسمي، 44/4.

[4] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: طنطاوي 240/6.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ التوبة [25]

وحنين اسم وادٍ بين مكة والطائف [1]، وضَرَبَ تَعالى لِهَذا مَثَلًا، وذَلِكَ أنَّ عَسْكَرَ رَسُولِ اللَّهِ (صل الله عليه واله) في واقِعَةِ حُنَيْنٍ كانُوا في غايَةِ الكَثْرَةِ والقُوَّةِ، فَلَمّا أُعْجِبُوا بِكَثْرَتِهِمْ صارُوا مُنْهَزِمِينَ، ثُمَّ في حالِ الِانْهِزامِ لَمّا تَضَرَّعُوا إلى اللَّهِ قَوّاهم حَتّى هَزَمُوا عَسْكَرَ الكُفّارِ، وذَلِكَ يَدُلُّ عَلى أنَّ الإنْسانَ مَتى اعْتَمَدَ عَلى الدُّنْيا فاتَهُ الدِّينُ والدُّنْيا، ومَتى أطاعَ اللَّهَ ورَجَّحَ الدِّينَ عَلى الدُّنْيا آتاهُ اللَّهُ الدِّينَ والدُّنْيا عَلى أحْسَنِ الوُجُوهِ [2].

وَقَدْ كَانَتْ وَقْعَةُ: "حُنين" بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ لَمَّا فَرَغَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ، وَتَمَهَّدَتْ أُمُورُهَا، وَأَسْلَمَ عَامَّةُ أَهْلِهَا، وَأَطْلَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صل الله عليه واله وسلم)، فبلغه أن هَوَازِنَ جَمَعُوا لَهُ لِيُقَاتِلُوهُ، وَأَنَّ أَمِيرَهُمْ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ النَّضْرِي، وَمَعَهُ ثَقِيفُ بِكَمَالِهَا، وَبَنُو جُشم وَبَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَأَوْزَاعٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ، وَهُمْ قَلِيلٌ، وَنَاسٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وَعَوْفِ بْنِ عَامِرٍ، وَقَدْ أَقْبَلُوا مَعَهُمُ النِّسَاءَ وَالْوِلْدَانَ وَالشَّاءَ والنَّعم، وَجَاءُوا بقَضِّهم وقَضِيضهم فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (صل الله عليه واله وسلم)، فِي جَيْشِهِ الَّذِي جَاءَ مَعَهُ لِلْفَتْحِ [3]، وفي هذه اللحظات الحساسة حيث تفرق جيش الإسلام هنا وهناك، ولم يبق مع النّبي إلّا القلة، وكان النّبي مضطربا

[1] ظ: لسان العرب: ابن منظور، 172/13.
[2] مفاتيح الغيب: الرازي، 16/18.
[3] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 4/113

ومتألّمـــــا جـــــدّا لهـــــذه الحالـــــة نـــــزل التأييـــــد الإلهـــــي قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ التوبة [26]، أن نزول هذه الجنود غير المرئية كان لشدّ أزر المسلمين وتقوية معنوياتهم، وإيجاد روح الثبات والاستقامة في نفوسهم وقلوبهم ، ولا يعني ذلك اشتراك الملائكة والقوى الغيبية في المعركة [1].

فقد فرّ كثير من المسلمين ذلك اليوم؛ لكونهم جديدي عهد بالإسلام وبالنتيجة انكسر جيش المسلمين في بادئ الامر لولا لطف الله تعالى بهم فنجّاهم، لذا يمكن أن تكون رمزية يوم حنين: بإرجاع الأمر كله لله فالغلبة ليس بالكثرة هُزموا ثم رجعوا لله تضـــــرعاً فنجـــــاهم، ويصـــــور القـــــرآن هـــــذه الهزيمـــــة يقوله:﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ التوبة [25]

يوم الأحزاب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ غافر [30]

[1] ظ: تفسير الأمثل: الشيرازي، 5/ 184.

"مِثْـلَ أيّـامِ الأُمَـمِ الماضِـيَةِ يَعْنِـي وقـائِعَهُمْ، وجَمْـعُ الأحْـزابِ مَـعَ التَّفْسِـيرِ أغْنـى عَـنْ جَمْـعِ اليَـوْمِ" [1] ، (وقـال الـذي آمـن يـا قـوم إنـي أخـاف علـيكم مثـل يـوم الأحـزاب) أي مثـل يـوم عـذاب الأمـم الماضـية الـذين تحزبـوا علـى أنبيـائهم، وأفـرد اليـوم لأن جمـع الأحـزاب قـد أغنـى عـن جمعـه، والأحـزاب لـم ينـزل بهـا العـذاب فـي يـوم واحـد، بـل نـزل بهـا فـي الـدنيا فـي أيـام مختلفـة مترتبـة ثـم فسـر الأحـزاب فقـال (مثـل دأب قـوم نـوح وعـاد وثمـود والـذين مـن بعـدهم) أي مثـل حـالهم فـي العـذاب، أو مثـل عـادتهم فـي الإقامـة علـى التكـذيب، أو مثـل جـزاء مـا كـانوا عليـه مـن الكفـر والتكذيب [2].

لقد نالت هذه الأقوام جزاء ما كانت عليه من الكفر والطغيان، إذ قتل من قتل منهم بالطوفان العظيم، وأصيب آخرون منهم بالريح الشديدة ، وبعضهم بالصواعق المحرقة ، ومجموعة بالزلازل المخرّبة، واليوم يخاطبهم مؤمن آل فرعون : ألا تخشون أن تصيبكم إحدى هذه البلايا العظيمة بسبب إصراركم على الكفر والطغيان؟ هل عندكم ضمان بأنّكم لستم مثل أولئك; أو أن العقوبات الإلهية لا تشملكم ; ترى ماذا عمل أُولئك حتى أصابهم ما أصابهم، لقد اعترضوا على دعوة الأنبياء الإلهيين، وفي بعض الأحيان عمدوا إلى قتلهم؛ لذلك كلّه فإني أخاف عليكم مثل هذا المصير المؤلم ! ، ولكن ينبغي أن تعلموا أنّ ما سيصيبكم ويقع بساحتكم هومن عند أنفسكم وبما جنت أيديكم : (وما الله يريد ظلماً للعباد) [3].

---

[1] ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، 57/5.

[2] ظ: فتح البيان: محمد صديق خان، 12/ 185.

[3] الأمثل: السيرازي، 12/ 69ـ70

والأحزاب الجماعات التي تكتلت وتحزبت ضد أنبيائها بدليل قوله : (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ)[1] فاليوم: لا يكون على يوم محدد مشابه يومنا الحالي، بل عُد ضرْباً من ضروب الزمان، ودل على ذلك قوله: الأحزاب وهي بصيغة الجمع الغاية منه توعويه فاتعظوا من عذاب أيام سُلطت على أقوام قد مضت .

المطلب الثاني: الليالي المشهورة

أولاً: ليلة القدر

ما رَوى ابْنُ عَبّاسٍ قالَ: نَزَلَ القُرْآنُ في رَمَضانَ وفي لَيْلَةِ القَدْرِ في لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ جُمْلَةً واحِدَةً مِن عِنْدِ اللَّهِ تَعالى في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ إلى السَّفَرَةِ الكِرامِ الكاتِبِينَ في السَّماءِ الدُّنْيا، فَنَجَّمَتْهُ السَّفَرَةُ عَلى جِبْرِيلَ في عِشْرِينَ لَيْلَةً، ونَجَّمَهُ جِبْرِيلُ عَلى النَّبِيِّ (صل الله عليه وآله وسلم) في عِشْرِينَ سَنَةً، وكانَ يَنْزِلُ عَلى مَواقِعِ النُّجُومِ أرْسالًا في الشُّهُورِ والأيّامِ [2].

1ـ تسميتها

وإنمّا سميت ليلة القدر؛ للاهتمام بمنزلتها أو منزلة المتعبدين فيها، وقيل: القدر بمعنى الضيق وسميت ليلة القدر؛ لضيق الأرض فيها بنزول الملائكة. وما المراد بكونها خيراً من الف شهر؟ خيرتها منها من حيث فضيلة العبادة على ما فسره المفسرون وهو المناسب لغرض القرآن وعنايته بتقريب الناس الى الله فإحياؤها بالعبادة خير من عبادة الف شهر، وفيها تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بأن تدبر كل أمر

[1] الكاشف: محمد جواد مغنية، 450/6.

[2] ظ: النكت والعيون:الماوردي، ٣١١/6.

من الأمور الكونية [1]، ولَيْلَةُ القَدْرِ: اسْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلَّيْلَةِ الَّتِي ابْتُدِئَ فِيها نُزُولُ القُرْآنِ. ويَظْهَرُ أنَّ أوَّلَ تَسْمِيَتِها بِهَذا الِاسْمِ كانَ في هَذِهِ الآيَةِ ولَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ المُسْلِمِينَ وبِذَلِكَ يَكُونُ ذِكْرُها بِهَذا الِاسْمِ تَشْوِيقًا لِمَعْرِفَتِها؛ ولِذَلِكَ عَقَّبَ قَوْلَهُ تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ القدر [2]، والقَدْرُ: الَّذِي عُرِّفَتِ اللَّيْلَةُ بِالإضافَةِ إلَيْهِ هو بِمَعْنى الشَّرَفِ والفَضْلِ كَما قالَ تَعالى في سُورَةِ الدُّخانِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الدخان [3]

أيْ: لَيْلَةِ القَدْرِ والشَّرَفِ عِنْدَ اللَّهِ تَعالى مِمّا أعْطاها مِنَ البَرَكَةِ؛ فَتِلْكَ لَيْلَةٌ جَعَلَ اللَّهُ لَها شَرَفًا فَجَعَلَها مَظْهَرًا لِما سَبَقَ بِهِ عِلْمَهُ فَجَعَلَها مَبْدَأ الوَحْيِ إلى النَّبِي [2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ القدر [3]، وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية؛ لإنها يَكْثُرُ تَنزلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بحِلَق الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ.

وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ. وَقِيلَ: هُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ "النَّبَأِ". وَاللَّهُ أَعْلَمُ[3]، "وتفخيم لشأنها؛ لأنّ اللَّهَ تعالى يُقَدِّرُ فيها الآجالَ والأرزاقَ وحوادثَ العام كلّها، ويدفَعُ

[1] ظ: الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، 380/20
[2] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 30/ 457.
[3] ظ: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ، 8427.

ذلك إلى الملائِكَة لتَمْتَثِلَه" [1]، "يرى بعض العلماء إن معنى القدر الذي أضيفت إليه الليلة هو التعظيم، كقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الزمر [67]

فهي ذات قدر وتعظيم لما نزل فيها من القران الكريم، أو إن العظمة والقدر لما يحدث فيها من نزول الملائكة، وأيضاً لما ينزل في هذه الله تعالى ورحماته وبركاته وغفرانه وفيوضاته، ولقيامها فضل وافر ولأنها خير من الف شهر" [2].

2. الحكمة من إخفاء ليلة القدر

إنَّ الحكمة من إخفاء ليلة القدر، كالحكمة في إخفاء وقت الوفاة ويوم القيامة حتى يرغب المكلف في الطاعات ويزيد في الاجتهاد ولا يتغافل ولا يتكاسل ولا يتكل، وكأنه سبحانه يقول: إذا عرفت ليلة القدر فإن أطعت فيها اكتسبت ثواب ألف شهر، وإن عصيت فيها اكتسبت عقاب ألف شهر، ورفع العقاب أولى من جلب الثواب، فالإشفاق ألا يعرفها المكلف بعينها لئلا يكون بالمعصية فيها خاطئاً متعمداً. وأيضاً إذا اجتهد في طلب ليلة القدر بإحياء الليالي المظنونة باهى الله تعالى ملائكته [3]

والاعتقاد السائد إن إخفاء ليلة بين ليالي شهر رمضان المبارك يعود الى توجيه الناس الى الاهتمام بجميع هذه الليالي؛ مثلما أخفى رضاه بين أنواع الطاعات كي يتجه الناس الى جميع الطاعات، وأخفى غضبه بين المعاصي كي يتجنب العباد جميعها، وأخفى أحباءه بين الناس كي يحترم كل الناس، وأخفى الإجابة بين الأدعية لتقرأ كل

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي 5/611ـ612.

[2] القرآن وليلة القدر: محمد لغزالي ومحمد طنطاوي واحمد عمر هاشم، د. ط، 153.

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان:النيسابوري، 6/ 537.

الأدعية، واخفى الاسم الأعظم بين أسمائه كي تعظم كل أسمائه، واخفى وقت الموت كي يكون الناس دائماً على إستعداد[1].

وفي الخلاصة نقول: بدأ تنزل النور الذي أضاء الله به الأرض وما عليها في تلك الليلة المباركة، وفي هذا لفت نظر إلى أن هذا التنزيل سيبدد الظلمات بالنور، وسيفرق فيها بين الحق والباطل، وسيقيم الناس على المحجة البيضاء، وكانت الليلة المباركة التي هي خير من ألف شهر. وتلك الليلة أُحيطت بظروف عظيمة كونها نزلت في شهر الرحمة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ البقرة [185]، وشاء الله أن يكون شكر الأمة لله على هذه المنة بنزول القرآن الكريم في هذا الشهر العظيم أن يصومه المسلمون قال تعالى: **(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة 185]**، فالصيام في نهاره، ويقوم المسلمون ليله بهذا الذكر الحكيم، فكان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن[2] ، "وليلة القدر قد يكون معناها التقدير والتدبير، وقد يكون معناها القيمة والمقام، ككلاهما يتفق مع ذلك الحدث الكوني العظيم،

[1] الأمثل: الشيرازي، 15/ 448.

[2] ظ: تاريخ نزول القرآن: محمد رأفت سعيد، دار الوفاء ، مصر ،ط1، 2002 م، 71

حدث القرآن والوحي والرسالة، وليس أعظم منه ولا أقوم في أحداث هذا الوجود، وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير في حياة العبيد" [1].

لـذا تكـون رمزيـة ليلـة القـدر: الإنـزال (إنـزال القـرآن الكـريم)، الحاكميـة(تقسـيم الأرزاق) لذا يحيي المؤمنون تلك الليلة بالدعاء الى بزوغ الفجر.

ثانياً: ليلة الإسراء والمعراج

قبل التكلم في مجريات تلك الليلة العظيمة لابد من معرفة معنى الأسراء وعند الرجوع إلى أصل الكلمة نجد إن السُرَى: هو السَّيرُ بِاللَّيْلِ، والسَّرَّاءُ: الكثِيرُ السُّرى بالليلِ، وَفِيهِ أَيضاً: وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ، والسِّرايَةُ: سُرَى اللَّيْلِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ، ويَقلّ فِي الْمَصَادِرِ أَن تَجِيءَ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ لأَنه مِنْ أَبنية الْجَمْعِ، يَدُلُّ عَلَى صِحَّةٍ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يُؤَنِّثُ السُّرَى والهُدى[2]

في حين إنّه عُرِجَ به في تلك الليلة الى السَّموات حتى بلغ سدرة المنتهى في السماء السابعة، واراه الله من آيات السموات والأرض ما ازداد به معرفة ويقيناً، وكان ذلك في يقظته دون منامه، والذي يشهد به القرآن الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، والباقي يعلم بالخبر [3].

وتَحَدّثَ القُرآن الكَريم عن ليلة الأسراء والمعراج وتناقلتها كُتب الحديث والسيّر، كونها معجزة خرقت قانون الزمان والمكان وحيرت العقول والأفكار؛ ولكن لم تحير عقول

---

[1] التفسير التربوي للقرآن العظيم: أنور الباز، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2007م، 3/566ـ567.

[2] ظ: لسان العرب: ابن منظور، 382/14.

[3] التبيان في تفسير القرآن:الطوسي، 446/6.

المؤمنين الذي أيقنوا برب العالمين خالق الزمان والمكان وأمره في "الكاف والنون" فهي ليلة مباركة حدث فيها إعجاز يُضاف إلى إعجاز القرآن الكريم؛ ولكن هنا المعجزة لشخص الرسول الأكرم(صل الله عليه وآله وسلم) الذي شرفه وكرمه الله برحلة عظيمة عجيبة وتشرفت تلك الليلة بكل لحظاتها وتكون ظرفاً خالداً حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ الإسراء [1][(1)].

ويقول السمرقندي: "من الحرم من بيت أم هانئ بنت أبي طالب، إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى أي: الأبعد. يعني: إلى مسجد إيلياء وهو بيت المقدس الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ بالماء والأشجار، وهو المدائن التي حوله مثل دمشق والأردن وفلسطين. لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا أي: لكي نريه من آياتنا. أراه الله تعالى في تلك الليلة من عجائب السموات والأرض. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لمقالة أهل مكة وإنكارهم الْبَصِيرُ أي: العليم بهم؛ وذلك أنه لما أخبرهم عن قصة تلك الليلة، أنكروا" [(2)]، ويقول الطبري: في قوله تنزيه لشخص النبي (صل الله عليه واله) صاحب الأسراء ، وبراءة من أقوال المشركين على الله . تعالى . التي تطال بالقول : من أنَّ له من خلقه شريكا ، وأن له صاحبة وولدا، وعلوّا له وتعظيما عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم؛ فأُسْرِيَ به إلى بيت المقدس، وأمَّ بالأنبياء هناك

[(1)] ظ: الليل في حياة العارفين بالله: بن سالم باهشم، كتاب ناشرون، بيروت، د. ت، 91.
[(2)] بحر العلوم: السمرقندي، 300/2.

بعد أن هُجِر وخُرِّب، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ إعادة المسجد الأقصى ستكون على يد أمَّةِ هذا الرسول الذي أنكروا رسالتَه [1].

ويرى الرازي(ت/ 606هـ): أن(لَيْلًا)بِلَفْظِ التَّنْكِيرِ تَقْلِيلَ مُدَّةِ الإسْراءِ، وأنَّهُ أسْرى بِهِ في بَعْضِ اللَّيْلِ مِن مَكَّةَ إلى الشّامِ مَسِيرَةَ أرْبَعِينَ لَيْلَةً، وذَلِكَ أنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ عَلى مَعْنى البَعْضِيَّةِ، واخْتَلَفُوا في المَكانِ الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ مِنهُ، فَقِيلَ: هو المَسْجِدُ الحَرامُ بِعَيْنِهِ، وهو الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ ظاهِرُ لَفْظِ القُرْآنِ. وقِيلَ: أُسْرِيَ بِهِ مِن دارِ أُمِّ هانِئِ بِنْتِ أبِي طالِبٍ. والمُرادُ عَلى هَذا القَوْلِ بِالمَسْجِدِ الحَرامِ الحَرَمُ؛ لِإحاطَتِهِ بِالمَسْجِدِ والتِباسِهِ بِهِ، وعَنِ ابْنِ عَبّاسٍ: الحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ، وهَذا قَوْلُ الأكْثَرِينَ، وقَوْلُهُ: (إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا) اتَّفَقُوا عَلى أنَّ المُرادَ مِنهُ بَيْتُ المَقْدِسِ، وسُمِّيَ بِالأقْصى؛ لِبُعْدِ المَسافَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ المَسْجِدِ الحَرامِ[2].

وبالرجوع إلى لَفْظُ الآيَةِ فهو يَقْتَضِي أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أسْرى بِعَبْدِهِ، وهو مُحَمَّدٌ صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ، ووَقَعَ الإسْراءُ في جَمِيعِ مُصَنَّفاتِ الحَدِيثِ، ورُوِيَ عَنِ الصَحابَةِ في كُلِّ أقْطارِ الإسْلامِ، فَهو مِنَ المُتَواتِرِ بِهَذا الوَجْهِ، وذَكَرَ النَقّاشُ مِمَّنْ رَواهُ عِشْرِينَ صَحابِيًّا، فَرَوى جُمْهُورُ الصَحابَةِ، وتَلَقّى جُلُّ العُلَماءِ مِنهم أنَّ الإسْراءَ كانَ بِشَخْصِهِ، وأنَّهُ رَكِبَ البُراقُ مِن مَكَّةَ ووَصَلَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ وصَلّى فِيهِ، وقَوْلُهُ تَعالى: (مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) ،قالَ أنَسُ بْنُ مالِكٍ: أرادَ المَسْجِدَ المُحِيطَ بِالكَعْبَةِ نَفْسِها و"المَسْجِدِ الأقْصى" مَسْجِدُ بَيْتِ المَقْدِسِ، وسَمّاهُ "الأقْصى" أيْ في ذَلِكَ الوَقْتِ، كانَ أقْصى بُيُوتِ

---

[1] ظ: جامع البيان: الطبري، 17/ 329.

[2] ظ: مفاتيح الغيب: الرازي، 292/20، لباب التأويل في معاني التنزيل، 109/3، البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، 9/7.

اللهِ الفاضِلَةِ مِنَ الكَعْبَةِ، ويُحْتَمَلُ أنْ يُرِيدَ بِـ "الأقْصى": البَعِيدُ، دُونَ مُفاضَلَةٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ سِواهُ، ويَكُونُ المَقْصِدُ إظْهارَ العَجَبِ في الإسْراءِ إلى هَذا البُعْدِ في لَيْلَةٍ [1].

إنَّ الحِكْمَةَ في ذِكْرِ ذَلِكَ: أنَّهُ لَوْ أُخْبِرَ بِصُعُودِهِ إلى السَّماءِ في بَدْءِ الحَدِيثِ، لاشْتَدَّ إنْكارُهُمْ، فَلَمّا أُخْبِرَ بِبَيْتِ المَقْدِسِ، وبانَ لَهم صِدْقُهُ فِيما أخْبَرَهم بِهِ مِنَ العَلاماتِ الصّادِقَةِ، أُخْبِرَ بِمِعْراجِهِ [2].

وَزَعَمَ بَعْضُهم: أنَّ الإسْراءَ بِالجَسَدِ، والمِعْراجَ بِالرُّوحِ دُونَ الجَسَدِ، ولَكِنَّ ظاهِرَ القُرْآنِ يَدُلُّ عَلى أنَّهُ بِرُوحِهِ وجَسَدِهِ (،صلى الله عليه وآله وسلم) يَقَظَةً لا مَنامًا، لِأنَّهُ قالَ(بِعَبْدِهِۦ)والعَبْدُ عِبارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الرُّوحِ والجَسَدِ؛ ولِأنَّهُ قالَ: سُبْحانَ والتَّسْبِيحُ إنَّما يَكُونُ عِنْدَ الأُمُورِ العِظامِ، فَلَوْ كانَ مَنامًا لَمْ يَكُنْ لَهُ كَبِيرُ شَأْنٍ حَتّى يَتَعَجَّبَ مِنهُ. ويُؤَيِّدُهُ **قوله تعالى:** ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ النجم [17]؛لِأنَّ البَصَرَ مِن آلاتِ الذّاتِ لا الرُّوحِ، وقَوْلُهُ هُنا: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴾ طه [23][3].

وقد اتفقوا على وقوع الأسراء والمعراج؛ لوجود النص عليهما في الكتاب والسنة، واختلفوا: هل كان ذلك بالروح دون الجسد أوبهما معا، والكلام هنا عن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما المعراج إلى السماء فالكلام عنه في سورة النجم. استدل القائلون بأن الإسراء كان بالروح والبدن بالأدلة التالية:

---

[1] ظ: المحرر الوجيز: بن عطية الأندلسي المحاربي 3/ 434.

[2] زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت/ 597هـ) تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ .3/ 9.

[3] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، 3/3

- إن الإسراء بالبدن ممكن عقلاً، وقد دل عليه ظاهر الوحي، حيث قال تعالى: أسرى بعبده، ولم يقل بروح عبده، وكلمة العبد تطلق على مجموع الروح والبدن، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ العلق [9، 10]

إن الإسراء بالروح والبدن يرمز إلى أن الإنسان عليه أن يعمل لحياته المادية والروحية، لا لإحداهما دون الأخرى

- اشتهر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: أسري بي على دابة يقال لها البراق، ومن الواضح إن الإسراء بالروح فقط لا يحتاج إلى الدابة ولا إلى غيرها [1].

وقد لوحظ في هذا السفر أنّه تمَّ في زمن قياسي حيث أنّه لم يستغرق سوى ليلة واحدة بالنسبة الى وسائل نقل ذلك الزمن ولهذا كان أمراً إعجازياً وخارقاً للعادة وَبالرغم مِن أنَّ هَذه الآية تنطوي على اختصار شديد، إلاّ أنّها تكشف عن مواصفات هذا السفر الليلي «الإسراء» الإعجازي مِن خلال ما ترسمهُ لهُ مِن أفق عام ألا وهو أنَّ كلمة «ليلا» جاءت في الآية تأكيداً لكلمة «أسرى» إلاّ أنّها تريد أن تبيّن أن سفر الرّسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد تمَّ في ليلة واحدة فقط على الرغم مِن أنّ المسافة بين المسجد الحرام وبيت المقدس تقدَّر بأكثر مِن مائة فرسخ، وبشروط مواصلات ذلك الزمان، كانَ إنجاز هذا السفر يتطلب أيّاماً بل وأسابيع، لا أن يقع في ليلة واحدة فقط[2].

[1] تفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، 7/ 8.

[2] تفسير الأمثل: الشيرازي، 7/ 217ـ218.

ومما تقدم يتضح لي: في حصول تلك الخارقة لا لإثبات النبوة والمعجزة؛ وذلك لإنها لم تحدث بوجود المشركين لكي يثبت لهم، مثلما عمل معهم في خارقة شق القمر. وكذلك في قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ نُري محمداً (عليه افضل الصلاة السلام). ثم نحن نسلم بوقع الحادثة تلك فهي من الآيات الكبرى وغير المعقول أن تكون منام وفي عالم الرؤى، فالرؤية ليس آية كُبرى بطبيعة الحال، والاسراء تم بالجسد لأنه قال تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ وعبده مكون من جسد وروح، وأما الليل وعلى وجه الخصوص (ليلاً)، فتدل على حصولها ضمن حدود تلكم الليلة الواحدة التي تكون من غروب الشمس الى الشروق حسب كلام العرب.

ثالثاً: الليال العشر

هي عشر ذي الحجة عن مجاهد والضحاك وقيل فجر أول المحرم لأنه تتجدد عنده السنة عن قتادة وقيل يريد فجر يوم النحر لأنه يقع فيه القربان ويتصل بالليالي العشر عن أبي مسلم وقيل أراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس وليال عشر يعني العشر من ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وروي ذلك مرفوعا شرفها الله ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير وقيل هي العشر الأواخر من شهر رمضان في رواية أخرى عن ابن عباس وقيل إنها عشر موسى للثلاثين ليلة التي أتمها الله بها [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ الفجر [1، 2]

[1] مجمع البيان: الطبرسي، 10/ 268.

فَإنْ قُلْتَ: أيُّ العَشْرَيْنِ أفْضَلُ؟ عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ، أوِ العَشْرُ الأخِيرُ مِن رَمَضانَ؟ وأيُّ اللَّيْلَتَيْنِ أفْضَلُ؟ لَيْلَةُ القَدْرِ، أوْ لَيْلَةُ الإسْراءِ؟

"قُلْتُ: أمّا السُّؤالُ الأوَّلُ فالصَّوابُ فِيهِ أنْ يُقالَ: لَيالِي العَشْرِ الأخِيرِ مِن رَمَضانَ أفْضَلُ مِن لَيالِي عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، وأيّامُ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ أفْضَلُ مِن أيّامِ عَشْرِ رَمَضانَ، وبِهَذا التَّفْصِيلِ يَزُولُ الِاشْتِباهُ، ويَدُلُّ عَلَيْهِ أنَّ لَيالِيَ العَشْرِ مِن رَمَضانَ إنَّما فُضِّلَتْ باعْتِبارِ لَيْلَةِ القَدْرِ، وهي مِنَ اللَّيالِي، وعَشْرُ ذِي الحِجَّةِ إنَّما فُضِّلَ باعْتِبارِ أيّامِهِ، إذْ فِيهِ يَوْمُ النَّحْرِ ويَوْمُ عَرَفَةَ ويَوْمُ التَّرْوِيَةِ ليلة الإسراء أفضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر أفضل بالنسبة إلى الأمة فحظ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي اختص به ليلة المعراج منها أكمل من حظه من ليلة القدر، وحظ الأمة من ليلة القدر أكمل من حظهم من ليلة المعراج وإن كان لهم فيها أعظم حظ لكن الفضل والشرف والرتبة العليا إنما حصلت فيها لمن أسرى به" [1].

وفي أحاديث عدة مروية أثبت بأنها خير أيام طلعت عليها الشمس، أما عشر رمضان فقد أقسم الله بها في مطلع سورة الفجر ومما يؤكد أن المقصود بالقسَم هنا هو العشر الأواخر من رمضان، أنه استخدم مصطلح ليالي وهي خير ليالي العام بدون خلاف، ففيها ليلة القدر التي تنزل فيها القرآن الكريم ومن منّته علينا جعل تبارك وتعالى يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وشهر رمضان أفضل الشهور في السنة القمرية، وجعل الليالي العشر الأخيرة فيه أفضل ليال في السنة بل أشرفها، وما يقابل الليالي جعل الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة أشرف عشرة أيام في السنة، ويوم عرفة أفضلها.

[1] ظ: بدائع الفوائد: حمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/ 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 162/3.

الفصل الثاني

اقْترانُ الأَيَّام والليالي بالقَصَص القُرآني

المبحث الأول: قِصَّةُ قوم عَادٍ

المطلب الأول: صفة تلك الأيام

المطلب الثاني: مدة تسخير وتصوير العذاب

المبحث الثاني: قِصَّةُ قوم ثمود

المطلب الأول: مدة نزول العذاب

المبحث الثالث: قِصَّةُ بنيّ إسرائيل

المطلب الأول: مدة المواعدة

المبحث الأول

قِصَّــةُ قــوم عَــادِ

توطئة

في قِصَّة نبي الله هود(عليه السلام) مع قوم عاد، التي أشار القرآن الكريم إليها، نجد من العبرة والعضة، التي بذل جهده في توعية قومه وتبليغهم التوحيد والإيمان بالله،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف [65]، فما وجد منهم غير الغطرسة كونهم تميزوا بصفات جسدية خاصه، نظراً للوصف الذي جاء في القرآن الكريم، من طول شاهق وضخام البنية وقوة الجسم والبنية، فالذي أعطاهم قوة البطش والخلق – هو أشد منهم قوة – قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ فصلت [15]، والذي نبتغيه من بحثنا تسليط الضوء على الأيام والليالي الواردة في عذاب القوم ومنها:

المطلب الأول: صفة تلك الأيام

قدم القرآن لنا وصفاً دقيقاً لتلك الأيام وقال عنها تارة أيام نحسات أو يوم نحس مستمر كما قال تعالى:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ فصلت [16]وقال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ القمر [19]، كلتا الآيتين تحكين حدث وقصة واحدة، قالَ هُنا ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ وقالَ في فُصِّلَتْ: ﴿ فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصلت: ١٦] وقالَ في الحاقَّةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة [7]

والمُرادُ مِنَ اليَوْمِ هُنا الوَقْتُ والزَّمانُ كَما في قَوْلِهِ تَعالى:

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم [33]، وقَوْلُهُ: ﴿ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ يُفِيدُ ما يُفِيدُهُ الأيّامُ؛ لِأَنَّ الِاسْتِمْرارَ يُنْبِئُ عَنْ إمْرارِ الزَّمانِ كَما يُنْبِئُ عَنْهُ الأيّامُ [1]، "و﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ أَيْ: عَلَيْهِمْ. قَالَهُ الضَّحَّاكُ، وقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ. ﴿ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ عَلَيْهِمْ نَحْسُهُ وَدَمَارُهُ؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ اتَّصَلَ فِيهِ عَذَابُهُمُ الدُّنْيَوِيُّ بِالْأُخْرَوِيِّ" [2].

[1] ظ: مفاتيح الغيب:الزمخشري، 29/ 303.
[2] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 443/7.

فقد عبر القرآن الكريم عن اليوم بموضعين الأول: الَّذِي يُرادُ بِهِ الجِنْسُ الشّامِلُ لِلْقَلِيلِ والكثير، والثاني: قَدْ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ مِقْدارٍ مِنَ الزَّمانِ يَتِمُّ فِيهِ أمْرٌ ظاهِرٌ سَواءٌ كانَ لَحْظَةً أوْ أيّامًا أوْ شُهُورًا أوْ كَثِيرًا مِن ذَلِكَ أوْ أقَلَّ كَيَوْمِ البَعْثِ ويَوْمِ بَدْرٍ ويَوْمِ المَوْتِ[1]، "والمراد باليوم قطعة من الزمان لا اليوم الذي يساوي سبعةَ أيام من الأسبوع لقوله تعالى في موضع آخر من كلامه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ فصلت [16]، وفي موضع آخر: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة [7]"[2].

"فَذَكَرَ الزَّمانَ ولَمْ يَذْكُرْ مِقْدارَهُ ولِذَلِكَ لَمْ يَصِفْها، إنَّ فِيهِ قِراءَتَيْنِ إحْداهُما: "﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾بِإضافَةِ يَوْمٍ، وتَسْكِينِ نَحْسٍ عَلى وزْنِ نَفْسٍ، وثانِيَتُهُما: ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ بِتَنْوِينِ المِيمِ وكَسْرِ الحاءِ عَلى وصْفِ اليَوْمِ بِالنَّحِسِ، كَما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ فَإنْ قِيلَ: أيَّتُهُما أقْرَبُ ؟ قُلْنا: الإضافَةُ أصَحُّ، وذَلِكَ لِأنَّ مَن يَقْرَأُ: "يَوْمٍ نَحِسٍ مُسْتَمِرٍّ" يَجْعَلُ المُسْتَمِرَّ صِفَةً لِيَوْمٍ، ومَن يَقْرَأُ "يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ" يَكُونُ المُسْتَمِرُّ وصَفًا لِنَحْسٍ، فَيَحْصُلُ مِنهُ اسْتِمْرارُ النُّحُوسَةِ فالأوَّلُ أظْهَرُ وألْيَقُ" [3].

---

[1] ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، 19/ 115.
[2] تفسير الميزان: الطباطبائي، 19/ 72-73.
[3] مفاتيح الغيب: الرازي، 29/ 303.

ووصف الله تعالى ذلك اليوم بالنحس، و الاستمراريةُ صفةٌ للنحس لا لليوم وعلة نُحُوسَتِهِ ؛ لإرسال العذاب عليهم فيه، ولا يقلع عنهم كما تقلع المصائب من الدنيا التي تأتي وتذهب، بل كونه نحس دائم ومستمر على من كذب الرسل، ومن ظن أنه صفة لليوم، وأن هذا اليوم نحس أبدا. فقد غلط وأخطأ فهم القرآن، فإن اليوم المذكور بحسب ما يقع فيه، فكم لله من نعمة على أوليائه في هذا اليوم، وكم له فيه من بلايا ونقم على أعدائه، كما يقع ذلك في غيره من الأيام، فسعود الأيام ونحوسها: إنما هو لسعود الأعمال، وموافقتها لمرضاة الرب، ونحوس الأعمال: إنما هو بمخالفتها لما جاءت به الرسل. واليوم الواحد يكون يوم سعد لطائفة، ونحس لطائفة، كما كان يومُ بدر يومَ سعدٍ للمؤمنين، ويومَ نحس على الكافرين [1].

وأكَّدَ الله تعالى على شُؤْمَ تلك الأيام، بِذَمِّ زَمانِها فَقالَ عنها: ﴿ نَحِسٍ ﴾ كونه يوم شَدِيدِ القَباحَةِ؛ لِأَنَّ المُرادَ بِاليَوْمِ: الجِنْسُ لا الواحِدُ بِالوَصْفِ فَقالَ: ﴿ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [2].

"وَما يَذْكُرُهُ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ مِن أنَّ يَوْمَ النَّحْسِ المُسْتَمِرِّ هو يَوْمُ الأرْبِعاءِ الأخِيرُ مِنَ الشَّهْرِ، أوْ يَوْمُ الأرْبِعاءِ مُطْلَقًا، حَتّى إنَّ بَعْضَ المُنْتَسِبِينَ لِطَلَبِ العِلْمِ وكَثِيرًا مِنَ العَوامِّ صارُوا يَتَشاءَمُونَ بِيَوْمِ الأرْبِعاءِ الأخِيرِ مِن كُلِّ شَهْرٍ، حَتّى إنَّهم لا يُقْدِمُونَ عَلى السَّفَرِ والتَّزَوُّجِ ونَحْوِ ذَلِكَ فِيهِ، ظانِّينَ أنَّهُ يَوْمُ نَحْسٍ وشُؤْمٍ، وأنَّ نَحْسَهُ مُسْتَمِرٌّ عَلى جَمِيعِ الخَلْقِ في جَمِيعِ الزَّمَنِ لا أصْلَ لَهُ ولا مُعَوَّلَ عَلَيْهِ، ولا يَلْتَفِتُ إلَيْهِ مَن عِنْدَهُ عِلْمٌ؛ لِأنَّ نَحْسَ ذَلِكَ اليَوْمِ مُسْتَمِرٌّ عَلى عادٍ فَقَطِ الَّذِينَ أهْلَكَهُمُ اللَّهُ فِيهِ، فاتَّصَلَ لَهم عَذابُ البَرْزَخِ

[1] ظ: تفسير القرآن الكريم: إبن قيم الجوزية 465- 466.

[2] ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، 19/ 115.

والآخِرَةِ بِعَذابِ الدُّنْيا، فَصارَ ذَلِكَ الشُّؤْمُ مُسْتَمِرًّا عَلَيْهِمُ اسْتِمْرارًا لا انْقِطاعَ لَهُأمّا غَيْرُ عادٍ فَلَيْسَ مُؤاخَذًا بِذَنْبِ عادٍ؛ لِأَنَّهُ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى" [1].

"و أطلقت على الرياح الباردة جداً، أو التي فيها صوت عال، أو الرياح المسمومة القاتلة. وقد تكون الرياح العجيبة التي شملت قوم «عاد» تحمل كلّ هذه الصفات جميعاً، (أيّام نحسات) تعني الأيام المشؤومة التي عَّدها البعض بأنّها الأيّام المليئة بالتراب والغبار، أو الأيّام الباردة جداً، وهذه المعاني يمكن أن تكون مرادة من الآيات التي نحن بصددها"[2]. ولنا في ذلك قول: "أَنَّ يَوْمَ النَّحْسِ المُسْتَمِرِّ هو يَوْمُ الأَرْبِعاءِ الأَخِيرُ مِنَ الشَّهْرِ، أَوْ يَوْمُ الأَرْبِعاءِ مُطْلَقًا" أن التوظيف القرآني لمفردة اليوم هنا جاء مشابهاً لليوم الفيزيائي الذي نعيشه، اليوم ذي الأربع والعشرين ساعة، وربما يكون اليومُ المقصود الذي تجرَّدَ من قوانين البشرية ويكون اليومُ ما هو ألا قطع من الزمان والله أعلم..

كما يُفسّرَ البعضُ معنى (النحس) بأنّه حالةُ الجو* المُكْفَهِرُّ المغبّر؛ لأنّ العاصفة كانت مغبرةً إلى درجة أنّها لم تسمحْ لهم برؤية بعضهم البعض، وعندما شاهدوا العاصفة من بعيد ظنّوا أنّها غيوم محملة بالأمطار متّجهة نحوهم، وسرعان ما تبيّن لهم أنّها ريح عاتية لا تبقي ولا تذر أُمرت بعذابهم والإنتقام منهم [3]، "وأي نحس يصيب قوما أشد مما أصاب عاد؟ والريح تنزعهم وتجذبهم وتحطمه فتدعهم كأنهم أعجاز نخل مهشمة مقلوعة من قعورها

---

[1] أضواء البيان: الشنقيطي، 7/ 18.

[2] تفسير الأمثل: السيرازي، 12/162-163.

* جَوٌّ مُتَراكِبُ السَّحَابِ الغليظَ الأسود.

[3] ظ: تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، 5/183.

والمشهد مفزع مخيف، وعاصف عنيف، والريح التي أرسلت على عاد "هي من جند الله" وهي قوة من قوى هذا الكون، من خلق الله، تسير وفق الناموس الكوني الذي اختاره وهو يسلطها على من يشاء، بينما هي ماضية في طريقها مع ذلك الناموس" [1].

ولابد هنا من التمييز ومعرفة لماذا جاء في الاستعمال القرآني تارة بصيغة المفرد وأخرى بالجمع؟ أيام نحسات ويوم نحس وللإجابة عن هذا نقول: إنَّ هناك عاملاً مشتركاً في كلا القولين وهو صفة ذلك اليوم هي: (لعذاب المستمر للقوم الطاغين)، وسياق الكلام تطلب القول في ذلك، فيوم نحس جاء مفرداً؛ الغاية تكمن في السياق عندما أراد تبارك وتعالى التعبير عن استمرار العذاب وإعطائه صفة الى ما يشاء أو حسبما قالوا المفسرين: استمرار ذلك العذاب الى يوم يبعثون ، وأما أيام نحسات لوقوع النحس والعذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى:

﴿ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴾ فصلت [16]، فاليوم نفسه مستمر وكأن النحس نفسه يتكرر عليهم. فجاءت في سورة فصلت على هيئة الجمع والله اعلم.

[1] في ظلال القرآن: سيد قطب، 3431/27.

المطلب الثاني: مدة تسخير وتصوير العذاب

وَرَدَ في القرآن وبصريح العبارة المدة (سبع ليال وثمانية أيام) قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ الحاقة [7]، فخالق جل وعلا قادر على إفنائهم وبلمح البصر (كن فيكون)، ولعل هناك سبب سنحاول الوقوف عليه ضمن الرؤى القرآنية، انفردت هذه السورة في بيان المدة التي سخر الله تعالى الرياح لعذاب قوم عاد، أنَّها حَسَمَتِ اللَّيالِيَ والأيّامَ فاسْتَوْفَتْها عَلى الكَمالِ؛ لِأنَّها ظَهَرَتْ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وذَهَبَتْ مَعَ غُرُوبِها. قالَ مُقاتِلٌ: هاجَتِ الرِّيحُ غُدْوَةً، وسَكَنَتْ بِالعَشِيِّ في اليَوْمِ الثّامِنِ، وَقُبِضَتْ أرْواحُهم في ذَلِكَ اليَوْمِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ طَيْرًا أسْوَدَ فالتَقَطَهم حَتّى ألْقاهم في البَحْرِ [1]، "فَذَكَرَ الأيّامَ واللَّيالِي، وقَدَّمَ اللَّيالِي؛ لِأنَّ المَصائبَ فِيها أفْظَعُ وأقْبَحُ وأشْنَعُ لِقِلَّةِ المُغِيثِ والجَهْلِ بِالمَأْخَذِ والخَفاءِ في المَقاصِدِ والمَنافِذِ، ولِأنَّ عَدَدَها مُذَكَّرٌ في اللَّفْظِ، وتَذْكِيرُ اللَّفْظِ أدَلُّ عَلى قُوَّةِ المَعْنى ولِذَلِكَ جَعَلَ المُمَيِّزَ جَمْعَ كَثْرَةٍ، ولِأنَّها سَبْعٌ، والسَّبْعُ مُبالَغٌ فِيهِ وهو أجْمَعُ العَدَدِ كَما يَأْتِي تَحْقِيقُهُ قَرِيبًا في حَمَلَةِ العَرْشِ ولا يُمْكِنُ أنْ يَظُنَّ بِتَقْدِيمِها أنَّ ابْتِداءَ العَذابِ كانَ فِيها؛ لِأنَّهُ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ أنْ يَكُونَ بِعَدَدِ الأيّامِ فَلِذَلِكَ قالَ: ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾ أيْ لا تَفْتُرُ فِيها الرِّيحُ لَحْظَةً؛ لِأنَّهُ بُولِغَ في شِدَّتِها مُبالَغَةً لَمْ يَكُنْ مِثْلُها قَطُّ ولا يَكُونُ بَعْدَها أبَدًا ﴿ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾" [2].

---

[1] ظ: زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، 4/ 329، وتفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت/ 150هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت ، ط1، 1423 هـ،25/4.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، 344/20.

أَرسلَ اللهُ تعالى تلك الريح عليهم مدة لا تتجاوز المذكور ، ذَاتُ بَرْدٍ وَرِيَاحٍ شَدِيدَةٍ. قِيلَ: سُمِّيَتْ عَجُوزًا؛ لِأَنَّهَا فِي عَجُزِ الشِّتَاءِ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ عَجُوزًا مِنْ قَوْمِ عَادٍ دَخَلَتْ سِرْبًا فَتَبِعَتْهَا الرِّيحُ، فَقَتَلَتْهَا الْيَوْمَ الثَّامِنَ مِنْ نزولِ الْعَذَابِ وَانْقَطَعَ الْعَذَابُ [1]، وأمَّا القول في﴿حُسُومًا ﴾ جاء على ثَلاثَةُ أقْوالٍ أحَدُها: التِّباعُ، يُقالُ في الشَّيْءِ إذا تَتابَعَ، فَلَمْ يَنْقَطِعْ أوَّلُهُ عَنْ آخِرِهِ، والثّانِي: كامِلَةً، قالَهُ الضَّحّاكُ. فَيَكُونُ المَعْنى: أنَّها حَسَمَتِ اللَّيالِيَ والأيّامَ فاسْتَوْفَتْها عَلى الكَمالِ، لِأنَّها ظَهَرَتْ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وذَهَبَتْ مَعَ غُرُوبِها. قالَ مُقاتِلٌ: هاجَتِ الرِّيحُ غُدْوَةً، وسَكَنَتْ بِالعَشِيِّ في اليَوْمِ الثّامِنِ، وَقُبِضَتْ أرْواحُهم في ذَلِكَ اليَوْمِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ طَيْرًا أسْوَدَ فالتَقَطَهم حَتّى ألْقاهم في البَحْرِ، والثّالِثُ: أنَّها حَسَمَتْهُمْ، فَلَمْ تُبْقِ مِنهم أحَدًا، أيْ: أذْهَبَتْهم وأفْنَتْهُمْ، هَذا قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ[2].

فتلك الرياح حسمتهم فلم يتبقَ منهم فرد، وروي عنه أنه قال حسمت الأيام والليالي حتى استوفتها؛ لأنها بدأت بطلوع الشمس من أول يوم وانقطعت بغروب الشمس من آخر يوم، وقيل : الحسوم هي الشؤم أي تحسم الخير عن أهلها كقوله: (في أيام نحسات) وقال ابن مسعود: حسوماً متتابعات، وقال ابن عباس تباعاً وفي لفظ متتابعات، واختلف في أولها فقيل: غداة الأحد وقيل غداة الجمعة، وقيل: غداة الأربعاء قال وهب: وهذه الأيام هي التي تسميها العرب أيام العجوز كان فيها بردٌ شديد وريح شديدة، وكان أولها يوم الأربعاء وآخرها يوم الأربعاء وكان الشهر كاملاً فكان آخرها هو اليوم الأخير منه[3].

---

[1] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 5/ 144.

[2] ظ: زاد المسير في علم التفسير : ابم الجوزي، 4/ 329.

[3] ظ: فتح البيان: محمد صديق خان، 287/14.

وعبر القرآن الكريم عن صفة تلك الريح العاتية بكونها باردة مهلكة، استغرق وقت هبوبها سبع ليال وثمانية أيام متتالية، تناثرت بعدها أشلاء القوم على وجه الأرض، كأنها أصول نخل بالية، وكانت هذه الأيام الثمانية أيام شؤم عليهم، وقد أريد من الأيام هنا مع لياليها لما مرّ في قوله تعالى:

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ الحاقة [7]، فربما تطلق الأيام ويراد بها الأيام مع لياليها وعليه، فقد بدأ العذاب نهاراً، وتم قبل ليل اليوم الثامن، فبينهما سبع ليال، وبإستمرار النحس كناية عن استمرار العذاب ، فاستمر عليهم وفق الآيات السابقة بنحوسة سبع ليال وثمانية أيام[1].

وفي هذا العذاب تدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ مرت به من أنفسهم وأموالهم بِأَمْرِ رَبِّها فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح فغَلّقت أبوابهم وصرعتهم وامر الله الريح فأمالت عليهم الرمال وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر، وروى أنَّ هوداً عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الخطير، وعن ابن عباس ما هبت الريح قط إلا جثا النبي (صلى الله عليه وآله سلم) على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا الحديث [2].

---

[1] ظ: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف: جعفر السبحاني، مؤسسة الأمام الصادق، ايران، ط1، 1427هـ، 155-156.

[2] ظ: التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، 1412 هـ، 8/ 413.

ولَمّا تَمَّتْ قِصَّتُهم عَلى هَذا الوَجْهِ البَدِيعِ والأُسْلُوبِ، قالَ تَعالى عاطِفًا عَلى قَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ هود [49]، قِصَّةُ القَوْمِ البُعَداءِ البُغَضاءِ، ما كُنْتَ تَعْلَمُها عَلى هَذا التَّفْصِيلِ أنْتَ ولا قَوْمُكَ ولا أهْلُ الكِتابِ، وإنَّما نُفِيَتْ عَنْ أهْلِ الكِتابِ؛ لِأنَّهم لا يَعْلَمُونَ إلّا ما لَهُ أصْلٌ عَنْ أنْبِيائِهِمْ وتَلْخِيصُ قِصَّتِهِمْ أنَّهم ﴿جَحَدُواْ﴾ أيْ: كَذَّبُوا عِنادًا واسْتِهانَةً ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ المُحْسِنِ إلَيْهِمْ ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ فَإنَّ مَن عَصى واحِدًا مِنهم فَقَدْ عَصى الكُلَّ لِاتِّفاقِهِمْ عَلى أمْرٍ واحِدٍ مَعَ التَّساوِي في مُطْلَقِ المُعْجِزَةِ ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ أيْ: بِغايَةِ جُهْدِهِمْ ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ **[هود 59]** فَأُهْلِكُوا ولَمْ يَمْنَعْهم تَجَبُّرُهم ولا أغْنى عَنْهم عِنادُهم وتَكَبُّرُهُمْ [1]، لما اشتدت بهم الريح، تنادوا فيما بينهم: البيوت! فدخلوها، فدخلت الريح عليهم، فأخرجتهم من بيوتهم، وألقتهم في فنائهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ القمر [20] فذلك النزع، ومنهم من قال: تنزع مفاصلهم فتلقيهم كأعجاز نخل منقعر؛ لأنهم كانوا أطول الخلق، فذكر أن كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا، والنخل لا يبلغ ذلك المقدار إلا بعد قطع المفاصل؛ فجائز التشبيه بأعجاز نخل منقعر بعد انتزاع مفاصلهم، والإنقعار: هو الانقلاع" [2]

---

[1] ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي 315/9.

[2] تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت/ 333هـ)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005 م.405/9.

"سِيقَتْ قِصَّةُ هُودٍ(عليه السلام) وقَوْمِهِ مَساقَ المَوْعِظَةِ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالقُرْآنِ كَما أخْبَرَ اللَّهُ عَنْهم ذَلِكَ كُلُّهُ بِالمَوْعِظَةِ بِحالِ هُودٍ مَعَ قَوْمِهِ. وسِيقَتْ أيْضًا مَساقَ الحُجَّةِ عَلى رِسالَةِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) وعَلى عِنادِ قَوْمِهِ بِذِكْرِ مِثالٍ لِحالِهِمْ مَعَ رَسُولِهِمْ بِحالِ عادٍ مَعَ رَسُولِهِمْ. ولَها أيْضًا مَوْقِعُ التَّسْلِيَةِ لِلرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله) عَلى ما تَلَقّاهُ بِهِ قَوْمُهُ مِنَ العِنادِ والبُهْتانِ؛ لِتَكُونَ مَوْعِظَةً وتَسْلِيَةً مَعًا يَأْخُذُ كُلٌّ مِنها ما يَلِيقُ بِهِ، والِاقْتِصارُ عَلى ذِكْرِ عادٍ؛ لِأنَّهم أوَّلُ الأُمَمِ العَرَبِيَّةِ الَّذِينَ جاءَهم رَسُولٌ بَعْدَ رِسالَةِ نُوحٍ، وقَدْ كانَتْ رِسالَةُ هُودٍ ورِسالَةُ صالِحٍ قَبْلَ رِسالَةِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وتَأْتِي بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّتِهِمْ إشارَةٌ إجْمالِيَّةٌ إلى أُمَمٍ أُخْرى مِنَ العَرَبِ كَذَّبُوا الرُّسُلَ" [1].

ويتضح لنا مما تَقَدَّمَ: أنّ قوم عاد مَنّ الله عليهم بِنعمّ كثيرة، وهم ذووا أراضٍ خصبة، أصحاء أقوياء وفي تمام العافية، لم يكونوا كالبشر العاديين في عصرنا، كانوا ضِخام البنية، لم يقدروا النِعم بل جحدوا وعثوا بالأرض الفساد، فكانت النهاية عادلة تليق بالكفرة، فقد أبادهم الله تعالى لتكبرهم وعتوهم، فسُلط عليهم ابسط الأشياء ألا وهي: الرياح التي استمرت ثمانية أيام، أنّ الله قادر على كل شي قادر على القضاء عليهم بلمح البصر ولكن هناك حكمة فأين قوتهم وعتوهم؟ اذ تم نفيهم بالرياح، وكما ذكرنا أن سنة العذاب التي جرت في ما مضى، ماهي إلا تحذير للأمم التالية من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذا وجب الحيطة وأخذ الحذر..

[1] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 44/26.

المبحث الثاني

قِصَّةُ قــوم ثمــود

توطئة

القصةُ نسيج لحدث يحكي عبرة، ويوصل فكرة، وذا القرآن الكريم أدلى بدلوه بقصة أخرى كسائر الأنبياء والمرسلين، ولنا فيها أيضا عبرة كما سنشاهد كَانَتْ ثَمُودُ قَوْمَ صَالِحٍ الذين عَمَّرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا، فَأَطَالَ أَعْمَارَهُمْ حَتَّى جَعَلَ أَحَدُهُمْ يَبْنِي الْمَسْكَنَ مِنَ الْمَدَرِ فَيَتَهَدَّمَ وَالرَّجُلُ مِنْهُمْ حَيٌّ [1].وكما هو واضح في الآيات الكريمة إن العلة من نزول العذاب هي سبب عقرهم لها و اسكبروا وتحدوا رسول رب العالمين وعتوا عن أمره واكبر دليل على رفضهم لما جاء به صالح هي عندما قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾ القمر[27]اختبار وامتحان لهم هل يؤمنون أو يكفرون. يقول الإمام علي (عليه السلام): «وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا»"[2]. فنزل بهم العذاب وصفه القرآن الكريم بالصاعقة والصيحة والرجفة والطاغية، والعذاب .

---

[1] ظ: تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت/ 310هـ)، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.227/1.

[2] نهج البلاغة، علي بن أبي طالب(عليه السلام)، مؤسسة النشر الإسلامية، قم، 1408هـ، الكلام رقم 201. تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي،115/6.

المطلب الأول: مدة نزول العذاب

فلما فعلوا ذلك، وعقروا الناقة قال لهم صالح تلذذوا، فيما يريدون من المدركات الحسان من المناظر والأصوات وغيرها مما يدرك بالحواس، ويقال للبلاد: دار؛ لإنها تجمع أهلها كما تجمع الدار. ومنه قولهم: ديار ربيعة، وديار مضر [1]، المدة التي سبقت نزول العذاب على القوم هي ثلاثة أيام كما ورد ذلك في قوله تعالى عن لسان صالح قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ هود [65]، ثم قال لهم وعلامة هلاككم أنه تبيض وجوهكم غداً وتحمر بعد غد وتسود في اليوم الثالث فلما كان من الغد نظروا إلى وجوههم وقد ابيضت مثل القطن فلما كان اليوم الثاني احمرت مثل الدم فلما كان اليوم الثالث اسودت وجوههم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وهو قوله :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ الأعراف [78] [2]، فلما كان نصف الليل أتاهم جبرئيل فصرخ لهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وقد كانوا في تلك الثلاثة الأيام قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم فماتوا جميعا في طرفة عين: صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ناعقة ولا راعيه ولا شيء إلا أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى فأرسل الله إليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقهم أجمعين، وكانت هذه قصتهم [3].

---

[1] ظ: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، 19/6

[2] ظ: تفسير القمي: 475/2.

[3] ظ: تفسير الميزان: الطباطبائي،10/ 304

ومن أبرز علامة عقر الناقة

لمَّا عُقرت الناقة صَعِدَ فصيلُها إلى الجبل، ورغا ثلاث مرات، فقال صالح: لكل رغوة أجل يوم، فلما أصبحوا في اليوم الأول، إذا وجوههم مصفرة، فصاحوا وضجوا، وبَكَوْا، وعَرَفوا أنَّه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني، إذا وجوههم محمرة، فضجوا، وبكَوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب؛ فتكفَّنوا وألقَوْا أنفسهم بالأرض، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كلِّ صاعقة، فتقطَّعتْ قلوبُهم في صدورهم. وقال مقاتل: حفروا لأنفسهم قبوراً، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع، ولم يأتهم العذاب، ظنوا أن الله قد رحمهم، فخرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضاً، إذ نزل جبريل، فقام فوق المدينة فسدّ ضوءَ الشمس، فلما عاينوه، دخلوا قبورهم، فصاح بهم صيحة: موتوا، عليكم لعنة الله، فخرجت أرواحهم، وتزلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم. قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ هود [65]

أي: العذاب غير كذب [1].

[1] ظ: زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، 2/ 383ـ 384.

أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ يعني: جحدوا وحدانية ربهم، فهذا تنبيه وتخويف لمن بعدهم أَلا بُعْداً لِثَمُودَ يعني: خزياً وسحقاً لثمود في الهلاك" [1]، أي: "تَصِيرُ وُجُوهُكم في اليَوْمِ الأوَّلِ مُصْفَرَّةً، وفي الثّانِي مُحْمَرَّةً، وفي الثّالِثِ مُسْوَدَّةً، ثُمَّ يَأْتِيكُمُ العَذابُ في اليَوْمِ الرّابِعِ، فَلَمّا رَأوْا وُجُوهَهم قَدِ اسْوَدَّتْ أيْقَنُوا بِالعَذابِ، فاحْتاطُوا واسْتَعَدُّوا لِلْعَذابِ، فَصَبَّحَهُمُ اليَوْمُ الرّابِعُ وهي الصَّيْحَةُ والصّاعِقَةُ والعَذابُ" [2]

والمقصود من ذكر قصتهم، وما كان من أمرهم، وكيف نجى الله نبيه صالحًا عليه السلام فصالح من الأنبياء القائمين بدعوة التوحيد ضد عبادة الأوثان، تحمل الأذى فقضى الله بينه وبين قومه فكان النصر لله وللمؤمنين من معه، وبهذا يكون استعمال التوظيف القرآني لمفردتي (الأيام والليالي) هنا ما قبل نزول العذاب وعبر عن الأيام بلياليها وأعطى صفة ذلك اليوم بعلامة ظاهرية على وجوههم وعداً غير مكذوب.

[1] بحر العلوم: السمرقندي/ 2/ 160.

[2] مفاتيح الغيب: الرازي، 18/ 370.

المبحث الثالث

قِصَّة بنـــي إسرائيـــل

توطئه

تتمحور هذه القصة زمنياً بعد هلاك فرعون، وبدء حقبة جديدة من حياة بني إسرائيل تتمثل بالمواعدة وإنزال التوراة على موسى نبي من أنبياء بني إسرائيل وخصه الله تعالى بجعلهِ أحد أنبياء أولي العزم، تناولت في هذا المبحث التوظيف أو الاستعمال القرآني لمفردتي الأيام والليالي في قصة بني إسرائيل وتدور الأحداث حول المواعدة حيث كانت سبباً لبداية نزول الشريعة لبني إسرائيل وتحريرهم من العبودية وتمهيداً لوقوعهم في الفتن.

المطلب الأول:مُدَّةُ المواعدة

أولاً: أربعين ليلة

أوحى الله تعالى الى موسى بإنَّ الله عزَّ وجل أنزل التوراة التي فيها الأحكام عن مدة لا تتجاوز الأربعين يوماً، وهو ذو القعدة وعشرة من ذي الحجة، فقال موسى لأصحابه: إن الله تبارك وتعالى قد وعدني أن ينزل على التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً، وأمره الله أن لا يقول إلى أربعين يوماً فتضيق صدورهم، فذهب موسى إلى الميقات واستخلف هارون على بني إسرائيل فلما جاوز الثلاثين يوماً ولم يرجع موسى، غضبوا فأرادوا أن يقتلوا هارون وقالوا إن موسى كذبنا وهرب منا واتخذوا العجل وعبدوه، فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله على موسى الألواح وما يحتاجون إليه من

الأحكام والأخبار والسنن والقصص [1]. "وقوله:﴿ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ ، أي: تمام أربعين ليلة، وقيل: معناه أربعين ليلة بتمامها. فالأربعون داخلة في الميعاد" [2].

العلة من ذكر كلمة ليلة وليس يوم؛ لأن الأهلة تطلع فيها، واعتمادهم على الأهلة، وقال الأخفش: وعد موسى بإتمام أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة كقولك: اليوم أربعون يوماً مذ خرج فلان واليوم يومان: أي تمام يومين. وقال غيره: الأربعون كلها داخلة في الميعاد. قال أبو العالية: واعدنا موسى أربعين ليلة يعني ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة وقال غيره: ذا الحجة وعشراً من المحرم [3].

"وإنما قال:﴿ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ ، ولم يقل: أربعين يوماً لتضمن الليالي الأيام على قول المبرد عنى بذلك إنك إذا ذكرت الليالي دخل فيها الأيام وإذا ذكرت الأيام لا يدخل فيها الليالي والصحيح أن العرب كانت تراعي في حسابها الشهور، والأيام، والأهلة فأول الشهر الليالي؛ فلذلك أرّخت بالليالي وغلبتها على الأيام واكتفت بذكر الليالي عن الأيام فقالت لعشر خلون ولخمس بقين جرياً على الليالي والليلة الوقت من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني واليوم من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس وليلة ليلاء إذا اشتدت ظلمتها وليلية تصغير ليلة" [4].

---

[1] ظ: تفسير القمي: 1/77-78.

[2] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت/ 437هـ) ،تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، ط1، 2008م،1/ 265.

[3] ظ: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، 1/233، معاني القرآن للأخفش، 1/97.

[4] مجمع البيان: الطبرسي،1/146.

"وإنما ذكرت الليالي دون الأيام؛ لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأهلة، فصارت الأيام تبعا لليالي. وقال أبو بكر النقاش: إنما ذكر الليالي، لأنه أمره أن يصوم هذا الأيام ويواصلها بالليالي، فلذلك ذكر الليالي وليس بشيء" [1].

وبما أنَّ الليل هو وقت الخلوة والعبادة فخصه بالذكر؛ لشرفه، ولعدد الأربعين خاصية لن ينكرها أهل الذوق، ولهذا جاء في الحديث " من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " والجنين يتقلب في الأطوار في الأربعينات، قال أبو العالية: وبلغنا أنه لم يحدث حدثاً في الأربعين ليلة حتى هبط من الطور. ولا بد من تقدير مضاف أي انقضاء أربعين كقولك " اليوم أربعون يوماً منذ خرج فلان " أي تمام الأربعين [2].

وقيل إن العلة في ذكر الليالي دون الأيام مع أن اليوم يُطلق على مجموع الليل والنهار كما يطلق على النهار وحده الذي يتخلل كل ليلتين؛ لأن نهاية يوم وبداية يوم جديد تكون ببداية الليل ، إذ غروب الشمس هو الحد الفاصل بين كل يوم وآخر؛ ولأن هذا الميقات الزمني كان بحسب الأشهر القمرية التي تبتدئ بالليل، ويحتمل أن يكون ذلك لكون الليل هو الأصل والنهار طارئ عليه، فإن الظلمة أسبق من النور قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ يس [37] وذكر البعض أن ذكر الليالي للإشارة إلى أنه عليه السلام كان مطالبا بالتهجد في أثناء هذه المدة، ورده آخرون بأن المروي أنه كان مأمورا بالصيام لا القيام، واستدل بعض هؤلاء بذكر الليالي على أن

[1] زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، 64/1.

[2] ظ: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، 1/ 285، بحار الأنوار: المجلسي، 326/53.

صومه عليه السلام كان وصالاً يشمل الليل والنهار، واحتجوا بذلك على جواز الوصال، وأن أفضله أربعون يوما كما فعل موسى عليه السلام، وليس في القرآن ما يدل على انه عليه السلام كان مأموراً بالصوم في هذه المواعدة [1]

﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ "هي كَمالُ وقْتِ اللَّيْلِ، واللَّيْلُ وقْتُ انْطِماسِ المُدْرَكاتِ الظّاهِرَةِ وخَصَّ اللَّيْلَ بِالذِّكْرِ إشارَةً إلى أنَّ ألَذَّ المُناجاةِ فِيهِ وإلى أنَّهُ لا نَوْمَ في تِلْكَ المُدَّةِ بَلِ المُناجاةُ عامَّةٌ لِلَيْلِها ونَهارِها، وإنْزالِ التَّوْراةِ عِنْدَ انْقِضاءِ الأرْبَعِينَ وهي ذُو القِعْدَةِ وعَشْرٌ مِن ذِي الحِجَّةِ وقِيلَ ذُو الحِجَّةِ وعَشْرٌ مِنَ المُحَرَّمِ. وفِيهِ إشْعارٌ بِأنَّ المُناجاةَ إنَّما يَتَهَيَّأُ لَها لِمِيقاتِ حَبْسِ النَّفْسِ عَمّا بِهِ قِوامُها وكَمالُ ذَلِكَ إنَّما هُوَ الصَّوْمُ وكَمالُ العَدَدِ الَّذِي هو طَوْرُ مَصِيرٍ مِن حالٍ إلى حالٍ هو الأرْبَعُونَ، وذِكْرُ المِيقاتِ بِاللَّيالِي يُشْعِرُ أنَّ مُناجاتَهُ صَباحٌ مِن ظُلْمَةِ الكَوْنِ في حالِ خُصُوصِ الخِلْقَةِ مِن حَيْثُ إنَّ الظُّلْمَةَ آيَةٌ عَلى فَوْتِ مَرامِ نُورِ الحَقِّ، والنَّهارُ آيَةٌ عَلى ظُهُورِ نُورِ الحَقِّ [2].

[1] ظ: جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل: احمد بن حمد الخليلي، دار جريدة عمان للطباعة والنشر، عمان، 1988م، 3/321-322.

[2] ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، 1/ 362.

فعندما ذهب موسى لميقات ربه، وقعوا في الفتنة وظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه، وقيل: عبده كلهم إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل﴿ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ ، يعني إلها ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ ، أي من بعد موسى﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ **[البقرة 92]**، أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها [1].

وكما هو معروف إذ الليلة أقدم من اليوم، وقبله في الرتبة؛ ولذلك وقع بها التاريخُ، قال النقَّاش: وفي ذلك إشارة إلى صلة الصوم؛ لأنه لو ذكر الأيام، لأَمْكَن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل، فلما نصَّ على الليالي، ٱقتضَتْ قوة الكلام أنه عليه السلام واصل أربعين ليلةً بأيامها [2] .

وفيه إشارَةً إلى مُواصَلَةِ الصَّوْمِ لَيْلًا ونَهارًا، ولَوْ كانَ التَّفْسِيرُ بِاليَوْمِ أمْكَنَ أنْ يُعْتَقَدَ أنَّهُ كانَ يُفْطِرُ بِاللَّيْلِ، فَلَمّا نَصَّ عَلى اللَّيالِي فُهِمَ مِن قُوَّةِ الكَلامِ أنَّهُ واصَلَ أرْبَعِينَ لَيْلَةً بِأيّامِها، والقَوْلُ بِأنَّ ذِكْرَ اللَّيْلَةِ كانَ لِلْإشْعارِ بِأنَّ وعْدَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ بِقِيامِ اللَّيْلِ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأنَّ المَرْوِيَّ أنَّ المَأْمُورَ بِهِ كانَ الصِّيامَ، لا القِيامَ، وقَدْ يُقالُ مِن طَرِيقِ الإشارَةِ: إنَّ ذِكْرَ اللَّيْلَةِ لِلرَّمْزِ إلى أنَّ هَذِهِ المُواعَدَةَ كانَتْ بَعْدَ تَمامِ السَّيْرِ إلى اللَّهِ تَعالى، ومُجاوَزَةِ بَحْرِ العَوائِقِ والعَلائِقِ، وهُناكَ يَكُونُ السَّيْرُ في اللَّهِ تَعالى الَّذِي لا تُدْرَكُ حَقِيقَتُهُ، ولا تُعْلَمُ هُوِيَّتُهُ [3].

---

[1] ظ: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، 46/1.

[2] ظ: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي،1/ 237.

[3] ظ: روح المعاني: الآلوسي، 1/ 258.

"وعندما يتكلم الدين عن الزمن يتكلم دائماً بالليلة والسبب؛ في ذلك أنك لا تستطيع أن تحدد الزمن بدقة بالنهار الشمس تشرق وتغرب ثم تعود لتشرق فإذا نظرت إلى قرص الشمس لا يمكن أن تحدد في أي وقت من الشهر نحن هل في أوله أو في وسطه أو في آخره؟ ولكن إذا جاء الليل بمجرد أن تنظر إلى القمر تستطيع أن تحدد الزمن. فإذا كان القمر هلالاً فنحن في أوائل الشهر وإذا كان بدراً فنحن في وسطه وهكذا" [1].

ويضيف الشعراوي: "أن هناك مقاييس دقيقة بالنسبة للقمر وقياس الزمن في عرف الناس؛ الإنسان العادي يستطيع أن يحدد لك الزمن بالتقريب بالليالي.. ويقول لك البدوي في الصحراء: هذا القمر ابن كذا ليلة» [2].

فعبر القرآن الكريم عن الأربعين بالليلة لا باليوم لعدة أسباب كان أبرزها هي: الأهلة تطلع في الليالي، وكان سبب اعتمادهم على الأهلة؛ لان الشمس لا نستطيع النظر إليها وتحديد بداية الشهر ونهايته، والليل هو وقت الخلوة والعبادة فخصه بالذكر للتعبد والصيام فيه .

[1] تفسير الشعراوي، 1/ 332.
[2] تفسير الشعراوي، 1/ 332.

ثانياً: ثلاثين ليلة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ الأعراف [142]، سبق أن تم الحديث عن المواعدة وتم معرفة معناها، لذا من اللطيف الالتفات إلى الغاية من تكرار لفظ الأربعين في آيتين جاءتا برهة مفصلاً وأخرى مجملاً، ومن العلة في زيادة العشر المفصلة والعلة أيضا من ذكر الليل دون اليوم.

أ: الغاية من تكرار الأربعين

"قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: في قوله تعالى: ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ فَإِن قيل: ذكر الثَّلَاثِينَ وَالْعشر يُغني عَن ذكر الْأَرْبَعين، فَمَا معنى هَذَا التّكْرَار؟ قيل: كَرَّرَه تَأْكِيدًا، وَقيل: فَائِدَة قَوْله:فهو قطع الأوهام عَن الزِّيَادَة؛ لِأَنَّهُ لما وَقت الثَّلَاثِينَ أَولا، ثمَّ زَاد عَلَيْهِ عشرا، رُبمَا يَقع فِي الأوهام زِيَادَة أُخْرَى، فَذكره لقطع الأوهام عَن الزِّيَادَة، وَذكر الثَّلَاثِينَ فِي الِابْتِدَاء وَالْعشر مفصلا: ليعلم أَن الْمِيقَات كَانَ كَذَلِك مفصلا ثَلَاثِينَ ذِي الْقعدَة وَعشراً من ذِي الْحجَّة" [1] ، ومن تناسق الكلام نجد أَن التكرار في العربية للتأكيد فهو فن من أساليب العرب المعروفة واللطيفة تكراره في الآية هنا في صورة أخرى لا نفس العدد – بل – ناتج جمعه.

ب: العلة من ذكر الليل

وكانت مدة المواعدة الحاصلة هي ثلاثين ليلة من ذي القعدة وعشراً مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَقَرَنَ التَّارِيخَ بِاللَّيْلِ دُونَ النَّهَارِ؛ لِأَنَّ شُهُورَ الْعَرَبِ وُضِعَتْ عَلَى سَيْرِ الْقَمَرِ، وَالْهِلَالُ

[1] تفسير القرآن: السمعاني، 211/2.

إِنَّمَا يُهِلُّ بِاللَّيْلِ وَقِيلَ: لِأَنَّ الظُّلْمَةَ أَقْدَمُ مِنَ الضَّوْءِ، وَخَلْقُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ ،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ يس [37][1]، وبالجملة يعود المعنى إلى أنه تعالى وعده ثلاثين ليلة للتقريب والتكليم ثم وعده عشرا آخر؛ لإتمام ذلك فتم ميقات ربه أربعين ليلة، ولعله ذكر الليالي دون الأيام – مع أن موسى مكث في الطور الأربعين بأيامها ولياليها، والمتعارف في ذكر المواقيت والأزمنة ذكر الأيام دون الليالي؛ لأن الميقات كان للتقرب إلى الله سبحانه ومناجاته وذكره، وذلك أخص بالليل وأنسب لما فيه من اجتماع الحواس عن التفرق وزيادة تهيؤ النفس للأنس وقد كان من بركات هذا الميقات نزول التوراة [2] .

وقد جاء تعبير القرآن الكريم بلفظ أربعين ليلة، لا أربعين يوما، ومن الظاهر يتضح أنه؛ لأجل أن مناجاة موسى لربه كانت تتم غالبا في الليالي [3].

ج: زيادة العشرة على الثلاثين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ الأعراف [142]، أول سؤال يطرح نفسه في مجال الآية الحاضرة، هو: لماذا لم يبين مقدار الميقات بلفظ واحد هو الأربعين؟

---

[1] ظ: البحر المحيط في التفسير: الاندلسي، 5/ 159.

[2] الميزان: الطباطبائي، 8/240-241.

[3] ظ: تفسير الأمثل: الشيرازي، 4/ 491.

بل ذكر أنه واعده ثلاثين ليلة ثم أتمه بعشر، في حين أنه تعالى ذكر ذلك الموعد في لفظ واحد هو أربعين في لحاظ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ البقرة [51]ولجواب ذكر المفسرون تفسيرات عديدة لهذا التفكيك:

قيل عن ذلك جوابان **أحدهما:** أن قومه تأخروا عنه في الأجل الأول فزاده الله لتأخرهم عنه أجلاً ثانياً ليحضروا، **والثاني:** لأن قومه عبدوا العجل بعده فزاده الله أجلاً ثانياً عقوبة لهم، ويحتمل جواباً **ثالثاً:** أن الله فعل ذلك به اختباراً لقومه ليتميز به المؤمن من المنافق ويعرف به المتيقن من المرتاب[1].

وقد قيل في فائدة قوله: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الاعراف 142] ولم يقل أربعين ليلة أقوال "أحدها: أنه أراد شهراً وعشرة أيام متوالية، وقيل: إنه ذو العقدة وعشر من ذي الحجة. ولو قال أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر، ولا أن الأيام كانت متوالية، ولا أن الشهر شهر بعينه، هذا قول الفراء، وهو معنى قول مجاهد وابن جريج ومسروق وابن عباس، وأكثر المفسرين. الثاني: أن المعنى وعدناه ثلاثين ليلة يصوم فيها ويتفرد للعبادة بها. ثم أتمت بعشر الى وقت المناجاة، وقيل في العشر نزلت التوراة فلذلك أفردت بالذكر.

[1] ظ: النكت والعيون: الماوردي 2/ 256.

الثالث : قال أبو جعفر (عليه السلام) كان أول ما قال لهم: إني أتأخر عنكم ثلاثين يوماً، ليسهل عليهم، ثم زاد عليهم عشرا، وليس في ذلك كذب؛ لأنه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة، فقد تأخر ثلاثين قبلها. وقال الحسن كان الموعد أربعين ليلة في أصل الوعد، فقال: ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ ، وفصله – ها هنا – على وجه التأكيد فقال ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر" [1].

ففي زيادة تلك العشر حصل ضلال القوم ، أمّا من ناحية موسى فتلك الزيادة كانت للمناجاة فروي أن «الثلاثين» إنما وعد بأن يصومها ويتهيأ فيها للمناجاة ويستعد وأن مدة المناجاة هي «العشر» ، وقيل بل مدة المناجاة «الأربعون» [2].

"أو قَدْ جَعَلَ اللَّهُ مُدَّةَ المُناجاةِ ثَلاثِينَ لَيْلَةً تَيْسِيراً عَلَيْهِ، فَلَمّا قَضاها وزادَتْ نَفْسُهُ الزَّكِيَّةُ تَعَلُّقًا ورَغْبَةً في مُناجاةِ اللَّهِ وعِبادَتِهِ، زادَهُ اللَّهُ مِن هَذا الفَضْلِ عَشْرَ لَيالٍ، فَصارَتْ مُدَّةُ المُناجاةِ أرْبَعِينَ لَيْلَةً، ولَمّا أمَرَهُ بِها أمَرَهُ بِها مُفَرَّقَةً؛ إمّا لِحِكْمَةِ الاستئناس وإمّا لِتَكُونَ تِلْكَ العَشْرُ عِبادَةً أُخْرى فَيَتَكَرَّرَ الثَّوابُ، والمُرادُ اللَّيالِي بِأيّامِها فاقْتُصِرَ عَلى اللَّيالِي؛ لِأنَّ المُواعَدَةَ كانَتْ لِأجْلِ الِانْقِطاعِ لِلْعِبادَةِ وتَلَقِّي المُناجاةِ، والنَّفْسُ في اللَّيْلِ أكْثَرُ تَجَرُّدًا لِلْكَمالاتِ النَّفْسانِيَّةِ، والأحْوالِ المَلَكِيَّةِ، مِنها في النَّهارِ، إذْ قَدِ اعْتادَتِ النُّفُوسُ بِحَسَبِ أصْلِ التَّكْوِينِ الِاسْتِئْناسَ بِنُورِ الشَّمْسِ والنَّشاطَ بِهِ لِلشُّغْلِ، فَلا يُفارِقُها في النَّهارِ الِاشْتِغالُ بِالدُّنْيا ولَوْ بِالتَّفَكُّرِ وبِمُشاهَدَةِ المَوْجُوداتِ، وذَلِكَ يَنْحَطُّ في اللَّيْلِ والظُّلْمَةِ،

---

[1] التبيان في تفسير القرآن: الطبرسي، 4/531-532.

[2] ظ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، 2/ 449.

وتَنْعَكِسُ تَفَكُّراتُ النَّفْسِ إلى داخِلِها، ولِذَلِكَ لَمْ تَزَلِ الشَّرِيعَةُ تُحَرِّضُ عَلى قِيامِ اللَّيْلِ وعَلى الِابْتِهالِ فِيهِ إلى اللَّهِ تَعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ السجدة [16]، و﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الذاريات [18][1].

ولعل الذي أقرب إلى النظر وأكثر توافقاً مع أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) هو يُعدّ اختبارا لبني إسرائيل؛ كي يُعرف المنافقون من بني إسرائيل. وفي رواية عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال: إن موسى (عليه السلام) لما خرج وافدا إلى ربه واعدهم ثلاثين يوما، فلما زاده الله على الثلاثين عشرا قال قومه، قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا (من عبادة العجل) وأما أن هذه الأيام الأربعين صادفت أيام أي شهر من الشهور الإسلامية، فيستفاد من بعض الروايات أنها بدأت من أول شهر ذي القعدة وختمت باليوم العاشر من شهر ذي الحجة (عيد الأضحى)[2].

ولعل زيادة العشرة على الثلاثين بالرغم من وجود نصّ آخر صريح بالأربعين وذَلِكَ: الثلاثين ليلة هي من ذي القعدة والليالي العشر البقين هن من ذي الحجة لأن موسى تَسّلم التوراة في تلكم العشر الآخرة التي قسم بها تعالى:

---

[1] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 9/ 86-87.

[2] ظ: تفسير الأمثل: الشيرازي، 4/ 491.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ الفجر [2]، لعظمة هذه الليالي وتشريفها عند الله تعالى ولعل العلة من الزيادة اختبار لبني إسرائيل وتمبيز المؤمن من المنافق، أو زيادة لمناجاة موسى (عليه السلام) وسواء اختلفوا في زيادة العشر أم اتفقوا، فهي تُعد من ضمن المواعدة والله أعلم .

د: الغايةُ من الميقات

وكانت الغايةُ من الميقات كما قال الإمام العسكري (عليه السلام): " كان موسى بن عمران (عليه السلام) يقول لبني إسرائيل: إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم أتيتكم بكتاب من ربكم، يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبرة وأمثاله. فلما فرج الله عنهم، أمر الله عز وجل أن يأتي للميعاد، ويصوم ثلاثين يوما عند أصل الجبل، وظن موسى أنه بعد ذلك يعطيه الكتاب، فصام موسى ثلاثين يوما، فلما كان في آخر الأيام استاك قبل الفطر. فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى، أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك؟ صم عشرا أخر ولا تستك عند الإفطار ففعل ذلك موسى (عليه السلام)، وكان وعد الله أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه إياه" [1].

[1] تفسير المنسوب للإمام العسكري، تح: مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، قم، ط2، 1433هـ، 229-331، نقله صاحب البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني (ت/ 1107هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2006م، 1/216-217.

ولأجل هذا نجعل قول الإمام منطلقاً وغاية تشريعية لحصول الميقات ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَّا أَمِنُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَدَخَلُوا مِصْرَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ وَلَا شَرِيعَةٌ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِمَا، فَوَعَدَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ فَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: إِنِّي ذَاهِبٌ لِمِيقَاتِ رَبِّكُمْ آتِيكُمْ بِكِتَابٍ فِيهِ بَيَانُ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَذْرُونَ، وَوَاعَدَهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثَلَاثِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ وَعَشْرًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ [1]. فوعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتاً، وقال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ؛ لأن الشهور غررها بالليالي [2]، وفي هذا القول تفضل من الباري (عز وجل) على بني إسرائيل بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْهِدَايَةِ، بِتَكْلِيمِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِعْطَائِهِ التَّوْرَاةَ، وَفِيهَا أَحْكَامُهُمْ وَتَفَاصِيلُ شَرْعِهِمْ [3].

و"رُوِيَ أَنَّ بَنِي إِسْرائِيلَ لَمّا خَرَجُوا مِن مِصْرَ، نَزَلُوا في بَرِّيَّةِ طُورِ سَيْناءَ، وكانَتْ مُدَّةُ خُرُوجِهِمْ إلى أنْ نَزَلُوا شَهْرًا ونِصْفًا. ولَمّا نَزَلُوا تِلْقاءَ الجَبَلِ، صَعِدَ مُوسى إلَيْهِ، وسَمِعَ كَلامَهُ تَعالى وأوامِرَهُ ووَصاياهُ. ثُمَّ انْحَدَرَ مُوسى إلى قَوْمِهِ، وأعْلَمَهم بِما أُمِرُوا بِهِ، وصارُوا يُشاهِدُونَ عَلى الجَبَلِ ضَبابًا، وصَوْتَ رُعُودٍ، وبُرُوقًا، ثُمَّ أمَرَ تَعالى مُوسى أنْ يَصْعَدَ إلى الجَبَلِ لِيُؤْتِيَهُ الشَّرائِعَ الَّتِي كَتَبَها عَلى قَوْمِهِ، فَصَعِدَ مُوسى الجَبَلَ، وكانَ مُغَطًّى بِالغَمامِ، فَدَخَلَ مُوسى في وسَطِ الغَمامِ وأقامَ في الجَبَلِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، لَمْ يَأْكُلْ ولَمْ يَشْرَبْ، لِما أُمِدَّ مِنَ القُوَّةِ الرُّوحانِيَّةِ، والتَّجَلِّياتِ القُدْسِيَّةِ، وأُوتِيَ في بَرْهَتِها الألْواحَ الَّتِي كُتِبَتْ فِيها شَرائِعُهُمْ، واللَّهُ أعْلَمُ" [4].

---

[1] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن : البغوي،1/ 116.

[2] ظ: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل:النسفي 1/ 88.

[3] ظ: تفسير القرآن العظيم:ابن كثير 3/ 421.

[4] محاسن التأويل: القاسمي، 5/ 178.

"والفرق بين الميقات والوقت، أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشيء وقدره؛ ولذلك قيل: مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للإحرام فيها يعود المعنى إلى أنه تعالى وعده ثلاثين ليلة للتقريب والتكليم ثم وعده عشراً آخر لإتمام ذلك فتم ميقات ربه أربعين ليلة، ولعله ذكر الليالي دون الأيام – مع أن موسى مكث في الطور الأربعين بأيامها ولياليها، والمتعارف في ذكر المواقيت والأزمنة ذكر الأيام دون الليالي ؛لأن الميقات كان للتقرب إلى الله سبحانه ومناجاته وذكره، وذلك أخص بالليل وأنسب لما فيه من اجتماع الحواس عن التفرق وزيادة تهيؤ النفس للإنس وقد كان من بركات هذا الميقات نزول التوراة" [1].

وبهذا يمكننا القول إن الغاية المبتغاة من الميقات ماهي إلا أَن يتسلم موسى قوانين تشريعية مؤيدة لنبوته من الله تعالى، وتلكم القوانين معدلة على نمط وسلوكيات القوم من بعد ما حكمهم فرعون.

هـ: تمامُ الميقات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ الأعراف [142]

يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة؛ ليدل بذلك على أن العشر هي ليال وليست ساعات.

فإن قيل: فمعلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين، فما معنى **قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ الأعراف [142]**؟فعن ذلك أجوبة

[1] تفسير الميزان: الطباطبائي، 8/204-205.

أحدها: كان وعده إلى الجبل الذي كلمه فيه، **والثاني:** لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين؛ لأن تمام الشيء بعض منه [1].

وقيل: كان موسى عليه السلام قد عدّ نفسه لتمام ذلك اللقاء الموعود، إعداداً يضاهي مناسبة المكان والزمان، بطهر وتطهير وتزكية النفس بالصيام، فصام ثلاثين يوماً، وبعد ذلك أنكر رائحة فمه، فأخذ سواكاً وتسوك به ليذهب رائحة فمه، فأوضح الحق سبحانه له: أما علمت يا موسى أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك. وما دمت قد أزلت الخلوف وأنا أريد أن تقبل عليّ بريح المسك فزد عشرة أيام؛ حتى تأتي كذلك. وقال بعض العلماء: إن تفصيل الأربعين إلى ثلاثين وإلى عشرة، لأن الثلاثين يوماً هي الأيام التي عبد فيها القوم بعد موسى العجل، فكان ولا بد أن تكون هناك فترة من الفترات؛ حتى يميز الله الخبيث من الطيب [2]

وما زال السياق في ذكر أحداث موسى مع بني إسرائيل كانت مرحلة موسى بعد مرحلة الصراع مع فرعون وقومه ؛ ومن أجل القضاء على الطغيان الفرعوني الذي كان يتحرك في جوّ الفكر الكافر لإبعاد الناس عن توحيد الله ، وفي جوّ الممارسة الظالمة لإبعاد الحياة عن ساحة الحرية والعدل وكانت معركة موسى على هذا الصعيد تتحرّك الدعوة إلى التوحيد المتحرك في خط العدل ، وتحرير بني إسرائيل [3].

---

[1] ظ: النكت والعيون: الماوردي، 2/ 256.

[2] ظ: تفسير الشعراوي، 7/ 4337.

[3] ظ: من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله 10/ 243.

لما نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملئه، حصل عند موسى شوق عارم دفعه أن يطلب من ربه رؤيته:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأعراف [143]،

وكما هو الحال والبديهي أن رؤية الله (تبارك وتعالى) بالبصر محالة وهناك طرح ذكره صاحب الكاشف عندما تلفت موسى إلى الجبل ليرى الله فإذا به قد غار في الأرض، ولم يبق له عين ولا أثر، وقد أراد الله بهذا أن يفهم موسى (عليه السلام) أن رؤية الله ممتنعة عليه وعلى غيره علق سبحانه إمكان رؤيته على استقرار الجبل، والمفروض انه لم يستقر، إذن، فالرؤية ممتنعة وغير ممكنة وأمّا قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ ﴾ وهذا الأسلوب من باب افعل هذا إذا شاب الغراب، وإذا دخل الجمل في سَمّ الخياط [1].

[1] ظ: تفسير الكاشف: محمد جواد مغنية،391/3.

"وفي العيون عن الرضا عليه السلام: أنّه سُئل كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أن الله لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ فقال عليه السلام: إن كليم الله علم أنّ الله منزه عن أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلّمه الله وقربه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعته وكان القوم سبعمائة ألف فاختار منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى الى الطور، وسأل الله أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام؛ لأنّ الله أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن بأنّ هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرةً" [1].

غلبت إرادته تعالى ومشيئته بأن موسى يأتي إلى موعده معه؛ لكي يغيب عن قومه وعن حركته العادية اليومية مدة أربعين ليلة، فكيف كانت ثلاثين، ثم أتمها الله بعشر؟ هل هو إتمام طارئ للموعد؟ وكيف ينسجم ذلك مع الله الذي لا تختلف كلمته، ولا يتخلّف وعده، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً؟ الظاهر – والله العالم – أن المسألة لا تعدو أن تكون تفصيلاً تعبيرياً فنياً عن الأربعين، باعتبار أن الثلاثين تمثّل وحدةً زمنيةً هي الشهر، فتكون الليالي

[1] عيون أخبار الرضا (ع): أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت/ 381هـ)، تح: حسين الأعلمي، 1984م، 2/ 178.

العشر زيادةً على هذه الوحدة، منفصلةً عنها في المفهوم متصلةً بها في الزمن، ولهذا جمعها في نهاية الفقرة [1].

وخلاصةُ القول أن موسى (عليه السلام) ذهب لميقات ربه وتلقي الألواح على جبل الطور الجبل المقدس، فتلك التجربة التي عاشها موسى عليه السلام وما حصل في ميقات ربه، عالجت عدة أمور وأَهمها التشريعية منها وتسليمه للألواح المقدسة، بعثت الطمأنينة لقلبه، وحصل الخلاف في تعيين المدة والتي أُجملت في سورة البقرة (أربعين ليلة)، وفصلت في سورة الأعراف (ثلاثين ليلة)، واصلح الأقوال هي التي تقول: يستحيل رؤية الله تبارك وتعالى على أي بشر، بما في ذلك نبيه، ولعله ذكر الليالي دون الأيام – مع أن موسى مكث في الطور الأربعين بأيامها ولياليها، والمتعارف في ذكر المواقيت والأزمنة ذكر الأيام دون الليالي؛ لأن الميقات كان للتقرب إلى الله سبحانه ومناجاته وذكره، وذلك أخص بالليل وأنسب لما فيه من اجتماع الحواس عن التفرق وزيادة تهيؤ النفس للأنس وقد كان من بركات هذا الميقات نزول التوراة.

[1] ظ: من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله، 10 /234-235.

الفصل الثالث

أبعادُ التَّوظيف القرآني لآيات الأَيَّام والليالي

المبحث الأول: البُعد التكويني لتوظيف الليالي والأيام

المطلب الأول: بداية الخلق

المطلب الثاني: مراحل عملية الخلق

المطلب الثالث: الحكمة من خلق السموات والأرض(في ستة أيام) وليس في كن فيكون

المبحث الثاني: البُعد العَقَديّ للتوظيف القرآني

المطلب الأول: بيان القرآن لِسُنة التَداول

المبحث الثالث: البعد التشريعي لِلتَوْظِيف القرآني

المطلب الأول: في العبادات

أولاً: ـ الصلاة

ثانياً: ـ الصوم

ثالثاً: ـ الحج

المطلب الثاني: أحكام شرعية متنوعة

أولاً: عدة المتوفى عنها زوجها

ثانيا ـ كفارة الحلف الكاذب

ثالثاً: الصدقة

المبحث الأول

البُعد التكويني لتوظيف الأيام و الليالي

في الأشارة أو الالماح الى العديد من آيات الخلق والتكوين وبأدق الأوصاف وأشملها وأوفاها للمعنى المراد، سأتناول فيه جانباً من بداية خلق السماوات والأرض لما لها ارتباط وطيد بالأيام.

خلق الله السماوات والأرض وجميع ما فيها وما بينها، ولكن لا يمكن التكهن بما سبق تلك المرحلة ومعرفة تفاصيلها فلم يشهدها أحد ولا يماري بذلك أحد لقوله تعالى:﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الكهف [51]، ولكننا نطمئن الى إن الخلق كله لم يكن عبثاً، فقد قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ يونس [5] ، ومن ثَم كان الخلق والوجود غامضاً لدى تفكيرنا القاصر، لكنه يحمل مفاتيح ممكن التَفكّر فيها واتخاذ العبر والدروس وبنظامهما المعقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ القمر [49]، فقد توصلنا الى نتيجة مهمة وهي الإيمان بالله تعالى، والذي يهمنا في هذه الدراسة ما تم توظيفه من الليالي والأيام في عملية الخلق هذه، لذلك سأحاول أن أتتبع ذلك من خلال متابعة مراحل هذا الخلق وحضور الليالي والأيام في

قبل الخوض في غمار المراحل لابد من معرفة كون السماء والأرض كانتا رتقاً ففُتِقتا بالإستناد إلى قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأنبياء [30]، ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شدّه، فهو يرتقه رتقا ورتوقا[1]، فذلك دليل في غاية الوضوح على أنهما كانتا متصلتين، ثم تلا ذلك مرحلة الفطر، والفطر هو بدء خلق الشيء بإختلاف الخلق، فهو خلق جديد للشيء في كل طور من أطواره؛ ولهذا نجد القرآن يتحدث عن خلق السماوات في ستة أيام بأن فطر الله للسموات والأرض، فهو ينصرف الى بدء خلقها أول مرة [2].

وأنها كانت دخاناً فصيرها سماوات، وقد بدأ العلم الحديث ذلك في أن الكون كله يتركب في البداية وعند نشوئه من الغازات الساخنة السديمية [3].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾ فصلت [11]

ويتضح لنا معنى الاستواء بلحاظ استوائه سبحانه إلى السماء، ارتفاعه إليها بلا كيف أو تشبيه أو تحديد، لأنه- سبحانه- منزه عن ذلك والدخان: ما ارتفع من لهب النار * [4].

---

(1) ظ: جامع البيان: الطبري، 430/18.

(2) ظ: السماء والسموات في القرآن الكرم: عبد المجيد بن محمد الغيلي، منشور على موقع من رحى القرآن، 2015م، 50-51.

(3) ظ: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن الكريم: عبد العليم خضر، الدار السعودية، جدة، 1984م، 8.

(4) ظ: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: 12/ ٣٣٢،

* هناك خلاف حاد بين المدارس الإسلامية في معنى الاستواء، لذلك أعرضت عن الخوض عن ذكر التفاصيل؛ لكونه لا يدخل في صلب الموضوع.

ولعل الذي يهمنا في هذا الموضوع، توظيف الليالي والأيام في الحديث عن عملية الخلق وهو ما سنتعرض له على شكل مراحل **كما يأتي:ـ**

المطلب الأول: يومان وأربعة أيام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ **فصلت [9، 10]،** ففي قوله تعالى لطيفة يلتف لها المفسرون ويعبرون عنها بطرق مختلفة، يقول الماوردي: "ومِثالُهُ قَوْلُ القائِلِ خَرَجْتُ مِنَ البَصْرَةِ إلى بَغْدادَ في عَشْرَةِ أيّامٍ وإلى الكُوفَةِ في خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أيْ: في تَتِمَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا" [1]، ومنها عندما نقول: تزوج رجل بامرأة امس واليوم ثنتين ، فلا يقصد الجمع – بل– وَإِحْدَاهُمَا هِيَ الَّتِي تَزَوَّجْتَهَا بِالْأَمْسِ [2]، وعند الطبرسي: في تتمّة أربعة أيام من حين ابتداء الخلق، فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي: في تتمّة خمسة عشر يوماً مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدّة خلق الأرض[3].

ويرى ابن جُزَيّ (ت/741هـ): فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين، فخلق الأرض في يومين وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام وخلق

---

[1] تفسير النكت والعيون:الماوردي، 5/ 171.

[2] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 4/ 126.

[3] ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، 8/9.

السموات في يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر في مواضع كثيرة، ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام [1].

"فَلَوْ لَمْ يُفَسَّرْ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ بِأَنَّ مَعْناهُ في تَتِمَّةِ أَرْبَعَةِ أيّامٍ لَكانَ المَعْنى أَنَّهُ تَعالى خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما في ثَمانِيَةِ أيّامٍ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ إذا فُسِّرَ بِأَنَّها أَرْبَعَةٌ كامِلَةٌ ثُمَّ جُمِعَتْ مَعَ اليَوْمَيْنِ اللَّذَيْنِ خُلِقَتْ فِيهِما الأَرْضُ المَذْكُورِينَ في قَوْلِهِ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، واليَوْمَيْنِ اللَّذَيْنِ خُلِقَتْ فِيهِما السَّماواتُ المَذْكُورَيْنَ في قَوْلِهِ تَعالى:

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ فصلت [12]، لَكانَ المَجْمُوعُ ثَمانِيَةَ أيّامٍ، والنُّصُوصُ القُرْآنِيَّةُ مُصَرِّحَةٌ بِأَنَّها سِتَّةُ أيّامٍ" [2]، أمّا المراد باليوم: برهة من الزمان دون مصداق اليوم الذي نعهده ونحن على بسيط أرضنا هذه وهو مقدار حركة الكرة الأرضية فاليومان اللذان خلق الله فيهما الأرض قطعتان من الزمان تم فيهما تكون الأرض أرضا تامة ، وفي عدهما يومين لا يوما واحدا دليل على أن الأرض لاقت زمان تكونها الأولي مرحلتين متغايرتين كمرحلة النيء والنضج أو الذوبان والانعقاد أو نحو ذلك، والذي ذكر في هذه الآيات من أيام خلق السماوات والأرض أربعة أيام يومان لخلق الأرض ويومان لتسوية السماوات سبعا بعد كونها دخانا وأما (يوما) الأقوات فقد ذكرت يومان لتقديرها لا لخلقها ، وما تكرر في كلامه تعالى هو خلق السماوات والأرض في ستة أيام لا مجموع خلقها

[1] التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي ، 2/ 238.

[2] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 245/24.

وتقدير أمرها فالحق أن الظرف قيد للجملة الأخيرة فقط ولا حذف ولا تقدير في الآية والمراد بيان تقدير أقوات الأرض وأرزاقها في الفصول الأربعة من السنة [1].

ولهذا نقول: التوظيف القرآني لمفردة اليوم خرج ايضاً عن القيد ذي الأربعة والعشرين ساعة ، وصار قطعاً من الزمان تحوي على حادثة ما؛ لكون الظواهر الفيزيائية(خاضعة لقوانين الطبيعة) لم تُخلق بعد.

وأمَّا الأقوات

فقد فسرها القمي(ت/329هـ) الأقوات: التي يخرج الله فيها أقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الأرض وما في البر والبحر من الخلق والثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معاش الحيوان كله وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء [2].

"وتَقْدِيرُ الأَقْواتِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ لا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، فَلَمْ يُفْرِدْ يَوْمَيْهِ بِالذِّكْرِ، بَلْ جَعَلَهُما تابِعَيْنِ كَما أَنَّ ما قُدِّرَ فِيهِما تابِعٌ، ولَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ في أَقَلِّ مِن لَمْحِ البَصَرِ مَعَ تَمامِ القُدْرَةِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذا أَدَلُّ عَلى الِاخْتِيارِ وأَدْخَلُ في الِابْتِلاءِ والِاخْتِيارِ، لِيَضِلَّ بِهِ كَثِيرًا ويَهْدِيَ بِهِ كَثِيرًا، فَيَكُونُ أَعْظَمَ لِأُجُورِهِمْ لِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلى تَسْلِيمِهِمْ، وجَعَلَ مُدَّةَ خَلْقِها ضِعْفَ مُدَّةِ السَّماءِ مَعَ كَوْنِها أَصْغَرَ مِنَ السَّماءِ ، فَزادَتْ كَثْرَةِ المَنافِعِ وتَبايُنِ أَصْنافِ الأَعْراضِ والجَواهِرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَدْخَلُ في المِنَّةِ عَلى سُكّانِها، كُلُّ ذَلِكَ دَلالَةً عَلى أَنَّ المُدَّةَ ما هي لِأَجْلِ القُدْرَةِ بَلْ لِأَجْلِ التَّنْبِيهِ عَلى ما في المُقَدَّرِ مِنَ المَقْدُورِ وعَجائِبِ الأُمُورِ" [3].

---

[1] ظ: تفسير الميزان: الطباطبائي، 363/24.

[2] ظ: تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، 919/3.

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي ، 151-152.

وهناك من يقول : إنّ أربعة أيّام لا تختص ببداية الخلق، بل هي إشارة إلى الفصول الأربعة للسنة، والتي هي بداية ظهور الأرزاق ونمو المواد الغذائية التي تنفع الإنسان والحيوان ويمكن الرد على ذلك من خلال رؤية هذا التّفسير؛ لأنّه لا يلائم الآيات أعلاه، فإنّه أيضاً يقصر «اليوم» فيما يتعلق بالأرض والمواد الغذائية وحسب، لأنّ معناه يتعلق بالفصول الأربعة فقط، بينما لاحظنا أن «يوم» في معنى خلق السماوات والأرض يعني بداية مرحلة! مضافاً لذلك تكون النتيجة اختصاص يومين من الأيّام الستة لخلق الأرض، ويومين آخرين لخلق السماوات، أمّا اليومان الباقيان اللذان يتعلقان بخلق الكائنات بين السماء والأرض «ما بينهما» فليس هناك إشارة إليهما! وقد لا تكون هناك حاجة للقول بأنّ «اليوم» في الآيات أعلاه هو حتماً غير اليوم العادي؛ لأنّ اليوم بالمعنى العادي لم يكن قد وجد قبل خلق السماوات والأرض، بل المقصود بذلك هو مراحل الخلق التي استنفذت من الزمن أحياناً ملايين بل وبلايين السنين[1].

فجعل الله تعالى الأقوات في أربعة أيام وهي الفصول الأربعة فالمتحصل من الآيات أولاً: إنّ خلق السماوات والأرض على ما هي عليه اليوم من الصفة والشكل لم يكن عن عدم بحت بل هي مسبوقة الوجود بمادة متشابهة مركومة مجتمعة ففصل بعض أجزائها عن بعض فجعلت أرضاً في برهتين من الزمان وقد كانت السماء دخانا ففصلت وقضيت سبع سماوات في برهتين من الزمان. المراد بخلقها جمع أجزائها وفصلها وفتقها من سائر ما يختلط بها من المادة المتشابهة المركومة، وقد تم أصل الخلق والرتق في السماوات في يومين وفي الأرض أيضا في يومين ويبقى من الستة الأيام يومان لغير ذلك وكون العرش على الماء يومئذ كناية عن أن ملكه تعالى كان مستقرا يومئذ على هذا الماء الذي هو مادة الحياة فعرش الملك مظهر ملكه، واستقراره

[1] ظ: تفسير الأمثل: السيرازي، 12 /154.

على محل هو استقرار ملكه عليه كما أن استواءه على العرش احتواءه على الملك وأخذه في تدبيره [1].

وبهذا نستطيع القول إن عملية خلق الأرض تمت بيومين(من أيام الله)، ثم تقدير أقواتها في يومين آخرين فتلكم أربعة من غير مخالفة للنص القرآني فأنبأ عن خلقها في يومين وهما عهدان وطوران وجعل الأقوات في أربعة أيام التي اختلفوا في بيانها وقيل هي فصول للسنه، وقدَّر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش وقيل إنها الجبال والأشجار والعمران و ...، فالأقوات مصطلح عام شامل يقتضي الى ضم جميع ما ذكر.

المطلب الثاني:ـ ستة أيّام

إن ترتيب الحوادث على إنشاء شيء بعد شيء ، على ترتيب أدل على كون فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره ، ويجريه على مشيئته

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ هود [7] [2].

أنَّ الأيام هنا كناية عن المراحل والدفعات، وانه تعالى لم يخلق الكون دفعة واحدة، بل على ست مراحل، ليكون لكل شيء حد محدود، ووقت مقدر، أنَّ الأيام قد تكون ست مراحل، وقد تكون ستة أطوار، وقد تكون ستة أيام من أيام الله التي لا تقاس بمقياس زماننا. وقد تكون شيئا آخر، فلا ينبغي أن يجزم أحد ما إذا يعني هذا العدد على وجه التحديد والظن باسم العلم محاولة تحكمية، وهزيمة روحية أمام ما يقال له

[1] الميزان في تفسير القرآن:الطباطبائي، 144/10.

[2] تفسير مجمع البيان: الطبرسي، 4/ 272.

علم، وهو لا يتجاوز درجة الظنون والفروض [1]، ويتبادر إلى الأذهان أَنّ عملية الخلق تمت في أيام، هل تلكم الأيام كانت ليلاً أو نهار؟ وهل استعمال اليوم بالقرآن الكريم أن يكون بالضرورة يدل على اليوم المتكون من أربعه وعشرين ساعة (كأيامنا)؟ للمفسرين في ذاك أقوال متضاربة.

قال السمرقندي(ت/373هـ): "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ أي خالقكم ورازقكم الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، قال ابن عباس: أي من أيام الآخرة طول كل يوم ألف سنة، وقال الحسن البصري: من أيام الدنيا، ويقال: يعني في ست ساعات من ستة أيام من أطول أيام الدنيا، ولو شاء أن يخلقها في ساعة واحدة لخلقها، ولكن علَّم عباده التأني والرفق والتدبير في الأمور" [2].

إنَّ الأيّامَ هي المَعْرُوفَةُ لِلنّاسِ، الَّتِي هي جَمْعُ اليَوْمِ الَّذِي هو مُدَّةٌ تُقَدَّرُ مِن مَبْدَأ ظُهُورِ الشَّمْسِ في المَشْرِقِ إلى ظُهُورِها في ذَلِكَ المَكانِ ثانِيَةً، وقَدْ قِيلَ: إنَّ الأيّامَ هُنا جَمْعُ اليَوْمِ مِن أيّامِ اللَّهِ تَعالى الَّذِي هو مُدَّةُ ألْفِ سَنَةٍ، فَسِتَّةُ أيّامٍ عِبارَةٌ عَنْ سِتَّةِ آلافٍ مِنَ السِّنِينَ نَظَرًا لِقَوْلِهِ تَعالى:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الحج [47]،وقَوْلِهِ ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ السجدة [5] [3].

---

[1] ظ: تفسير الكاشف:محمد جواد مغنية، 341/4.

[2] بحر العلوم: السمرقندي ، 123/1.

[3] ظ: التحرير والتنوير:ابن عاشور، 8/ 161.

"وأيام الله هي التي خلق فيها السماوات والأرض غير أيامنا الأرضية قطعاً(بلحاظ النصوص التي ذُكرت سلفاً) فإنما أيامنا هذه ظل للنظام الشمسي، ومقياس لدورة فلكية وجدت بعد خلق السماوات والأرض، وهي مقيسه بقدر دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس ولعل هذه الأيام الستة من أيام الله التي لا يعلم مقدارها إلا هو، إنما تمت فيها أطوار متباعدة في السماوات والأرض حتى انتهت على وضعها الحالي والأيام ليست قطعاً من أيام هذه الأرض التي نعرفها، وقد وجد هذا المقياس الزمني بعد وجود الأرض والشمس، وهو مقياس يصلح لنا نحن أبناء هذه الأرض الصغيرة الضئيلة، وأما حقيقة هذه الأيام الستة المذكورة في القرآن الكريم فعلمها عند الله تعالى قد تكون ستة أطوار مرت بها السماوات والأرض وما بينهما حتى انتهت إلى ما هي عليه، أو ست مراحل في النشأة والتكوين، أو ست أدهار لا يعلم ما بين أحدها والآخر إلا الله".... [1].

"وقد لا تكون هناك حاجة للقول بأنّ «اليوم» في الآيات أعلاه هو حتماً غير اليوم العادي؛ لأنّ اليوم بالمعنى العادي لم يكن قد وجد قبل خلق السماوات والأرض، بل المقصود بذلك هو مراحل الخلق التي استنفذت من الزمن أحياناً ملايين بل وبلايين السنين إن خلق السماوات والأرض لم يكن ليل ولا نهار ليقال : خلقت السماوات

[1] في ظلال القرآن: سيد قطب، 2807/21.

والأرض فيهما ؛ لأنّ الليل والنهار ناشئان من دوران الأرض حول نفسها في مقابل الشمس، وهذا مضافا إلى أنّ ظهور المجموعة الكونية في ستّة أيام "[1] .

وهذا أرجح الأقوال لديّ، وهذا يشهد بأنّ مجموع عملية القيامة التي هي دورة طويلة الأمد والمدّة ، تسمى يوم القيامة، ونقرأ في كتب اللغة أيضا أنّ اليوم ربّما يطلق على الزمن بين طلوع الشمس وغروبها، جاء في روايات أئمّة الدين وأحاديثهم كذلك استعمال اليوم بمعنى الدهر، كما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة أنّه قال: «الدّهر يومان : يوم لك ، ويوم عليك»، وكثيراً ما نشاهد في المحاورات اليومية ، وأشعار الشعراء في اللغات المختلفة، أنّ كلمة اليوم وما يعادلها قد استعملت بمعنى الدورة والعهد، مثلا نقول يوم كانت الكرة الأرضية حارة ومشتعلة ، ويوم صارت باردة وظهرت فيها آثار الحياة ، في حين أنّ فترة سخونة الأرض واشتعالها استغرقت مليارات من الأعوام ، يرى الشيرازي: أنّ الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض في ست دورات متوالية، وإن استغرقت كل دورة من هذه الدورات ملايين أو مليارات السنين، والعلم الحديث لم يبيّن أي أمر يخالف هذا الموضوع [2].

فمعنى الآية خلقهن ومع تقدير أحوالهن في ستة أيام أنشأ خلقهما، واليوم عبارة عن مقدار من الزمان، وهو من طلوع الشمس إلى غروبها قيل هذه الأيام من أيام الدنيا [3]، ومن هذا القول نستنتج: أنَّ عملية الخلق في ستة أيام، ونستطيع الجزم إنها لم تُقس بأيامنا؛ لإن اليوم العادي يحتاج الى دوران الأرض حول نفسها، والأرض لم تُخلق بعد، ويعضده قول الإمام علي (عليه السلام): وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا

---

[1] الأمثل : الشيرازي، 154/12.

[2] ظ: الأمثل: 399/4، نهج البلاغة: 133/3.

[3] ظ: فتحُ البيان في مقاصد القرآن : محمد صديق خان، 4/ 373.

شيء معه. كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها. بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان. عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون [1].

المطلب الثالث:ـ الحكمة من خلق السموات والأرض(في ستة أيام) وليس في كن فيكون

خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام كما أخبر جل وعلا وهو قادر على خلقها في لمح البصر كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ يس [82]، فقدرته سبحانه ليس لها حدود فله مطلق القدرة وكمال الإرادة ومنتهى الأمر وإذا أراد شيئا كان كما أراد والوقت الذي يريد وبالكيفية التي يريد، قدرة الله تعالى تامة لا نستطيع حصرها على شيء محدود، لا تُقيد بزمان ولا مكان فكينونة الشيء موجود في علم الله وحدَهُ قبل خلقة.

أشار الله تعالى إلى خلق السماوات والأرض في ستة أيام في مواضع عدة من القرآن الكريم، ولو أرادَ اللهُ أن يخلُقَها في أقلّ من لحظةٍ واحدة لفَعَلَ وقَدِرَ، ولكنه خلقَها في ستَّة أيامٍ؛ لأنه تعالى حَلِيْمٌ ذُو أنَاةٍ، أحبَّ أن يُعَلِّمَ الخلقَ الأَنَاةَ في الأمور [2].

---

[1] نهج البلاغة:3/ 98.

[2] ظ: تفسير القرآن العظيم: أبو القاسم بن أحمد بن أيوب الطبراني،447/21.

"قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: خَلَقَهُنَّ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ؛ [تَعْلِيمًا] لِخَلْقِهِ التَّثَبُّتَ وَالتَّأَنِّي فِي الْأُمُورِ وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ" [1]، "إِذْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَقُولَ لَهَا كُونِي فَتَكُونُ. وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَ الْعِبَادَ الرِّفْقَ وَالتَّثَبُّتَ فِي الْأُمُورِ، وَلِتَظْهَرَ قُدْرَتُهُ لِلْمَلَائِكَةِ شَيْئًا بَعْدَ شيء، وَهَذَا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ: خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَحِكْمَةٌ أُخْرَى- خَلَقَهَا فِي ستة أيام لأن لكل شي عِنْدَهُ أَجَلًا" [2].

وخلق الله تعالى الأشياء بالتدريج، مع القدرة الكاملة عَلى إيجادِها دُفْعَةً دَلِيلٌ لِلِاخْتِيارِ، أيْ ؛لِأَنَّهُ لَوْ كانَ بِالإيجابِ، لَصَدَرَ دُفْعَةً واحِدَةً [3]، وجَعَلَ العَوالِمَ مُتَوَلِّدًا بَعْضُها مِن بَعْضٍ؛ لِتَكُونَ أتْقَنَ صُنْعًا مِمّا لَوْ خُلِقَتْ دُفْعَةً، ولِيَكُونَ هَذا الخَلْقُ مَظْهَرًا لِصِفَتَيْ عِلْمِ اللَّهِ تَعالى وظاهِرُ الآياتِ أنَّ الأيّامَ هي المَعْرُوفَةُ لِلنّاسِ، الَّتِي هي جَمْعُ اليَوْمِ الَّذِي هو مُدَّةٌ تُقَدَّرُ مِن مَبْدَأ ظُهُورِ الشَّمْسِ في المَشْرِقِ إلى ظُهُورِها في ذَلِكَ المَكانِ ثانِيَةً[4].

وضرب لنا صاحب (الأمثل) مثلاً لو كانت النّطفة البشرية تتبدل في لحظة واحدة إلى وليد كامل، لمّا كان ذلك يحكي عظمة الخلق والتكوين، ولكن عند ما ظهر الوليد خلال 9 أشهر، وضمن برنامج دقيق واتخذ في كل يوم وشهر شكلا خاصا وصورة خاصّة، استطاعت كل واحدة من هذه المراحل أن تقدّم آية جديدة من آيات

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن: الغوي، 197/2، ظ: السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت/ 458هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م، 10/ 178.

[2] الجامع لأحكام القرآن:القرطبي، 7/ 219.

[3] ظ: محاسن التأويل: القاسمي، 69/5.

[4] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8/ 161.

العظمة الإلهية، وتكون دليلا جديدا على قدرة الخالق [1] إنّ تعبير﴿كُن فَيَكُونُ ﴾ الذي جاء في ثمانية موارد من القرآن، تجسيدٌ حيٌ جدّاً عن مدى سعة قدرة الله، وتسلطه وحاكميته في أمر الخلقة، ولا يمكن تصور تعبير عن الأمر أقصر وأوجز من (كُن) ولا نتيجة أوسع وأجمع من (فَيَكُونُ) خاصّة مع ملاحظة «فاء التفريع» التي تعطي معنى الفورية هنا، فإنّها لا تدل هنا على التأخير الزماني بتعبير الفلاسفة، بل تدل على التأخير الرتبي، أي تبيّن ترتب المعلوم على العلة[2]. وبما أنَّ الله تعالى قادر بقدرته التامة، ولا يخفى عليه شيء في الأرض والسماء، فإذا أراد فعل شي يفعله بأمره الكوني ومن دون تأخير

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ **النحل [40]**، فبالتالي نقول: إنّ الكون لو تم في لحظة واحدة لا مناص من أنَّ في ذلك لا يكون اقل دلالة وقدرة على عظمة الخالق ـ بل ـ تكون أعظم لو تمت في كن فيكون، لذا الملايين أو البلايين هي أيضا ضمن مقاييس الفيزياء وخاضعة لقوانين الدوران، فيوم الخلق قطعاً ليس كيومنا فالزمن ربما كان يوم وربما سنة وربما ستة الآف وربما كلمح البصر فما هو إلا قطع وبرهة من الزمان .

---

[1] ظ: الأمثل:الشيرازي،393/4.

[2] المصدر نفسه :44/8.

المبحث الثاني

البُعد العَقَـدّي للتوظيف القــرآني

البعد العقائدي وماله من علاقة بما يعتقدة الانسان حيث إن الله تعالى أقام الكون بنظام، وهذا النظام أقيم على سنن ونواميس سأتناول فيه الآيات التي تتحدث عن سنة المداولة، وما لها علاقة بالأيام والليالي حيث إنَّ صفة من صفات الأيام هيه المداولة وعند تعريف السنة نرى إنَّها: "هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخر" [1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ **فاطر [43]**

فإن من سنة الله تبارك وتعالى في خلقه أنه يضع أقواما ويرفع آخرين؛ لحكمة أرادها سبحانه وكلما ابتعدت الأمم عن المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى واختاره لعباده فانه سيهيئ لهم أسباب الضعف والانهيار جزاء وفاقا لابتعادهم عن المنهج، وكلما التزمت الأمم بتعاليم رب السماء سيهديهم الله تبارك وتعالى؛ لأسباب القوة والمنعة وهكذا سنته في خلقه [2]، ويتم بيانه من خلال المطالب التالية:..

---

[1] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، 1/ 13.

[2] ظ: سياسية الملك الصغير أبو عبد الله محمد بن الحسن وأثرها في سقوط غرناطة، وداد كردي ثلج الحمداني، مجلة سر من رأى، العدد 21 لسنة 2010م، ص204-225.

المطلب الأول: بيان القرآن لِسُنة التَداول

أ. مداولة الأيام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ آل عمران [140]، علاقة الأيام بالمداولة، إن المداولة تكون بالأيام والأيام ليس ذي البعد الزمني المحدد، بل من الدول(تحول الشيء من مكان لمكان) يقول صاحب مقاييس اللغة: "(دَوَلَ) الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالدَّوْلَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدُّولَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ، وَمِنْ ذَاكَ إِلَى هَذَا" [1]، وبناءً على هذا المعنى اللغوي يمكن تفسير التداول: فَيَوْمٌ لَهُمْ وَيَوْمٌ عَلَيْهِمْ أُدِيلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ رجلاً وَأَسَرُوا سَبْعِينَ رجلاً وَأُدِيلَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى جَرَحُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَقَتَلُوا خَمْسًا وَسَبْعِينِ[2].

"فيوم سلى كان لكم بلاءً وتمحيصاً، ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا، فلا تغلبن على الشكر في حينه، والصبر في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض،

---

[1] معجم مقاييس اللغة:إبن فارس، 2/ 314، مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت/ 518هـ)، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1/ 214.

[2] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 513/15، لباب التأويل: الخازن، 301/1.

والعاقبة للمتقين" [1]، "وَرُوِيَ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي حَدِيثِهِ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمٍ وَإِنَّ الْأَيَّامَ دُوَلٌ وَالْحَرْبَ سِجَالٌ" [2].

ففي قَوْلِهِ: إشارَةٌ إلى جَمِيعِ أيّامِ الوَقائِعِ العَجِيبَةِ، فَبَيَّنَ أنَّها دُوَلٌ تَكُونُ عَلى الرَّجُلِ حِينًا ولَهُ حِينًا والحَرْبُ سِجالٌ. المَسْألَةُ الثّانِيَةُ: المُداوَلَةُ نَقْلُ الشَّيْءِ مِن واحِدٍ إلى آخَرَ، يُقالُ: تَداوَلَتْهُ الأيْدِي إذا تَناقَلَتْهُ ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر [7]، أيْ تَتَداوَلُونَها ولا تَجْعَلُونَ لِلْفُقَراءِ مِنها نَصِيبًا، ويُقالُ: الدُّنْيا دُوَلٌ، أيْ تَنْتَقِلُ مِن قَوْمٍ إلى آخَرِينَ، ثُمَّ عَنْهم إلى غَيْرِهِمْ، ويُقالُ: دالَ لَهُ الدَّهْرُ بِكَذا إذا انْتَقَلَ إلَيْهِ، والمَعْنى أنَّ أيّامَ الدُّنْيا هي دُوَلٌ بَيْنَ النّاسِ لا يَدُومُ مَسارُّها ولا مَضارُّها، فَيَوْمٌ يَحْصُلُ فِيهِ السُّرُورُ لَهُ والغَمُّ لِعَدُوِّهِ، ويَوْمٌ آخَرُ بِالعَكْسِ مِن ذَلِكَ، ولا يَبْقى شَيْءٌ مِن أحْوالِها ولا يَسْتَقِرُّ أثَرٌ مِن آثارِها[3].

"والأيّامُ يَجُوزُ أنْ تَكُونَ جَمْعَ يَوْمٍ مُرادٍ بِهِ يَوْمَ الحَرْبِ، كَقَوْلِهِمْ: يَوْمُ بَدْرٍ ويَوْمُ بُعاثٍ ويَوْمُ الشَّعْثَمَيْنِ*، ومِنهُ أيّامُ العَرَبِ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ أُطْلِقَ عَلى الزَّمانِ كَقَوْلِ طَرَفَةَ: وما تَنْقُصُ (الأيّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدُ)" [4].فالمُرادُ هنا بِالأيّامِ هي أوْقاتُ الغَلَبَةِ والظَّفَرِ، يَصْرِفُها اللَّهُ عَلى ما أرادَ تارَةً لِهَؤُلاءِ وتارَةً لِهَؤُلاءِ[5].

---

[1] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تح: محمد أبي الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 156/4.

[2] مسند أحمد، 1 / 288.

[3] ظ: مفاتيح الغيب: الرازي، 373/9.

* "يَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ" لم يُفَسِّروه، والظاهِرُ أنه مَوْضِعٌ كانَتْ به وَقْعَةٌ، المعجم، ظ: القاموس المحيط، 1127/1.

[4] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 99/4.: ديوان طرفة بن العبد: طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (ت/ 564 م)، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 2002 م، 26.

[5] ظ: البحر المحيط: لابي حيان الاندلسي، 3/ 354.

ومداولة الأيام هي مداولة الأزْمانُ، في حين تَصْرِيفُها غَرِيبٌ إذْ هي مَصْدَرُ داوَلَ فُلانٌ الشَّيْءَ إذا جَعَلَهُ عِنْدَهُ دُولَةً ودُولَةً عِنْدَ الآخَرِ أيْ يُدَوِّلُهُ كُلٌّ مِنها أيْ يُلْزِمُهُ حَتّى يَشْتَهِرَ بِهِ، ومِنهُ دالَ يَدُولُ دَوْلًا اشْتَهَرَ ؛ لِأنَّ المُلازِمَةَ تَقْتَضِي الشُّهْرَةَ بِالشَّيْءِ، فالتَّداوُلُ في الأصْلِ تَفاعُلٌ مِن دالَ، ويَكُونُ ذَلِكَ في الأشْياءِ والكَلامِ، يُقالُ: كَلامٌ مُداوَلٌ، ثُمَّ داوَلْتُ الشَّيْءَ مَجازًا، إذا جَعَلْتَ غَيْرَكَ يَتَداوَلُونَهُ، وقَرِينَةُ هَذا الِاسْتِعْمالِ أنْ تَقُولَ: بَيْنَهم. فالفاعِلُ في هَذا الإطْلاقِ لا حَظَّ لَهُ مِنِ الفِعْلِ، ولَكِنْ لَهُ الحَظُّ في الجَعْلِ، وقَرِيبٌ مِنهُ قَوْلُهم: اضْطَرَرْتُهُ إلى كَذا، أيْ جَعَلْتُهُ مُضْطَرًّا مَعَ أنَّ أصْلَ اضْطَرَّ أنَّهُ مُطاوِعُ ضَرَّهُ. والنّاسُ البَشَرُ كُلُّهم؛ لِأنَّ هَذا مِنَ السُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ، فَلا يُخْتَصُّ بِالقَوْمِ المُتَحَدَّثِ عَنْهم[1].

"وهَذِهِ سُنَّةٌ مِنْ تِلْكَ السُّنَنِ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ بَيْنَ النَّاسِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْمُحِقِّينَ وَالْمُبْطِلِينَ، وَالْمُدَاوَلَةُ فِي الْوَاقِعِ تَكُونُ مَبْنِيَّةً عَلَى أَعْمَالِ النَّاسِ. فَلَا تَكُونُ الدَّوْلَةُ لِفَرِيقٍ دُونَ أَخَرَ جُزَافًا، وَإِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ عَرَفَ أَسْبَابَهَا وَرَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا. أَيْ إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ سُنَّةٌ فَعَلَيْكُمْ أَلَّا تَهِنُوا وَتَضْعُفُوا بِمَا أَصَابَكُمْ لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَدُولُ" [2].

لقد كانت قيادة البشرية في يوم من الأيام شرقية بحتةً فلما ظهر الرومان انتقلت إلى الغرب ثم أعادها إلى الشرق الرسالات السماوية الموسوية العيساوية المحمدية، ثم غفى الشرق ، ونهض الغرب نهضته الحديثة، فكانت سنة الله في خلقه فانتقلت الى الغرب مرة ثانية [3].

---

[1] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 99/4.

[2] تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا، 4/ 122.

[3] ظ: منهج القرآن الكريم في مدح القلة وذم الكثرة: توفيق علي زبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، 169.

وبلحاظ تداول الأيام ومن هذا المنطلق نطرح تساؤل: لماذا حصل إنقلاب في الكفة لصالح الغرب ؟ويمكن الدخول إلى هذه الإشكالية بلحاظ إنَّخجج عطاء الله في الدنيا غير ممنوع ومباح لكليهما،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ الإسراء [20]؛الحكمة والعِضة من تداول الأيام تلك لما فيها من معرفة مدى قوة ثبات المسلمين وصبرهم أمام الأيام الصعاب فليس كل المسلمين مؤمنين، فلعل هذا اختبار وامتحان لقولهِ؛ ولأنَّ الدنيا ليست بذات أهمية جُعلت دار ابتلاء ليميّز الخبيث من الطيب، ولهذا تكون مداولة الأيام بين الناس لحكمة إلهية أُعلن عنها قرآنياً بشكل ظاهر وهي: ليعلم الله الذين آمنوا به ويتخذ منهم شهداء، فاليوم الذي ورد في قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾قد يختلف عن اليوم الذي ذُكر في القصص والذي ذكرناه في (أيام الأحكام على سبيل المثال)، فربما يكون يمتد الى سنوات، أو ببرهة من الزمن – أي يختلف باختلاف السياق القرآني والغاية المُبتغاة منه – فاليوم قطع من الزمان ووقت من الأوقات، وظروف زمنية محددة تبين وقوع فعل ما أو حدث ما ،ومما يجدر الالتفات إليه نستطيع تقسيم التداول إلى:

1. تداول بين الأفراد
2. تداول بين الأمم
3. تداول النظام الكوني

بلحاظ من لا يتم التداول بينهم كالخلق فالدنيا شيء والآخرة شيء آخر، وكذا الأنبياء فإن الله تعالى لا يديل بين أنبيائه ورسله، وأيام الدنيا دول بين الناس، تارة لهذا وأخرى لذاك، وأما الآخرة فهي دار القرار لا مداولة فيها، خالصة للمؤمنين.

ب . تقليب الليل والنهار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ النور [44]

يقول القرطبي(ت/671هـ): تَقْلِيبُهُمَا أَنْ يَأْتِيَ بِأَحَدِهِمَا بَعْدَ الْآخَرِ. وَقِيلَ: تَقْلِيبُهُمَا نَقْصُهُمَا وَزِيَادَتُهُمَا وَقِيلَ: هُوَ تَغْيِيرُ النَّهَارِ بِظُلْمَةِ السَّحَابِ مَرَّةً وَبِضَوْءِ الشَّمْسِ أُخْرَى، وَكَذَا اللَّيْلُ مَرَّةً بِظُلْمَةِ السَّحَابِ وَمَرَّةً بِضَوْءِ الْقَمَرِ، قَالَهُ النَّقَّاشُ. وَقِيلَ: تَقْلِيبُهُمَا بِاخْتِلَافِ مَا يُقَدَّرُ فِيهِمَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَنَفْعٍ وَضُرٍّ" [1].

ويرى الفيض الكاشاني(ت/1091هـ): يتم التقليب بالمعاقبة بينهما ونقص أحدهما وزيادة الآخر وتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور إن في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لأولي الأبصار [2]، والتقليب معناه تغيير الشيء مِن جهةٍ إلى جهةٍ، ويكون حسياً ومعنوياً والتقليبُ الحسّي: أنَّ الله يُقَلِب الأرضَ بَدَلًا مِن أنْ كانتْ ضياءً ونهارًا إلى ليلٍ، ثم إلى نهارٍ، وهكذا، والتقليب المعنوي ما يَحصُل في هذه الأيام مِن الحوادثِ والتغيُّرات، والعِزِّ والنَّصْر والإذلال والخذلان؛ كما قال الله تعالى:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾، والصواب في التقليب هنا أنه ليس خاصًا بالتقليب الحسّي الذي هو جَعْل الليلِ مكانَ النهارِ والنهارِ مكانَ الليلِ، بلْ هو أعَمَّ من ذلك، يشمل الحسّيَّ والمعنويَّ، ومِن التقليب أيضًا تقليبُ الفصول؛ حيث يطول اللَّيلُ والنَّهارُ مَرَّةً في وقت الشتاء ومَرَّةً في وقت

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 290/12.

[2] تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، 3/440.

الصيف، كل هذا من التقليب، المهمُّ أنه يجب أن تعرف أن هذا التقليب عامٌّ في كلِّ ما يَحصُل من تغييرٍ في اللَّيل والنَّهار مِن الأمور الحسِّية والأمور المعنوية [1].

ويتضح الفرق بين سنن الكون والسنن الاجتماعية، فالكونية شملت الماديات وظواهر الطبيعية من ليل ونهار، شمس وقمر، ...الخ، أما الاجتماعية حال تبديل الإنسان من ثواب وعقاب ما قبل يوم الحساب' أما الأيام التي استعملت هنا انتقلت من معناها الزمني الى معنى آخر، وهو السلطة والقدرة والتحكم، وأما الليل فهو في متداول مع النهار، بوصفه ليل فيزيائي ناتج من دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس.

ث . الحِكَم والأسرار من سنة التداول

وَتِلْكَ الْأَيَّامُ التي نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ؛ لِيَقُومَ بِذَلِكَ الْعَدْلُ وَيَسْتَقِرَّ النِّظَامُ، وَيَعْلَمَ النَّاظِرُ فِي السُّنَنِ الْعَامَّةِ، وَالْبَاحِثُ فِي الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْبَالِغَةِ، أَنَّهُ لَا مُحَابَاةَ فِي هَذِهِ الْمُدَاوَلَةِ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ; لِأَنَّ الْجِهَادَ الِاجْتِمَاعِيَّ الَّذِي يُدَالُ بِهِ قَوْمٌ عَلَى قَوْمٍ مِمَّا يَظْهَرُ وَيَتَمَيَّزُ بِهِ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ مِنْ غَيْرِهِ [2]، لذا من الحِكمة أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء؛ ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام [3].

---

[1] ظ: تفسير القرآن الكريم «سورة النور»، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط1، 1436 هـ، 301.

[2] ظ: تفسير المنار: محمد رشيد رضا، 122/4.

[3] ظ:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت/ 1376هـ) تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م.: 149.

المبحث الثالث

البعد التشريعي للتوظيف القرآني

إن التشريعات الإسلامية انبثقت من القرآن الكريم، ففيه شَرّع الله تعالى لعباده مسائل الحلال والحرام، وتطبيقاتها في سنة شارحة لها، ومبينة كل مقاصد الشريعة التي تمتاز بمرونة في التطور على مرور الأزمان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة [48] ،وسأسلط الضوء على التوظيف القرآني لليالي والأيام في بعدها التشريعي نصفيه العبادي والأحكام الشرعية الأُخرى:

المطلب الأول: العبـــادات

" بما أنَّ الشريعةُ والشِّرْعةُ هي: مَا سنَّ اللَّهُ مِنَ الدِّين وأَمَر بِهِ كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَسَائِرِ أَعمال البرِّ " [1] فالبُعدّ التشريعي: هو معرفة مدى وأعماق ما يتعلق بالسنن الإلهية وتنظيم علاقة الفرد، وعلاقته بغيره من أفراد مجتمعه في ضوابط وتعاليم وأنظمة لحكم هذه العلاقة، وتتمثل هذه العلاقات في جانب منها في الشطر العبادي من الأحكام التي أوجبها الله سبحانه على بني ادم تزكية لهم وتطهيراً ، ويشمل الجانب العبادي على ما يتعبّد به الأنسان ربه مثل: الصوم والصلاة والحج والزكاة وغيرها، وسأحاول أن أتفحص توظيف القرآن الكريم لليالي والأيام في هذا الجانب.

[1] لسان العرب: فصل الشين، 176/8.

أولا: الصلاة

القطب الأول من العبادات وأوَّل عمل يُحاسَب عليه المسلم يوم القيامة فإذا صلحَت كانت بقية أعماله صالحة، وإن فَسدت فسد ما سواها، وهي أحبّ الأعمال إلى الله تعالى عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود كما روى البخاري أنَّه قَالَ: سَأَلْتُ النبيَّ (صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ): أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: الصَّلَاةُ علَى وقْتِهَا[1]، قال رسول الله محمد (صَلَّى الله عليه آله وسلم): إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ [2].

"وقيل: أركان مخصوصة، وأذكار معلومة الشرائط، مخصوصة في أوقات مقدّرة تقربا الى الله، والصلاة إمّا واجبة، أو مستحبة. والواجبة سبع: اليومية، والجمعة، والعيدين، والآية، والطوافية، والجنازة، والملتزمة بسبب من المكلّف" [3]. وللصلاة مقدمات منها: الوضوء أو التيمم أو الغسل [4].

---

[1] ظ: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(ت/256هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، 2/8.

[2] ظ: سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت/ 279هـ) تح: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1975 م .2/ 269.

[3] ذكرى الشيعة في أحكام الشّريعة: محمّد بن جمال الدّين مكّي العاملي الجزيني(ت/786هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط1، 1/ 65.

[4] ظ: رسائل المحقق الكركي: علي بن حسين الكركي (ت/ 940هـ)، تح: محمد حسون، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ومكتب النشر الإسلامي، ط 1، 1409 هـ، 64/1.

و"أما أجزاء وواجبات الصلاة فهي أحد عشر جزءاً وهي: النية، القيام، تكبيرة الإحرام، الركوع، السجود، القراءة، الذكر، التشهد، التسليم، الترتيب، الموالاة" [1].

مواقيت الصلاة: ـ

قال الرسول الأكرم (صَلَّى الله عليه واله وسلم): " خَمسُ صَلَواتٍ كَتَبهنَّ اللهُ على العبادِ، فمن جاء بهنَّ لم يُضَيّعْ منهنَّ شَيئًا استِخفافًا بحَقِّهنَّ، كان له عند الله عَهدٌ أن يُدخِلَه الجنَّةَ، ومن لم يأتِ بهنَّ فليس له عند اللهِ عَهدٌ؛ إن شاء عَذَّبه، وإن شاء أدخَلَه الجنَّةَ" [2]، وعن زرارة قال: كنت قاعدا عند أبي عبد الله (عليه السلام) أنا وحمران بن أعين فقال له حمران: ما تقول فيما يقول زرارة وقد خالفته فيه؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ما هو؟ قال: يزعم أن مواقيت الصلاة كانت مفوضة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي وضعها فقال أبو عبد الله (عليه السلام):يا حمران إن زرارة يقول: إن جبرئيل (عليه السلام) إنما جاء مشيراً على رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) و صدق زرارة إنما جعل الله ذلك إلى محمد (صلى الله عليه وآله) فوضعه وأشار جبرئيل (عليه السلام) به [عليه] [3] – فأول وقت الظهر، إذا زالت الشمس المعلوم بزيادة الظل بعد نقصه، أو ميل الشمس إلى الحاجب الأيمن للمستقبل إلى أن يمضي مقدار أدائها، ثم تشترك مع العصر إلى أن يبقى للغروب مقدار أداء العصر فتختص به، وأول المغرب: إذا غربت الشمس، المعلوم بغيبوبة الحمرة المشرقية إلى أن يمضي مقدار أدائها، ثم يشترك الوقت بينها وبين العشاء إلى أن يبقى لأنتصاف الليل مقدار العشاء فيختص

---

[1] العروة الوثقى فيما تعم به البلوى: محمد كاظم اليزدي(ت/1337هـ)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 2، 1409 هـ، 1/ 613.

[2] سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت/ 275هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 62/2.

[3] ظ: الفروق في الكافي: الكليني ، 154/3.

بها. وأول الصبح: إذا طلع الفجر الثاني المعترض، وآخره: طلوع الشمس. العصر: بعد الفراغ من الظهر إلى أن يزيد الفيء أربعة أقدام [1]. ولابد من الإشارة الى دليل مشروعية الصلاة بقوله تعالى:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ هود [114]، لم يختلف أحد على إن تلك الآية تخص الصلوات الخمس المفروضة ـ ولكن ـ اختلفوا في المراد من ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾، قيل: أراد بطرفي النهار صلاة الفجر والمغرب وبزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف أول ساعات الليل[2] ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الطَّرَفُ الْأَوَّلُ، صَلَاةُ الصُّبْحِ، وَالطَّرَفُ الثَّانِي صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَالزُّلَفُ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالصُّبْحِ [3]. "﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ ساعات منه قريبة من النهار أي صلاة العشاء أو العشاءين" [4]، "وطَرَفُ الشَّيْءِ: مُنْتَهاهُ مِن أوَّلِهِ أوْ مِن آخِرِهِ، فالتَّثْنِيَةُ صَرِيحَةٌ في أنَّ المُرادَ أوَّلُ النَّهارِ وآخِرُهُ. والنَّهارُ: ما بَيْنَ الفَجْرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، والأمْرُ بِالإقامَةِ يُؤْذِنُ بِأنَّهُ عَمَلٌ واجِبٌ؛ لِأنَّ الإقامَةَ إيقاعُ العَمَلِ عَلى ما يَسْتَحِقُّهُ، فَتَقْتَضِي أنَّ المُرادَ بِالصَّلاةِ هُنا الصَّلاةُ المَفْرُوضَةُ، فالطَّرَفانِ ظَرْفانِ لِإقامَةِ الصَّلاةِ المَفْرُوضَةِ، فَعُلِمَ أنَّ المَأْمُورَ إيقاعُ صَلاةٍ في أوَّلِ النَّهارِ وهي الصُّبْحُ وصَلاةٍ في آخِرِهِ وهي العَصْرُ وقِيلَ المَغْرِبُ. ولَمّا لَمْ

---

[1] كتاب الصلاة: الشيخ مرتضى أنصاري(ت/1281هـ)، تح: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم ط1، قم، 1415هـ، 30.

[2] ظ: مجمع البيان: الطبرسي، 5/ 267.

[3] ظ: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 9/ 109.

[4] تفسير القرآن الكريم(تفسير شبر) :عبدالله شبر(ت/ 1242هـ)، شركة مكتبة الألفين، الكويت، ط1، 2006م، 306.

تُعَيَّنِ الصَّلَواتُ المَأْمُورُ بِإقامَتِها في هَذِهِ المُدَّةِ مِنَ الزَّمانِ كانَ ذَلِكَ مُجْمَلًا فَبَيَّنَتْهُ السُّنَّةُ والعَمَلُ المُتَواتِرُ بِخَمْسِ صَلَواتٍ هي الصُّبْحُ والظُّهْرُ والعَصْرُ والمَغْرِبُ والعِشاءُ" [1] .

ولذا طرفا النهار هو الصباح والمساء، والزلف جمع زلفى كقرب جمع قربى لفظاً ومعنى على ما قيل، وهو وصف سادٌّ مسدَّ موصوفه كالساعات ونحوها، والتقدير وساعات من الليل أقرب الى النهار، والمعنى أقم الصلاة في الصباح والمساء وفي ساعات من الليل هي أقرب الى النهار، وينطبق من الصلوات الخمس اليومية على صلاة الصبح والعصر وهي صلاة المساء والمغرب والعشاء الآخرة[2]، وفي آية أخرى لبيان: أ- **صلاتي الظهر والعصر:-**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ الإسراء [78]، وروى الشعبي عن ابن عباس: [أن] دلوك الشمس ميلها للزوال والصلاة. صلاة الظهر وقيل معني الآية: الظهر والعصر[3].عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: " إذا زالت الشمس دخل الوقتان الظهر والعصر فإذا غابت الشمس دخل الوقتان المغرب والعشاء الآخرة "[4].

ورواية أُخرى عن الكافي: عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام): عمّا فرض الله تعالى من الصّلاة، فقال (عليه السلام): خمس صلوات في الليل والنهار. فقلت: فهل

---

[1] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 12/ 179.

[2] ظ: الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، 12/59-60.

[3] ظ: الهداية إلى بلوغ النهاية: أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت/ 437هـ) ،تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، ط1، 2008م، 6/ 4264.

[4] كتاب الصلاة: الشيخ الأنصاري، 38

سمّاهنّ وبيّنهنّ في كتابه؟ قال: نعم، قال الله تبارك وتعالى لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلّم): أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ، ودلوكها زوالها، ففيما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل أربع صلوات، سماهنّ ووقّتهنّ، وغسق الليل هو انتصافه، ثم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ الإسراء [78]،فهذه الخامسة [1]، و"قِيلَ: واشْتِقاقُهُ مِنَ الدَّلْكِ؛ لِأَنَّ الإنْسانَ تُدْلَكُ عَيْنُهُ عِنْدَ النَّظَرِ إلَيْها. وقِيلَ: الدُّلُوكُ مِن وقْتِ الزَّوالِ إلى الغُرُوبِ. الغَسَقُ سَوادُ اللَّيْلِ وظُلْمَتُهُ" [2]، "فالآية تشمل من الوقت ما بين زوال الشمس ومنتصف الليل، والواقع في هذا المقدار من الوقت من الفرائض اليومية أربع صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، وبانضمام صلاة الصبح المدلول عليها بقوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ إليها تتم الصلوات الخمس اليومية" [3].

ومن خلال هاته الرواية نعرف أنَّ الدلوك: هو زوال الشمس، والغسق هو: ظُلْمَةِ الليلِ، وعلى الرغم من اختلاف العلماء في الدلوك، ولكن بالرجوع الى المعنى اللغوي يتضح لنا معناه وبزوال الشمس يحين وقت صلاتي الظهر والعصر، ثم بقوله تعالى الى غسق الليل يعني صلاتي المغرب والعشاء فهو ذات صلة ب (أقم) الصلاة وهذا يُعدُّ نهاية الإقامة. **ب ـ صلاتي المغرب والعشاء :.**

---

[1] ظ: الفروق في الكافي:الكليني، 3/152-153.

[2] البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي ، 7/ 95.

[3] الميزان : الطباطبائي، 15/ 171.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ سورة ق [40]

إذ يرى الماوردي(ت/450هـ): "فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ أَحَدُها: أَنَّهُ تَسْبِيحُ اللَّهِ تَعالى قَوْلًا في اللَّيْلِ، قالَهُ أَبُو الأَحْوَصِ، الثّانِي: أَنَّها صَلاةُ اللَّيْلِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، الثّالِثُ: أَنَّها رَكْعَتا الفَجْرِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ، الرّابِعُ: أَنَّها صَلاةُ العِشاءِ الآخِرَةِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ" [1]، وعند ابن الجوزي(ت/ 597هـ): "فِيهِ ثَلاثَةُ أَقْوالٍ أَحَدُها: أَنَّها صَلاةُ اللَّيْلِ كُلِّهِ، أيَّ وقْتٍ صَلّى مِنهُ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والثّانِي: صَلاةُ العِشاءِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، والثّالِثُ: صَلاةُ المَغْرِبِ والعَشاءِ "[2]وعند ناصر مكارم الشيرازي : يشير به تعالى إلى صلاتي المغرب والعشاء وقوله: (وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ) ناظراً إلى النوافل بعد صلاة المغرب، وقال ابن عبّاس بهذا التّفسير[3].

أمّا التهجد ويكون بالليل وقيل: المراد من الآية هو الذكر باللسان، والمقصود أن يكون ذاكراً لله تعالى في جميع الأوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه [4]، وعلى الرغم من اختلاف المفسرين في توضيح المعنى، ألا انه يتضح لنا مما تقدم في القول: صلاتي المغرب والعشاء وتتمة القول (وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ) يقصد بها صلاة الليل والنوافل ما بعد صلاتي العشاء، وأمّا الحديث عن جانب مواقيت الأذكار فقد قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا ﴾ الإنسان [26]، عن الإمام الرّضا (عليه السلام): أن هذا التّسبيح هو صلاة اللّيل وقد فسّر قوله: بكرةً وأصيلا، بصلاة الغداة

(1) النكت والعيون: بالماوردي ،5/ 357.

(2) زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي، 165/4.

(3) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي،167/25.

(4) ظ: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، 4/ 381.

والظّهرين وقوله ومن اللّيل فاسجد له، بالعشائين، وقوله: وسبّحه ليلا طويلاً، بالتّهجّد فى طائفةٍ طويلةٍ من اللّيل [1]، وبما إنّ اللَّيْلَ وقْتُ تَفَرُّغٍ مِن بَثِّ الدَّعْوَةِ الآيَةَ وهَذا خاصٌّ بِصَلاةِ اللَّيْلِ فَرْضًا ونَفْلًا وقَوْلُهُ (وسَبِّحْهُ) جُمْلَةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلى جُمْلَةِ(وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ) فَتَعَيَّنَ أنَّ التَّسْبِيحَ التَّنَفُّلُ [2].

وبهذا لابد أنّ يكون الإنسان عابداً لله ذاكراً له في جميع الأوقات، بقلبه ولسانه، ومما سبق قد تبين لي: أنّ بيان أوقات الصلوات الخمس كل من: الصُّبْحُ والظُّهْرُ والعَصْرُ والمَغْرِبُ والعِشاءُ، وفي هذا الخطاب توجيه للمسلمين، وتكون الصلاة أول أعماله إذا أصبح وآخر أعماله حين يمسي (من أول النهار الى أخره)، والصلاة اليومية الخمس هي ثلاثة مواقيت بدليل من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ومدرسة الصحابة الكرام قَالَ: "صَلَّى رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، فِي غَيْرِ خَوْفٍ، وَلَا سَفَرٍ"[3]،

ت ـ الصلاة الوسطى: ـ

---

[1] ظ: تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة: سلطان محمّد الجنابذي(ت/ 1327هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 4/ 226.

[2] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 29/ 406.

[3] صحيح مسلم: 489/1

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة [238]، تضاربت الأقوال حول وقتها، أشهر الأقوال قيل أولاً: الحديث المرفوع إلى النبي بإنها صلاة العصر شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر..؛ لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وإنما خصت بالذكر؛ لأنها تقع في وقت اشتغال الناس [1].

ثانياً: "وقيل صلاة الفجر؛ لأنها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما؛ ولأنها مشهودة، وقيل المغرب؛ لأنها المتوسطة بالعدد ووتر النهار. وقيل العشاء؛ لأنها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل" [2].

ثالثاً: عن زرارة ومحمد بن مسلم،عن الأمام الباقر (عليه السلام) قال: صلاة الظهر، وفيها فرض الله الجمعة، وفيها الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم فيسأل خيراً إلا أعطاه الله إياها [3]، ومنهم من قال: إن الصلاة الوسطى: بأنها إحدى الصلوات الخمس، فلم يعينها الله وأخفاها في جملة الصلوات المكتوبة؛ ليحافظوا على جميعها مثل ما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الأعظم في جميع الأسماء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة[4].

---

[1] ظ: مجمع البيان: الطبرسي، 150/2، صحيح البخاري: 84/8.

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي ، 147/1.

[3] تفسير العياشي: أبو النصر محمد بن مسعود ابن عياش السمرقندي (ت/ 401هـ)، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 147/1.

[4] ظ: مجمع البيان: الطبرسي، 150/2،و مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت/1320هـ)، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، بيروت، ط1، 1987م،9/6.

وأيضا ما يعضد القول بـ (صلاة الوسطى) من خلال فهم العرب لحدود اليوم بأن يبدأ من الغروب الى الغروب التالي، فيكون ترتيب الأوقات للصلاة على الشكل الآتي: . [المغرب، العشاء، الفجر، الظهر، العصر]، فتكون الفجر هي الصلاة الوسطى، ومما يشهد له قوله تعالى (وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ)، والقنوت " إنما يكون في الصبح" [1]، أو ما سبقها من النوافل على بعض الآراء والله أعلم.

ثانياً: الصـــوم

أ. تعريف الصوم:ـ

"(صَوَمَ) الصَّادُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِمْسَاكٍ وَرُكُودٍ فِي مَكَانٍ. مِنْ ذَلِكَ صَوْمُ الصَّائِمِ، هُوَ إِمْسَاكُهُ عَنْ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَسَائِرِ مَا مُنِعَهُ. وَيَكُونُ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ صَوْمًا، إِنَّهُ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ وَالصَّمْتِ" [2].

أمّا بالشرع: "هو الإمساك عن أشياء مخصوصة في زمان مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة على وجه مخصوص، ويحتاج في انعقاده إلى النية" [3]، فالْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْوِقَاعِ لا يكون إلا بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)[4]، "على وجه مخصوص: أردنا به العمد دون النسيان، إذ لو تناول ناسيا لم يفطر، وفي زمان مخصوص :أردنا به النهار دون الليل، وممن هو على صفات مخصوصة : أردنا به

---

[1] ط: الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن ابي طالب، 1/ 800.

[2] معجم مقاييس اللغة: إبن فارس، 3/ ٣٢٣.

[3] مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: أبو منصور الحسن بن يوسف الحلي(ت/726هـ)، تح: مؤسسة النشر الإسلامية، قم، ط3، 1433هـ، 329/3.

[4] ظ: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 1/ 364.

من كان مسلما، إذ لو أمسك الكافر عن جميع ذلك لم يكن صائما، وأن لا تكون حائضا، ولا مسافراً سفراً مخصوصاً، ولا جنباً؛ لعدم انعقاده مع التمكن من الغسل"[1]،"أنّ صوم رمضان واجب عيناً على كل مكلّف ، والمكلّف هو : البالغ العاقل ، فلا يجب على المجنون حال جنونه ، ولا يصحّ منه لو صام ، أمّا الصبي فلا يجب عليه الصوم ، ولكن يصحّ صومه إذا كان مميزاً . ولا بدّ لصحة الصوم أيضاً مِن : الإسلام ، والنية ، كما هو الشأن في العبادات ، فلا يُقبل الصوم مِن غير إسلام ، ولا الإمساك عن المفطّر مِن غير نية باتفاق الجميع ، هذا بالإضافة إلى الخلو مِن الحيض والنفاس والمرض والسفر على التفصيل المتقدم" [2]

ب . مواقيت الصوم

1. **في شهر رمضان:ـ**

حَدَّدَ الشرع أيام الصيام، وهي أيام معدودات (بشهر رمضان) في كل سنة استناداً إلى قوله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة [185]، بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَيَّامَ الصِّيَامِ فَقَالَ: ﴿

---

[1] مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: أبو منصور الحسن بن يوسف الحلي، 329/3.

[2]) الفقه على المذاهب الخمسة: محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، الطبعة الأخيرة ، 2000م 152.

شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: كُتِبَ عَلَيْكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ وَسُمِّيَ الشَّهْرُ شَهْرًا لِشُهْرَتِهِ، وَأَمَّا رَمَضَانُ فَقَدْ قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، يُقَالُ شَهْرُ رَمَضَانَ كَمَا يُقَالُ شَهْرُ اللَّهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ اسْمٌ لِلشَّهْرِ سُمِّيَ بِهِ مِنَ الرَّمْضَاءِ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ وَهُمْ كَانُوا يَصُومُونَهُ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ فَكَانَتْ تُرَمَّضُ فِيهِ الْحِجَارَةُ فِي الْحَرَارَةِ [1].

فهو الجزء المَعْرُوفَ بِشَهْرِ رَمَضانَ مِنَ السَّنَةِ العَرَبِيَّةِ القَمَرِيَّةِ الَّذِي جُعِلَ ظَرْفًا لِأداءِ فَرِيضَةِ الصِّيامِ المَكْتُوبَةِ في الدِّينِ، فَكُلَّما حَلَّ الوَقْتُ المُعَيَّنُ مِنَ السَّنَةِ المُسَمّى بِشَهْرِ رَمَضانَ فَقَدْ وجَبَ عَلى المُسْلِمِينَ أداءُ فَرِيضَةِ الصَّوْمِ فِيهِ، ولَمّا كانَ ذَلِكَ حُلُولَهُ مُكَرَّرًا في كُلِّ عامٍ كانَ وُجُوبُ الصَّوْمِ مُكَرَّرًا في كُلِّ سَنَةٍ؛ إذْ لَمْ يُنَطِ الصِّيامُ بِشَهْرٍ واحِدٍ مَخْصُوصٍ؛ ولِأنَّ ما أُجْرِيَ عَلى الشَّهْرِ مِنَ الصِّفاتِ يُحَقِّقُ أنَّ المُرادَ مِنهُ الأزْمِنَةُ المُسَمّاةُ بِهِ طُولَ الدَّهْرِ [2].

2. في غير شهر رمضان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ البقرة [185]، يقول الزمخشري(ت/538هـ) : "فكيف قيل (فَعِدَّةٌ) على التنكير ولم يقل: فعدّتها، أي فعدة الأيام المعدودات؟ لما قيل: فعدّة، والعدّة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها، علم أنه لا يؤثر عدد على عددها، فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ نصف صاع من برّ أو صاع من غيره عند أهل العراق، وعند أهل الحجاز مدّ، وكان

[1] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: الغوي،216/1.

[2] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 171/2.

ذلك في بدء الإسلام: فرض عليهم الصوم ولم يتعوّدوه فاشتدّ عليهم، فرخص لهم في الإفطار والفدية" [1].

فمن كان منكم مريضاً أو مسافراً ينوب مناب صومه عدة من أيّام أخر، وفيه دلالة على أن المسافر والمريض يجب عليهما الإفطار؛ لأنه سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قَدَّر في الآية فأفطر فقد خالف الظاهر [2].

والمريض مرضاً يؤذيه بإن يكون الصوم يسبب له الضُّر وتخفيفا له كما يدل عليه قوله تعالى:﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ،﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾، فعليه عدة من أيام أُخر وهذا نص في وجوب الإفطار على المريض والمسافر فمن صام في السفر أو المرض فعليه القضاء؛ لأن الله تعالى يقول فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيام أُخر [3].

قالَ تَعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾، ولَمْ يَقُلْ: فَصِيامُ أيّامٍ أُخَرَ؟ قيد الله تعالى الصوم بالعدة تَنْصِيصًا عَلى وُجُوبِ صَوْمِ الأيام بِعَدَدِ أيّامِ الفِطْرِ في المَرَضِ والسَّفَرِ؛ إذِ العَدَدُ لا يَكُونُ إلّا عَلى مِقْدارٍ مُماثِلٍ، واخْتِيرَ في الوَصْفِ صِيغَةُ الجَمْعِ دُونَ أنْ يُقالَ أُخْرى لِئَلّا يُظَنَّ أنَّهُ وصْفٌ لِعِدَّةٍ، وفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأنَّ هَذا الظَّنَّ لا يُوقِعُ في لَبْسٍ؛

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت/538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، 226/1.

[2] ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، 2/ 8.

[3] ظ: الصافي في تفسير كتاب الله الوافي: الفيض الكاشاني، 433/1-434.

لِأَنَّ عِدَّةَ الأيّامِ هي أيّامٌ فَلا يُعْتَنى بِدَفْعِ هَذا الظَّنِّ، فالظّاهِرُ أنَّ العُدُولَ عَنْ أُخْرى لِمُراعاةِ صِيغَةِ الجَمْعِ في المَوْصُوفِ مَعَ طَلَبِ خِفَّةِ اللَّفْظِ[1].

ت . التوظيف القرآني لآيات صوم الأيام والليالي

1. الأيام المعدودة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ البقرة [184]، ويقصد بها أيامَ شهر رمضان؛ لإنه لم يأت خبرٌ تَقوم به حُجة بأنّ صومًا فُرِض على أهل الإسلام غيرَ صوم شهر رمضان، وأن الله تعالى قَد بيَّن في سياق الآية أنّ الصيامَ الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات، بإبانته، عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا [2].

﴿ وأَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ يقصد بها: معلومات محصورات مضبوطات كما يقال أعطيت مالاً معدوداً أي محصوراً متعيّنا ويجوز أن يريد بقوله معدودات أنها قلائل كما قال سبحانه: ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ يوسف [20]، يريد بها أنها قليلة واختلف في هذه الأيام على قولين أحدهما: أنها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة أيام من كل شهر[3]، أو إن المعنّي بالمعدودات شهر رمضان وهي أيام الدنيا أو أيام الصوم في تلك الأيام المقرّرة

---

[1] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 2/ 164.

[2] ظ: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، 421/3.

[3] ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، 2/ 8. تفسير أبي علي الجبائي(ت/303هـ): تح: خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، 98.

للصوم، وقد بيّن الفقهاء حدّ السّفر فيه وشرائطه وشرائط القصر والإفطار فيه وحدّ المرض والإفطار فيه قال تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ، فبدلها عدّة أيام أو فعليه عدّة أيام من أيام أخر وقرئ بالنّصب بتقدير فليصم عدّة من أيام أخر وهذا بظاهره يدلّ على لزوم الإفطار لكليهما والانتقال الى البدل فانّه تعالى أتى بالشّرطيّة وجعل لازم الشّرط الّذى هو المرض أو السّفر استبدال أيّام الصّوم بأيّام أُخر من دون قيدٍ وأفاد أنّ هذا الجزاء لازم لهذا الشّرط المطلق [1].

2. ليلة الصيام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ﴾ البقرة [187]

"قال المفسرون: كان الجماع فِي أول فرض الصيام محرما فِي ليالي الصيام، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة، فأحل الله تعالى ذلك كله إلى طلوع الفجر" [2].

ونذكر أَنّ سبب النزول كما ذكره ابن عباس: إنّ المسلمين إذا كانوا في شهر رمضان وصلوا العشاء الآخرة حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن ناسا من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء فِي شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر

[1] ظ: بيان السعادة في مقامات العبادة: الجنابذي، 171/1.

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد: النيسابوري، 186/1.

بن الخطاب ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آلهَ سَلَّمَ، فأنزل الله تعالى هذه الآية [1].

والذي يعنيه بليلة الصيام هي الليلة التي يكون في غدها الصوم[2]، أو في صباحها صائِمًا، والرَّفَثُ: كِنايَةٌ عَنِ الجِماعِ؛ لِأَنَّهُ لا يَكادُ يَخْلُو مِن رَفَثٍ وهو الإفْصاحُ بِما يَجِبُ أنْ يُكَنّى عَنْهُ [3]، فيصبح بها المكلف صائماً[4].

وليلة الصيام تشمل جميع ليالي رمضان، ولا تختص بليلة دون آخرى ، ولا بجزء من الليلة دون جزء ، للإطلاق وعدم التقييد [5].

"وما شُرِعَ الصَّوْمُ إلّا إمْساكًا في النَّهارِ دُونَ اللَّيْلِ فَلا أحْسِبُ أنَّ الآيَةَ إنْشاءٌ لِلْإباحَةِ. ولَكِنَّها. إخْبارٌ عَنِ الإباحَةِ المُتَقَرِّرَةِ في أصْلِ تَوْقِيتِ الصِّيامِ بِالنَّهارِ، والمَقْصُودُ مِنها إبْطالُ شَيْءٍ تَوَهَّمَهُ بَعْضُ المُسْلِمِينَ وهو أنَّ الأكْلَ بَيْنَ اللَّيْلِ لا يَتَجاوَزُ وقْتَيْنِ؛ وقْتَ الإفْطارِ ووَقْتَ السُّحُورِ، وجَعَلُوا وقْتَ الإفْطارِ هو ما بَيْنَ المَغْرِبِ إلى العَشاءِ؛ لِأنَّهم كانُوا يَنامُونَ إثْرَ صَلاةِ العِشاءِ وقِيامِها فَإذا صَلُّوا العِشاءَ لَمْ يَأْكُلُوا إلّا أكْلَةَ السَّحُورِ وأنَّهم كانُوا في أمْرِ الجِماعِ كَشَأْنِهِمْ في أمْرِ الطَّعامِ وأنَّهم لَمّا اعْتادُوا جَعْلَ النَّوْمِ مَبْدَأ وقْتِ الإمْساكِ اللَّيْلِيِّ ظَنُّوا أنَّ النَّوْمَ إنْ حَصَلَ في غَيْرِ إبّانِهِ المُعْتادِ يَكُونُ أيْضًا مانِعاً مِنَ الأكْلِ والجِماعِ إلى وقْتِ السُّحُورِ"[6].

---

[1] ظ: أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت/ 468هـ)،تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1992م، 50/1.

[2] ظ: مجمع البيان: الطبرسي، 2/ 19.18.

[3] ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي،126/1.

[4] ظ: التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، 343/1.

[5] ظ: تفسير الكاشف: محمد جواد مغنية ،289/4.

[6] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 181/2.

3. صوم زَكَريا (عليه السلام)

زكريا هو نبي من الأنبياء وكافل مريم (عليها السلام)، أرسله تعالى لهداية الناس لَمَّا بلغ من الكبر عتياً وزوجته عاقر تقدم بالدعاء لطلب الذرية.

أ- طلب السؤال

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ آل عمران [38]، ومن خلال الإطار العام للْآيَةُ المباركة يتضح أنّها دَلَّتْ عَلَى طَلَبِه للْوَلَدِ، وفي قوله عندما طلب الذرية استعطاء شيء بلا مقابل، إنه يعترف أنا ليس لي المؤهلات التي تجعل لي ولداً؛ لأني كبير السن وامرأتي عاقر، إذن فعطاؤك يا رب لي هو هبة وليس حقاً، فلا تظن أن اكتمال الأسباب والشباب هي التي تعطي الذرية، إن الحق سبحانه ينبهنا ألاّ نقع في خديعة أنفسنا وغشّها بالأسباب [1].

ولعلنا هنا نكون في مواجهة سؤال إلا وهو زكريا سأل ربه أن يهبه ذرية طيبة، ومعنى هذا أنه سأل شيئاً ممكناً في اعتقاده، فكيف عاد واستبعد ذلك عند ما بشرته الملائكة؟ والجواب: لم يكن قوله هذا شكاً واستبعاداً، وإنما هو استعظام لقدرة الله التي تخطت السنن والعادات، تماما كما تقول لمن يهب الكثير الثمين من ماله: كيف فعلت ما لم يفعله أحد سواك؟ وأيضا يتضمن هذا الاستعظام والتعجب الشكر لله على هذه

[1] ظ: تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، 3/ 1443.

النعمة الجليلة التي لم تكن في الحسبان فأعطاه الله وبشره بيحيى سيداً وحصوراً قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا ﴾ آل عمران [39] [1].

ب ـ الصيام عن الكلام وعلّته

"وَلَمَّا بُشِّرَ بِالْوَلَدِ وَلَمْ يَبْعُدْ عِنْدَهُ هَذَا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى طَلَبَ آيَةً– أَيْ عَلَامَةً– يَعْرِفُ بِهَا صِحَّةَ هَذَا الْأَمْرِ وَكَوْنَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَاقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ أَصَابَهُ السُّكُوتُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ لِسُؤَالِ الْآيَةِ بعد مشافهة الملائكة إياه" [2]، وقالَتْ فِرْقَةٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ: لَمْ يَشُكَّ قَطُّ زَكَرِيّا، وإنَّما سَألَ عَنِ الجِهَةِ الَّتِي بِها يَكُونُ الوَلَدُ، وتَتِمُّ بِهِ البِشارَةُ، فَلَمّا قِيلَ لَهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ آل عمران [40]، سَألَ عَلامَةً عَلى وقْتِ الحَمْلِ؛ لِيَعْرِفَ مَتى يَكُونُ العُلُوقُ بِيَحْيى[3]، فلَمْ يُبَيِّنْ هنا هَلِ المانِعُ لَهُ مِن كَلامِ النّاسِ بُكْمٌ طَرَأَ لَهُ، أوْ آفَةٌ تَمْنَعُهُ مِن ذَلِكَ، أوْ لا مانِعَ لَهُ إلّا اللَّهُ؟ وهو صَحِيحٌ لا عِلَّةَ لَهُ، وأنَّ انْتِفاءَ التَّكَلُّمِ عَنْهُ لا لِبُكْمٍ، ولا مَرَضٍ وذَلِكَ في قَوْلِهِ تَعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيّٗا ﴾ مريم [10]؛ لِأنّ انْتِفاءِ التَّكَلُّمِ بِطَرِيقِ الإعْجازِ وخَرْقِ العادَةِ، لا لِاعْتِقالِ اللِّسانِ بِمَرَضٍ، أيْ: يَتَعَذَّرُ عَلَيْكَ تَكْلِيمُهم ولا

---

[1] ظ: الكاشف: محمد جواد مغنية 54/2.

[2] الجامع لأحكام القرآن:القرطبي، ٨٠/4، ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي،438/1.

[3] ظ: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الاندلسبي 138/3.

تُطِيقُهُ، في حالِ كَوْنِكَ سَوِيَّ الخَلْقِ سَلِيمَ الجَوارِحِ، ما بِكَ شائِبَةٌ بُكْمٌ ولا خَرَسٌ، وهَذا ما عَلَيْهِ الجُمْهُورُ، ويَشْهَدُ لَهُ قوله تعالى:

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ آل عمران [41][1]، ويتضح مما تقدم لي: إن العلة في انتفاء الكلام ليس لعلة خلقية، فالخالق جل وعلا لم يسلب منه الكلام قطعاً، ولوكان لما قال: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ فكل نعمة يتبعها صوم للشكر، ويمكن عد ذلك (أمراً تكليفياً)، فلذلك أنا لا أوافق على كونه أصيب بالبكم وعدم القدرة على الكلام عقاباً فهذا يعارض الذكر الكثير.

ت ـ التوظيف القرآني لآيات الأيام والليالي(مدة الصيام)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا ﴾ آل عمران [41]،﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ مريم [10]، فزكريا (عليه السلام) مَأمورٌ بِالْأَيَّامِ، وقَدْ دخلت فِيهَا اللَّيَالِي، وَإِن كَانَ مَأمورا بالليالي فقَدْ دخلت فِيهَا الْأَيَّام، ولمَّا اسْتَوَى عدد الْأَيَّام وَعدد اللَّيَالِي فِي ذَلِكَ وَجب أَن يكون من أوجب عَلَى نَفسه اعْتِكَاف أَيَّام، كَانَ عَلَيْهِ مَعهَا من اللَّيَالِي مثل عَددهَا، وَإِن أوجب عَلَى نَفسه اعْتِكَاف لَيَال، كَانَ عَلَيْهِ مَعهَا

[1] ظ: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ، 200/1.

من الْأَيَّام مثل عَددهَا [1]، وَقَالَ الجصاص(ت/370هـ) عن قوله تعالى في آل عمران :﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ بِعَيْنِهَا:﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مريم: 10] عَبَّرَ تَارَةً بِذِكْرِ الْأَيَّامِ وَتَارَةً بِذِكْرِ اللَّيَالِي, وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَحَدَ الْعَدَدَيْنِ مِنْ الْجَمِيعِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يُعْقَلُ بِهِ مِقْدَارُهُ مِنْ الْوَقْتِ الْآخَرِ, فَيُعْقَلُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ثَلَاثِ لَيَالٍ مَعَهَا وَمِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ, أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ التَّفْرِقَةَ بَيْنَهُمَا أَفْرَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالذِّكْرِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة [7]؛ لِأَنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى الْعَدَدِ الْأَوَّلِ عَقِلَ الْمَلَائِكَةُ مِثْلَهُ مِنْ الْوَقْتِ الْآخَرِ [2]، "ولَمْ يُعَيِّنِ ابْتِداءَ ثَلاثَةِ أيّامٍ، بَلْ أطْلَقَ فَقالَ: ثَلاثَةَ أيّامٍ، فَإنْ كانَ ذَلِكَ بِتَكْلِيفٍ فَيُمْكِنُ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَوْكُولًا إلى اخْتِيارِهِ، يَمْتَنِعُ مِن تَكْلِيمِ النّاسِ ثَلاثَةَ أيّامٍ مَتى شاءَ، ويُمْكِنُ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِن حِينِ الخِطابِ، وإنْ كانَ بِمَنعٍ قَهْرِيٍّ فَيَظْهَرُ أنَّهُ مِن حِينِ الخِطابِ" [3].

---

[1] ظ: أحكام القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري بالطحاوي (ت/ 321هـ)، تح :سعد الدين أونال ، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي ، استانبول، ط1، 1995م،1/ 485.

[2] ظ: أحكام القرآن: أبو بكر احمد علي الرازي الجصاص(ت/370هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، لبنان، دار الكتب العلمية، 1971م، 16/2.

[3] البحر المحيط: أبو حيان الاندلسي، ١٣٩/3.

"وآيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لا تخاطب إلا الله " [1]، "مَعَ القُدْرَةِ عَلى الذِّكْرِ والتَّسْبِيحِ وإنَّما جُعِلَتْ آيَتُهُ ذَلِكَ لِتَخْلِيصِ المُدَّةِ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعالى وشُكْرِهِ قَضاءً لِحَقِّ النِّعْمَةِ، كَأنَّهُ قِيلَ: آيَةُ حُصُولِ المَطْلُوبِ و وُصُولِ النِّعْمَةِ أنْ تَحْبِسَ لِسانَكَ إلّا عَنْ شُكْرِها، وأحْسَنُ الجَوابِ ما اشْتُقَّ مِنَ السُّؤالِ" [2].

"وجُعِلَتْ في سُورَةِ آلِ عِمْرانَ ثَلاثَةَ أيّامٍ، وجُعِلَتْ قي سورة مريم ثَلاثَ لَيالٍ، فَعُلِمَ أنَّ المُرادَ هُنا لَيالٍ بِأيّامِها وأنَّ المُرادَ في آلِ عِمْرانَ أيّامٌ بِلَيالِيها، وأكَّدَ ذَلِكَ هُنا بِوَصْفِها بِـ سَوِيًّا أيْ ثَلاثَ لَيالٍ كامِلَةٍ، وفُسِّرَ أيْضًا سَوِيًّا أيْ: بِدُونِ عاهَةِ الخَرَسِ والبَكَمِ، ولَكِنَّها آيَةٌ لَكَ اقْتَضَتْها الحِكْمَةُ[3]،"والعَرَبُ تَتَجَوَّزُ أوْ تَكْتَفِي بِأحَدِهِما عَنِ الآخَرِ، والنُّكْتَةُ في الِاكْتِفاءِ بِـ(اللَّيالِي) هُنا وبِـ(الأيّامِ) ثُمَّ، أنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ سابِقَةُ النُّزُولِ، وتِلْكَ مَدَنِيَّةٌ واللَّيالِي عِنْدَهم سابِقَةٌ عَلى الأيّامِ؛ لِأنَّ شُهُورَهم وسِنِيّهِمْ قَمَرِيَّةٌ، إنَّما تَعْرِفُ بِالأهِلَّةِ ولِذَلِكَ اعْتَبَرُوها في التّارِيخِ، كَما ذَكَرَهُ النُّحاةُ، فَأُعْطِيَ السّابِقُ لِلسّابِقِ"[4]،" أنَّ (سَوِيًّا) عائِدٌ عَلى اللَّيالِي أيْ كامِلاتٍ مُسْتَوَياتٍ فَيَكُونُ صِفَةً لِثَلاثٍ" [5].

" سليماً مُعافىً، سويّ التكوين، لا نقص فيك، ولا قصور في جارحة من جوارحك، وهكذا لا يكون عدم الكلام عَيْباً، بل آية من آيات الله، وهناك فَرْق بين أمر كونيّ وأمر شرعي، الأمر الكونيُّ هو ما يكون وليس لك فيه اختيار في ألاَّ يكون، والأمر الشرعيّ ما لك فيه اختيار من الممكن أن تطيعه فتكون

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري ، 474/4.

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت/982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 34/2.

[3] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 16/ 72-74.

[4] محاسن التأويل: القاسمي، 87/7.

[5] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، 200/1.

طائعاً، أو تعصيه فتكون عاصياً، وهذا الذي حدث لزكريا أمر كوني، وآية من الله لا اختيار له فيها، وكأن الحق سبحانه يعطينا الدليل على أنه يوجد مِنْ لا مظنّة أسباب، وقد يبقي الأسباب سليمة صالحة ولا يظهر المسبَّب، فاللسان هنا موجود، وآلات النطق سليمة، ولكنه لا يقدر على الكلام" [1].

ويتضح لي: عائدية (سويا) اذا كانت على الليالي فهذا يدل على اشتمال اليوم على الليل والنهار، أما اذا عادت على زكريا دل على كون المانع إعجازياً؛ لعدم قدرته على الكلام مع انه صحيح الجسم، ونستنتج إنَّ زكريا (عليه السلام) كان قادراً على الكلام وبأمر من الله منع عنه، شُغل بالتسبيح والخشوع لله تعالى هبة وهبها له ويتم التواصل عن طريق الإشارات؛ والعلة من ذلك أمر كوني. حاول المفسرون بعد إيجاد مخرج وضمن حدود معقوله حول تفسير تلكم الأيام والليالي، وأبرز ما قيل: إنَّه أراد بذلك صياماً عن الكلام ثلاثة أيام بلياليها متواصلة، شاكراً لله تعالى على ما أنعم عليه؛ أو معلّلاً سبب الصيام هو علامة لوقوع الحمل بالغلام لا صيام الإمساك عن المفطرات.

4. صوم مريم العذراء (عليها السلام)

كان صيام السيدة العذراء بأمر وتوجيه من الله تعالى، ولكن اختلف المفسرون في الكيفية، فمنهم من قال صامت عن الكلام ومنهم من قال أَنه صوم عن سائر المفطرات ومنهم من قال صوم عن الكلام والمفطرات.

[1] تفسير الشعراوي: 9039/15.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم [26]، وقال الطبري(ت/ 310هـ): الصوم يقال له الصمت، وفي رواية أخرى عن قتادة: إنها صامت من الطعام والشراب والكلام [1].

فالصَّوْمُ: فِي اللُّغَةِ الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْكَلَامِ، فقد كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْتَهِدَ صَامَ عَنِ الْكَلَامِ، كَمَا يَصُومُ عَنِ الطَّعَامِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهَا أَنْ تَقُولَ هَذَا إِشَارَةً، وَقِيلَ أَمَرَهَا أَنْ تَقُولَ هَذَا الْقَدْرَ نُطْقًا، ثُمَّ تُمْسِكُ عَنِ الْكَلَامِ بَعْدَهُ ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ يُقَالُ: كَانَتْ تُكَلِّمُ الْمَلَائِكَةَ، وَلَا تُكَلِّمُ الْإِنْسَ[2]، أي سكوتاً ولكونه بمعنى السّكوت فرّع عدم التّكلّم عليه، قيل: كان في بنى إسرائيل انّه من أراد أن يجتهد في العبادة صام عن الكلام كما يصوم عن الطّعام، ولذلك استعمل الصّوم في عدم التّكلّم قيل: صارت مأذونة لهذا القدر من الكلام، وقيل: كانت تُفهم بالإشارة إنها صائمة ولا تتكلّم أي تخبر عن صيامها بالإشارة فلا يجوز لها الكلام إلا بالإشارة [3].

ويتضح لي سبب عدم التكلم؛ ليتكلم عنها ولدها فيكون فيه براءتها وأمّا الاستعمال القرآني لمفردة اليوم جاء مطلقاً، لا اليوم المقيد بالزمن المحدود . بل ربما يمتد الى أكثر أو أقل فما هو إلا قطع من الزمان.

---

[1] ظ: جامع البيان: الطبري، 182/18.

[2] ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 230/3.

[3] ظ: بيان السعادة في مقامات العبادة: الجنايذي، 5/3.

ثالثاً: الحج

وهو واجب على كل من استجمع الشرائط الآتية من المكلفين، بالكتاب والسنة، والإجماع من جميع المسلمين بل بالضرورة [1].

يعد الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، ونص مشروعية الحج بالقرآن والسنة المطهرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ آل عمران [97]

قال الرسول الأكرم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم): بُنَي الإِسْلَامَ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّداً (صلّى الله عليه واله وسلم) عَبْدُهُ ورَسُولُهُ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَاءِ الزَّكاةِ وحِجِّ الْبَيتِ وصِيامِ شَهْرِ رَمَضَان [2].

فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: بني الإسلام على خمس دعائم: إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان ، وحج البيت والولاية لنا أهل البيت[3].

ورَوى هِشَامُ بْنِ الْحَكَم قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السَّلام) فَقُلْتُ لَهُ : مَا الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا كَلَّفَ اللَّهُ الْعِبَادَ الْحَجَّ وَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ ؟ قال: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَ أَمَرَهُمْ بِمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الطَّاعَةِ فِي الدِّينِ وَمَصْلَحَتِهِمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ؛ فَجَعَلَ فِيهِ

---

[1] ظ: كتاب الحج: أبو القاسم الخوئي(ت/1411هـ)، لطفي، ط2، 9/1.

[2] ظ: صحيح البخاري، ١١/1، صحيح مسلم، 45/1، سنن الترمذي، 5/5.

[3] ظ: مستدرك الوسائل،ا لطبرسي، 1/ 73.

الِاجْتِمَاعَ مِنَ الشَّرْقِ وَ الْغَرْبِ لِيَتَعَارَفُوا ، وَلِيَنْزِعَ كُلُّ قَوْمٍ مِنَ التِّجَارَاتِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، وَلِتُعْرَفَ آثَارُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَذَلِكَ عِلَّةُ الْحَجِّ [1].

مواقيت الحج

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ البقرة [197]، عني بـ "الأشهر المعلومات": شوالاً وذا القعدة، وعشرا من ذي الحجة [2]، وقيل: "هُنَّ شَوّالٌ وذُو القِعْدَةِ وعَشْرُ لَيالٍ مِن ذِي الحِجَّةِ، إلى طُلُوعِ الفَجْرِ مِن يَوْمِ النَّحْرِ"[3].

"لَمْ يُسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى أَشْهُرَ الْحَجِّ فِي كِتَابِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ، وَلَفْظُ الْأَشْهُرِ قَدْ يَقَعُ عَلَى شَهْرَيْنِ وَبَعْضِ الثَّالِثِ، لِأَنَّ بَعْضَ الشَّهْرِ يَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ كُلِّهِ، كَمَا يُقَالُ: رَأَيْتُكَ سَنَةَ كَذَا، أَوْ عَلَى عَهْدِ فُلَانٍ، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا رَآهُ فِي سَاعَةٍ مِنْهَا، فَالْوَقْتُ يُذْكَرُ بَعْضُهُ بِكُلِّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ (صل الله عليه واله وسلم): (أَيَّامَ مِنًى ثَلَاثَةٌ)، وَإِنَّمَا هِيَ يَوْمَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ" [4].

فَقالَ: ﴿مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ "أيْ: قَبْلَ نُزُولِ الشَّرْعِ فَأذِنَ هَذا أنَّ الأمْرَ بَعْدَ الشَّرْعِ عَلى ما كانَ عَلَيْهِ ولا شَكَّ أنَّ في الإبْهامِ ثُمَّ التَّعْيِينِ إجْلالًا وإعْظامًا لِلْمُحَدَّثِ عَنْهُ" [5]، وذكرت أحكام الحج بعد ذكر أحكام الصيام؛ لأن شهوره تأتي مباشرة بعد شهر الصيام [1].

---

[1] ظ: وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي(ت/ 1104 هـ) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط3، 14/11.

[2] ظ: جامع البيان: الطبري، 4/ 115.

[3] النكت والعيون: النكت والعيون، 1/ 259.

[4] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 405/2.

[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي ،3/ 137-138.

وللحج أركان وشروط وواجبات تزيد من الفضل والثَّواب عند الله تعالى، وسأتناول في هذا المبحث الجانب الذي يسلط الضوء على الأيام الخاصة بالحج، نظراً لعدم ورود الليالي في هذا المبحث كون اليوم يشمل جمع الليل مع النهار، ويمكن بيانه من خلال الآتي:-

التوظيف القرآني لآيات الحج

1 - يوم الحج الأكبر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ التوبة [3]، والحج الأكبر فيه ثلاثة أقوال أحدها: إنه يوم عرفة، عن عمر ، وسعيد بن المسيب، وعطا، وطاووس، ومجاهد، وروي ذلك عن علي عليه السلام، ورواه المسور بن مخرمة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عطا: الحج الأكبر: الذي فيه الوقوف، والحج الأصغر: الذي ليس فيه وقوف، وهو العمرة وثانيها: إنه يوم النحر، عن علي (عليه السلام)، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن زيد، والنخعي، ومجاهد، والشعبي، والسدي، وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) ورواه ابن أبي أوفى، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(1) ظ: روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني(ت/2021م)، طباعة حسن عباس الشربتلي، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت ،ط3، 1980 م، 242/1.

قال الحسن : وسمي الحج الأكبر؛ لأنه حج فيه المشركون والمسلمون ، ولم يحج بعدها مشرك ، *وثالثها: إنه جميع أيام الحج، عن مجاهد أيضا، وسفيان، فمعناه أيام الحج كلها، كما يقال يوم الجمل، ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان؛ لأن كل حرب من هذه الحروب، دامت أياماً" [1].

"فَمَنْ قَالَ عَشْرٌ عَبَّرَ بِهِ عَنِ اللَّيَالِي وَمَنْ قَالَ تِسْعٌ عَبَّرَ بِهِ عَنِ الْأَيَّامِ، فَإِنَّ آخِرَ أَيَّامِهَا يَوْمُ عَرَفَةَ، وَهُوَ يَوْمُ التَّاسِعِ وَإِنَّمَا قَالَ أَشْهُرٌ بِلَفْظِ الْجَمْعِ وَهِيَ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ؛ لِأَنَّهَا وَقْتٌ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْوَقْتَ تَامًّا بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَتَقُولُ الْعَرَبُ: أَتَيْتُكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَإِنَّمَا أَتَاهُ فِي سَاعَةٍ مِنْهُ، وَيَقُولُ: زُرْتُكَ الْعَامَ، وَإِنَّمَا زَارَهُ فِي بَعْضِهِ، وَقِيلَ: الِاثْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا جَمَاعَةٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْجَمْعِ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، فَإِذَا جَازَ أَنْ يُسَمَّى الِاثْنَانِ جَمَاعَةً جَازَ أَنْ يُسَمَّى الِاثْنَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ جَمَاعَةً وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الِاثْنَيْنِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ فَقَالَ:﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ التحريم [4]"[2]، في حين يرى محمد جواد مغنية(ت/1979هـ): إنَّ يوم الحج الأكبر هو اليوم العاشر من ذي الحجة (يوم النحر) وكان ابتداء الأشهر الأربعة بهذا اليوم من سنة تسع للهجرة، وانتهاؤها في عاشر ربيع

---

[1] مجمع البيان: الطبري، 32/5، *ظ: وقاله صاحب العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت/ 1393هـ)، تح: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: 2، 1426 هـ، 5/ 255.

[2] معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 225/1.

الآخر من سنة عشر، [1]، ويُعَدّ في ذلك اليوم، حدثاً عظيماً ألا وهو تأكيد على موضوع إلغاء المعاهدات التي كانت بين النّبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والمشركين، حتى أنّ تاريخ الإلغاء قد أعلن في هذه الآية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ التوبة [3]، وفي الحقيقة، أنّ الله سبحانه يريد في هذا الإعلان العام في مكّة المكرمة إلغاء عهد المشركين، لا يحق للمشركين أن يحجّوا في المواسم المقبلة، منع العراة والحفاة من الطواف الذي كان شائعاً ومألوفاً حتى ذلك الوقت، .. [2]، وأمّا الحج الأصغر: "عن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر، والحج الأصغر العمرة" [3]

2 . يوم عرفة:ـ

وَردَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنها"سميت عرفةُ بعرفةَ؛ لأنّ جبرائيل (عليه السلام) قال لإبراهيم (عليه السلام) : هُناك اعترف بذنبك، واعرف مناسكك؛ فلذلك سُميت

[1] ظ: تفسير الكاشف: محمد جواد مغنية 4/ 10.

[2] ظ: تفسير الأمثل الشيرازي: 149/5.

[3] تفسير العياشي: أبو النصر محمد بن مسعود ابن عياش السمرقندي (ت/ 401هـ)، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1991م، 82/2.

عرفةَ"[1]، ومادة (ع ر ف) ويقصد بها "المَعْرِفَةُ والعِرْفَانُ أي إدراكُ الشيء بتفكر وتدبر"[2]، أو "سُمِّيَ الْيَوْمُ يَوْمَ عَرَفَةَ وَقِيلَ: سُمِّيَ بذلك؛ لعلوّ الناس فيه على جباله،

والعرب تسمّي ما علا عرفة، ومنه سمّي عرف الديك؛ لعلوه، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَعْتَرِفُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِذُنُوبِهِمْ، وقَوْلُهُ تَعَالَى: فَاذْكُرُوا اللَّهَ: بِالدُّعَاءِ وَالتَّلْبِيَةِ، عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ" [3] وعَرَفَةَ هو يوم شَامِلٌ للَّيْلِ والنَّهَارِ[4].

ولعل ذلك يدل: على أن الله قد حكم بأن عرفات ستمتلئ امتلاء فائض، وكل من يخرج منها كأنه فائض عن العدد المحدد لها، وهذا حكم من الله في الحج. وأنت إذا ما شهدت المشهد كتبه الله للمسلمين جميعاً. إن شاء الله سترى هذه المسألة، فكأن إناءً قد امتلأ، وذلك يفيض منه، ولا تدري من أين يأتي الحجيج ولا إلى أين يذهبون، ومن ينظر من يطوفون بالبيت وكذلك إذا فاض الحجيج في مساء يوم عرفة يخيل إليك عندما تنظر إليهم أنه لا فارق بينهم [5].

ويجب على الحجّاج أن يقفوا في هذا المحل من ظهر يوم التاسع من ذي الحجّة إلى غروب الشمس فينشغلوا بالعبادة والذكر [6].

والذي يستخلص من الأقوال: أنَّ يوم عرفة (اليوم التاسع من ذي الحجة)هو يوم التوبة والإعتراف ووقوف حجاج بيت الله على جبل عرفات وسمي تيُّمناً بيوم عرفات

---

[1] من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي الصدوق (ت/ 381هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط 2، 1413 هـ، 196/2.

[2] ظ:المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحيسين بن محمد الاصفهاني، 560.

[3] معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 1/ 254.

[4] ظ: العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ: 5/ 255.

[5] ظ: تفسير الشعراوي: 851/2.

[6] ظ: الأمثل: الشيرازي، 484/1.

حتى وقت الغروب، ويعد من الأيام المهمة في حياة المسلمين عامة لما ورد فيه من اجر عظيم وغفران للذنوب؛ لذا يقبل التوب عن عبادة نقلاً عن كتب الأحاديث المروية عن الرسول وآل بيته الكرام.

3. مدة الصوم بالحج

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ البقرة [196]، قال الإمام الصادق (عليه السلام) إذا لم يجد المتمتع الهدي صام ثلاثة أيام في الحج: والقصد منه : يصوم يوماً قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله، وله أن يصوم متى شاء إذا دخل في الحج [1].

ويقول الطبرسي(ت/548هـ): "أي فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وعندنا أن هذه الأيام الثلاثة يوم قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وإن صام في أول العشر جاز ذلك رخصة وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوما آخر بعد انقضاء أيام التشريق وإن فاته صوم يوم التروية أيضا صام الأيام الثلاثة بعد أيام التشريق متتابعات وقوله: ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾، أي وسبعة أيام إذا رجعتم إلى بلادكم وأهاليكم وبه قال قتادة وعطاء وقيل معناه إذا رجعتم من مني فصوموها في الطريق عن مجاهد والأول هو الصحيح عندنا" [2]؛ و" لِأَنَّ الْعَرَبَ مَا كَانُوا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحِسَابِ فَكَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى فَضْلِ شَرْحٍ وَزِيَادَةِ بَيَانٍ، وَقِيلَ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، يعني: فصيام عشرة أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ، فَهِيَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ، وَقِيلَ: كَامِلَةٌ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ، وَقِيلَ: كَامِلَةٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّوْمِ بَدَلَ الْهَدْيِ، وَقِيلَ: كَامِلَةٌ بِشُرُوطِهَا

[1] ظ: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الطبرسي، 10/ 118.

[2] مجمع البيان: الطبرسي 33/2.

وَحُدُودِهَا، وَقِيلَ: لَفْظُهُ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أَيْ: فَأَكْمِلُوهَا وَلَا تَنْقُصُوهَا، ذلِكَ، أَيْ: هَذَا الْحُكْمُ، لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ" [1]،والإحْصارِ: إذا مُنع مِنَ السَّفَرِ، ومِنهُ هَذِهِ الآيَةُ(فَمَن كانَ مِنكم) أيْ: مِنَ المُحَرِّمِينَ، مُحْصِرًا كانَ أوْ غَيْرَ مُحْصِرٍ – مَرِيضًا، واحْتاجَ إلى لَبْسٍ أوْ شَيْءٍ يَحْظَرُهُ الإحْرامُ، فَفَعَلَهُ، أوْ بِهِ أذًى مِن رَأْسِهِ فَحَلَقَ، فَفِدْيَةٌ مِن صِيامٍ. [2].

"وجَعَلَ اللَّهُ الصِّيامَ بَدَلًا عَنِ الهَدْيِ زِيادَةً في الرُّخْصَةِ والرَّحْمَةِ؛ ولِذَلِكَ شَرَعَ الصَّوْمَ مُفَرَّقًا فَجَعَلَهُ عَشَرَةَ أيّامٍ " [3]، "وجعل الحج ظرفاً للصيام باعتبار اتحاده مع زمان الاشتغال به ومكانه، فالزمان الذي يعد زمانا للحج، وهومن زمان إحرام الحج إلى الرجوع، زمان الصيام ثلاثة أيام، ولذلك وردت الروايات عن أئمة أهل البيت أن وقت الصيام قبل يوم الأضحى أو بعد أيام التشريق لمن لم يقدر على الصيام قبله وإلا فعند الرجوع إلى وطنه، وظرف السبعة إنما هو بعد الرجوع فإن ذلك هو الظاهر من قوله: ﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ " [4]، فعلى هذا في حال عدم قدرته على جلب الأضحية أو انه يمر بضائقه مالية ذلك فيجب عليه جبران ذلك بصيام عشرة أيّام، يصوم ثلاثة أيّام منها (يوم السابع والثامن والتاسع من ذي الحجّة) في أيّام الحجّ، ويأتي بصيام سبعة أيّام بعد ذلك حين العودة إلى الوطن [5].

4 . الأيام المعدودة:ـ

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 1/ 249.

[2] ظ: زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي ،161/1.

[3] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 2/ 228.

[4] تفسير الميزان: الطباطبائي، 78/2.

[5] ظ: الأمثل: الشيرازي، 475/1.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ البقرة [203]

ولا خلاف بين العلماء أنَّ الأيام المعدودات في هذه الآية أيام منى، وهي أيام التشريق، وان هذه الثلاثة أسماء واقعة عليها، وهي أيام رمي الجمار وهي واقعة على ثلاثة أيام التي يتعجل الحاج منها في يومين بعد يوم النحر [1]، هذا أمر من الله تعالى للمكلفين أن يذكروا الله في الأيام المعدودات: وهي أيام التشريق: ثلاثة أيام بعد النحر، وهو قول ابن عباس، والحسن ومالك والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة، وهو قول ابن عباس أيضاً، وذكر الفراء: أن المعلومات: هي أيام التشريق، والمعدودات العشر؛ وسميت معدودات لأنها قلائل [2]،

فالأيام المعلومات أيام النحر الثلاثة، وهي اليوم العاشر ويومان بعده. والمعدودات أيام منى بعد يوم النحر، فاليوم العاشر من المعلومات لا من المعدودات، واليومان بعده من المعلومات والمعدودات، واليوم الرابع من المعدودات فقط، واحتجوا على ذلك في قوله تعالى:﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ الحج [28]؛لأن اليوم الرابع لا

[1] ظ: وجوه القرآن (معجم ألفبائي في الألفاظ المشتركة التي تحتمل عدة معان في القرآن الكريم) : أبي عبد الرحمن الحيري النيسابوري الضرير (ت/431هـ)، تح: جلال الأسيوطي، باب أيام معدودات، لبنان، 2011م.

[2] ظ: التبيان في تفسير القرآن: الطبرسي، 175/2.

نحر فيه ولا ذَبح إجماعاً[1]، ومن هذا القول نصل إلى أنَّ الأيام وظفت توظيفاً عبادياً آخر، فَجُعلت الأيامُ من شهر ذي الحجة ميقات لقائهِ وميعادِه بوصفه يوم الحج الأكبر ويوم عرفة.

المطلب الثاني: أحكام شرعية متنوعة:ـ ويمكن بيانه من خلال الآتي

أولاً: عدة المتوفى عنها زوجها:ـ

قد ينتهي الزواج بالطلاق أو بوفاة أحد الزوجين، فالشريعة الإسلامية عندئذٍ تفرض على المرأة مدة شرعية تعتدّ فيها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة [234]، اتفق العلماء كافة على أنَّ آية التربص نزلت في حق المتوفى عنها زوجها عن مدة قدرها وهي أربعة أشهر وعشراً، بالإسناد الى النص القرآني.

ولعل هناك وجهاً من الحكمة في زيادة العشرة أيام أنه يبين صحة الحمل بنفخ الروح فيه، عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً [نطفة]، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح[2].

---

[1] ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 291/2، البيان في مذهب الإمام الشافعي: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت/ 558هـ)، قاسم محمد النوري الناشر، دار المنهاج، ط1، 2000 م، 430/4.

[2] ظ: زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، 209/1، سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، 446/4.

أ. القول في زيادة العدد ﴿ وَعَشْرًا ﴾

"وقال: وَعَشْراً ولم يقل: **(عشرة)** وذلك أن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي حَتَّى إنهم ليقولون: قد صمنا عشراً من شهر رمضان؛ لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره كانت الإناث بطرح الهاء، والذّكران بالهاء كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ ﴾ الحاقة [7]" [1]، "إنما أنَّثَ العشر؛ لأنه أراد المدد أي عشر مدد كل مدة يوم وليلة"[2]، و يقول الرازي(ت/606هـ): إنَّ اللفظ ﴿ وَعَشْرًا ﴾ ورد بصيغة التأنيث مع إن المراد به الأيام لعدة وجوه الأوَّلُ: تَغْلِيبُ اللَّيالِي عَلى الأيّامِ؛ وذَلِكَ أنَّ ابْتِداءَ الشَّهْرِ يَكُونُ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمّا كانَتِ اللَّيالِي هي الأوائِلَ غُلِّبَتْ؛ لِأنَّ الأوائِلَ أقْوى مِنَ الثَّوانِي، قالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: يَقُولُونَ: صُمْنا خَمْسًا مِنَ الشَّهْرِ، فَيُغَلِّبُونَ اللَّيالِيَ عَلى الأيّامِ، إذْ لَمْ يَذْكُرُوا الأيّامَ، فَإذا أظْهَرُوا الأيّامَ قالُوا: صُمْنا خَمْسَةَ أيّامٍ، الثّانِي: أنَّ هَذِهِ الأيّامَ أيّامُ الحُزْنِ والمَكْرُوهِ، ومِثْلُ هَذِهِ الأيّامِ تُسَمّى بِاللَّيالِي عَلى سَبِيلِ الِاسْتِعارَةِ، كَقَوْلِهِمْ: خَرَجْنا لَيالِيَ الفِتْنَةِ، وجِئْنا لَيالِيَ إمارَةِ الحَجّاجِ، والثّالِثُ ذَكَرَهُ المُبَرِّدُ: وهو أنَّهُ إنَّما أنَّثَ العَشْرَ؛ لِأنَّ المُرادَ بِهِ المُدَّةُ، مَعْناهُ: وعَشْرُ مُدَدٍ، وتِلْكَ المُدَّةُ كُلُّ مُدَّةٍ مِنها يَوْمٌ ولَيْلَةٍ، الرّابِعُ: ذَهَبَ بَعْضُ الفُقَهاءِ إلى

[1] معاني القرآن وإعرابه: الزجاج ،151/1.

[2] معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، 281/1.

ظاهِرِ الآيَةِ، فَقالَ: إذا انْقَضى لَها أرْبَعَةُ أشْهُرٍ وعَشْرُ لَيالٍ حَلَّتْ لِلْأزْواجِ، فَيَتَأوَّلُ العَشَرَةَ بِاللَّيالِي، وإلَيْهِ ذَهَبَ الأوْزاعِيُّ وأبُو بَكْرٍ الأصَمُّ [1]

والعلة من وراء زيادة تلك العشر أيام على الأربعة أشهر؛ لان في هذه المدة المحددة يتم التحقق من تحرك الجنين تحركاً بيناً، فإذا مضت هذه المدة حصل اليقين بانتفاء الحمل؛ إذ لو كان ثمة حمل لتحرك لا محالة، وهو يتحرك لأربعة أشهر، وزيدت عليها العشر احتياطاً لاختلاف حركات الأجنة قوة وضعفاً، باختلاف قوى الأمزجة [2].

ب . الحُكمْ في العدة :ـ

يُحكى لنا أنَّ العدة كانت في بداية الإسلام سنةً كاملة، ثم رُدت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام لتتحقق براءة الرحم عن ماء الزوج، ثم إذا انقضت العدة أبيح لها التزوج بزوجٍ آخر [3]، وتتربص بنفسها أربعة اشهر وعشراً أي من الليالي، وهذا في غير الحوامل أما الحوامل فعدّتهن أن يضعن حملهن بآية (الطلاق)[4]، والقول في ذلك عند فقهاء الإمامية : إن عدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل ، والأربعة أشهر وعشرة أيام، فان مضت الأربعة والعشرة قبل الوضع اعتدت بالوضع، وان وضعت قبل مضي الأربعة والعشرة اعتدت بالأربعة والعشرة [5].

---

[1] ظ: مفاتيح الغيب: الرازي، 466/6.

[2] ظ: التحرير والتنوير :ابن عاشور،442/2، إرشاد العقل السليم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى 232/1.

[3] ظ: لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت/ 465هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 185/1.

[4] ظ: تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، 51.

[5] ظ: تفسير الكاشف:محمد جواد مغنية، 362/1.

ج . وجه الحِكمّة في العدّة:.

سُئِلَ أبو الحسن الثاني (عليه السلام) كيف صارت عدة المطلقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أشهر وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا؟ قال: أما عدة المطلقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر فلاستبراء الرحم من الولد، وأما المتوفى عنها زوجها، فان الله تعالى شرط للنساء شرطا فلم يحلهن فيه وفيما شرط عليهن، بل شرط عليهن مثل ما شرط لهن، يعني: إذا توفى عنها زوجها فأوجب عليها إذا أصيبت بزوجها وتوفي عنها مثل ما أوجب عليها في حياته إذا آلى منها، وعلم أن غاية صبر المرأة أربعة أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجب عليها ولها" [1].

"فَفي شَرْعِ العِدَّةِ عِدَّةُ حِكَمٍ: مِنها العِلْمُ بِبَراءَةِ الرَّحِمِ، وأنْ لا يَجْتَمِعَ ماءُ الواطِئَيْنِ فَأكْثَرُ في رَحِمٍ واحِدٍ، فَتَخْتَلِطُ الأنْسابُ وتَفْسُدُ وفي ذَلِكَ مِن الفَسادِ ما تَمْنَعُهُ الشَّرِيعَةُ والحِكْمَةُ، وَمِنها تَعْظِيمُ خَطَرِ هَذا العَقْدِ، ورَفْعُ قَدْرِهِ، وإظْهارُ شَرَفِهِ" [2].

ومن هذا نستنتج أنَّ الله تعالى فرض على اللائي يتوفى عنهن أزواجهن عدة أمدها (أربعة اشهر وعشرة) حفاظاً لإنساب الأموات، وقد اختلفت الآراء في العشرة هل هي أيام أو ليالي؟ وانسب الأقوال لدي: عشر ليالي تَغْلِيبُ اللَّيالِي عَلى الأيّامِ؛ وذَلِكَ أنَّ ابْتِداءَ الشَّهْرِ يَكُونُ مِنَ اللَّيْلِ والله اعلم..

---

[1] ظ: علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، 496/2.

[2] إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/ 751هـ) ،تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1، 1991م، 50/2.

ثانيا ـ كَفّارةُ الحلف الكاذب:ـ

الحلف الكاذب يترتب عليه التوبة والاستغفار، والبحث يدور على قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡ﴾ المائدة [89]، فالخصال الثلاث دارت على التخيير والصيام كان أقصاها والحَلِفُ: هو القَسَمُ لُغَتَانِ، حَلَفَ أَي أَقْسَم يَحْلِفُ حَلْفاً وحِلْفاً وحَلِفاً ومَحْلُوفاً، وَيَقُولُونَ: مَحْلُوفةً بِاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ، يَنْصِبُونَ عَلَى إِضْمَارِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ مَحْلُوفةً أَي قَسَماً[1]، "والْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ مُنْفَعِلَةٌ مِنَ الْعَقْدِ، وَهِيَ عَقْدُ الْقَلْبِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَلَّا يَفْعَلَ فَفَعَلَ، أَوْ لَيَفْعَلَنَّ فَلَا يَفْعَلُ كَمَا تَقَدَّمَ" [2]، "والحِنْثُ: (الخُلْفُ فِي اليَمِينِ) وَفِي الحَدِيث: (اليَمِينُ حِنْثٌ أَو مَنْدَمَةٌ) الحِنْثُ فِي اليَمِين: نَقْصُها، والنَّكْثُ فِيهَا، وَهُوَ من الحِنْثِ: الإِثم، يَقُول: إِمّا أَنْ ينْدَمَ على مَا حَلَفَ" [3]، والكفَّارة اصطِلاحًا: "ما يُخرجُه الحانث في يَمينِه: من إطعامٍ أو كسوةٍ أو عتق؛ تكفيرًا لِحِنْثه في يَمينِه؟ [4]، قسّم الإمام الصادق (عليه السلام) اليمين إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] ظ: لسان العرب: ابن منظور 9/ 53.

[2] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 6/ 226.

[3] تاج العروس: الزبيدي، 5/ 223.

[4] المفردات في غريب القرآن:الراغب الاصفهاني،717، موسوعة الفقه الإسلامي : محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية ط1، 2009 م، 5/ 262.

«الأيمان ثلاثة: يمين ليس فيها كفارة، ويمين فيها كفارة، ويمين غموس توجب النّار، فاليمين التي ليس فيها كفارة: الرجل يحلف بالله على باب برّ أن لا يفعله فكفارته أن يفعله، واليمين التي تجب فيها الكفارة: الرجل يحلف على باب معصية أن لا يفعله فيفعله فتجب عليه الكفارة، واليمين الغموس التي توجب النّار (ذا حلف الرجل على مال امرئ مسلم أو على حقه ظلما، فهو يمين غموس يوجب النار ولا كفارة عليه في الدنيا)[1]، وعند تفسير الآية يرى الماوردي: فَجَعَلَ اللَّهُ الصَّوْمَ بَدَلًا مِنَ المالِ عِنْدَ العَجْزِ عَنْهُ، وجَعَلَهُ مَعَ اليَسارِ مُخَيَّرًا بَيْنَ التَّكْفِيرِ بِالإطْعامِ، أوْ بِالكُسْوَةِ، أوْ بِالعِتْقِ، وفِيها قَوْلانِ: أحَدُهُما: أنَّ الواجِبَ مِنها أحَدُها لا يُعَيِّنُهُ عِنْدَ الجُمْهُورِ مِنَ الفُقَهاءِ [2]

ويكونَ "الْمَعْنَى عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، إِذَا أَتَيْتُمْ بِالْيَمِينِ ثُمَّ أَلْغَيْتُمُوهَا- أَيْ أَسْقَطْتُمْ حُكْمَهَا بِالتَّكْفِيرِ وَكَفَّرْتُمْ- فَلَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا أَقَمْتُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ تُلْغُوهُ، أَيْ فَلَمْ تُكَفِّرُوا، فَبَانَ بِهَذَا أَنَّ الْحَلِفَ لَا يُحَرِّمُ شَيْئًا" [3]

وبما أنَّ الصوم صار احدَ خيارات النكث في الحلف فلا بد من معرفة العلة وراء ذلك الصوم ولما قال ثلاثة أيام؟

ولعل هناك هدفاً حقيقياً وغاية أقصاها الوصول إلى المراد من الصوم بصورة عامّة حيث فوائد الصوم تعود على صائمه بخصال جمة، منها إنه يغفر الذنوب ويقرب العبد من ربه وفي أحاديث متفق عليها الصيام سبب لمغفرة الله عزّ وجلّ لذنوب عباده. وأما القول في تخصيص العدد ثلاث لا أكثر ولا أقل، فلم يتطرق له أحد ولم أجد له

[1] ظ: الفروع من الكافي: 439/7.
[2] ظ: النكت والعيون: الماوردي،2/ 62.
[3] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 265/6.

مخرجاً إلا بوصفه محدد زمنياً للأفعال العبادية فهي مسألة *توقيفية غير محددة العلة والله أعلم.

ثالثاً: الصدقة:ـ

قال العلاّمة الأصفهاني(ت/502هـ): "الصدقة ما يُخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكنّ الصدَّقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمَّى الواجب صدَّقة إذا تحرّى الصدق في فعله" [1]. تعود بفوائد عظمى للمتصدق لا تقتصر على قدر المال بل جميع ما يحتاجه المحتاج فبها نعم جمّةٌ يصيب صاحبها بالحظ الأوفى (رضى الخالق وثوابه الجزيل)، بالرغم من إنّه مخيّر في اعطائِها غير مجبر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ **البقرة [274]**، فالإنفاق يقتضي طريقين: إما أن تنفق سراً، وإما أن تنفق علانية. وزمانه هو الليل أو النهار.

قَالَ ابْن عَبَّاس: في سبب نزول الآية المباركة إنها في حق عَليّ بن أبي طَالب (عليه السلام)، كَانَت لَهُ أَرْبَعَة دَرَاهِم، فَتصدق بدرهم بِاللَّيْلِ، وَدِرْهَم بِالنَّهَارِ، وَدِرْهَم فِي السِّرّ، وَدِرْهَم فِي (العلن) ؛ فَنزلت الْآيَة رضَا بِفِعْلِهِ، وثناء عَلَيْهِ [2]، بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا

*هو ما اتى به الشرع وليس لأحد الزيادة عليه أو الأنقاص ولا الاجتهاد فيه.

[1] المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، 365.

[2] ظ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، 1/ 371.

وَعَلانِيَةً يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال [1].

وعلى الرغم من أنَّ سبب النزول خاصّ ، إلا إنها عامة في حكمها و فِي جَمِيعِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْفَاظُ الْآيَةِ ، فَلَمْ يُبَيِّنْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَفْضَلِيَّةَ الصَّدَقَةِ فِي أَحَدِ الزَّمَانَيْنِ، وَلَا فِي إحْدَى الْحَالَتَيْنِ اعْتِمَادًا عَلَى الْآيَةِ قَبْلَهَا، وَهِيَ: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ أَوْ جَاءَ تَفْصِيلًا عَلَى حَسَبِ الْوَاقِعِ مِنْ صَدَقَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَصَدَقَةِ عَلِيٍّ، وَقَدْ يُقَالُ: إنَّ تَقْدِيمَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، وَالسِّرِّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ يَدُلُّ عَلَى تِلْكَ الْأَفْضَلِيَّةِ، وَاللَّيْلُ مَظِنَّةُ صَدَقَةِ السِّرِّ، فَقَدَّمَ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَتِ الصَّدَقَةُ فِيهِ أَفْضَلَ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا أَفْضَلَ[2] .

وبقَوْلُـهُ تعـالى يُفِيـدُ زِيـادَةَ رَغْبَـتِهِمْ فـي الإنْفـاقِ وشِـدَّةَ حِرْصِـهِمْ عَلَيْـهِ حَتّـى أنَّهـم لا يَتْرُكُـونَ ذَلِـكَ لَـيْلًا ولا نَهـارًا، ويَفْعَلُونَـهُ سِـرًّا وجَهْـرًا عِنْـدَ أنْ تَنْـزِلَ بِهِـمْ حاجَـةُ المُحْتاجِينَ، في جَمِيعِ الأزْمِنَةِ عَلى جَمِيعِ الأحْوالِ[3].

وحصر الله – تعالى – الزمان والحال في أمرين: الليل والنهار فالحق سبحانه استوعب زمن الإنفاق ليلاً ونهاراً، واستوعب أيضاً الكيفية التي يكون عليها الإنفاق سراً وعلانية؛ ليشيع الإنفاق في كل زمن بكل هيئة، وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى عن هؤلاء:﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾، وهذا القول يدل على عموم من يتأتى منه الإنفاق ليلاً أو نهاراً، سراً أو علانية [4]، "والسر والعلانية متقابلان وهما حالان من ينفقون والتقدير مسرين ومعلنين ، واستيفاء الأزمة والأحوال في الإنفاق للدلالة على اهتمام هؤلاء

---

[1] مفاتيح الغيب:الرازي 1/ 319.

[2] ظ: البحر المحيط: أبو حيان الاندلسي، 2/ 701.

[3] ظ: فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ،1/ 336.

[4] ظ: تفسير الشعراوي: 1181/2.

المنفقين في استيفاء الثواب، وإمعانهم في ابتغاء مرضاة الله ، وإرادة وجهه ، فوعدهم وعدا حسنا بلسان الرأفة والتلطف فقال :﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1] .

ويقول ابن عثيمين (ت/ 1421هـ): من فوائد الآية: الثناء على الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله سواء كان ليلاً، أو نهاراً، أو سراً، أو جهاراً، أن الإنفاق يكون سبباً لشرح الصدر، وطرد الهمّ، والغمّ؛ لقوله تعالى:

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة [274]؛ وهذا أمر مجرب مشاهد أن الإنسان إذا أنفق يبتغي بها وجه الله انشرح صدره، وسرت نفسه، واطمأن قلبه [2]، فالمنفق يجب عليه مراعاة الجوانب الأخلاقية والإجتماعية في إنفاقه اللّيلي أو النهاري العلني أو السرّي ، فحين لا يكون ثمّة مبرّر لإظهار الإنفاق على المحتاجين فينبغي أن يكون في الخفاء لحفظ كرامة المحتاجين وتركيزاً لإخلاص النيّة وإذا تطلّبت المصلحة إعلان الإنفاق كتعظيم الشعائر الدينيّة والترغيب والحثّ على الإنفاق دون أن يؤدّي ذلك إلى هتك حرمة أحد من المسلمين [3]، ويتضح لي: أن الباري (جل وعلا) قدم الليل على النهار والسر على العلانية لما فيها من صدق وقربة من الله تعالى والابتعاد عن الرياء الذي قد يرافق صدقة العلن والنهار.

---

[1] تفسير الميزان: الطباطبائي 340/2.

[2] ظ: تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت/ 1421هـ)، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423 هـ،373/3.

[3] تفسير الأمثل: الشيرازي، 150/2-151.

خاتمة البحث

آن لي – وبلطف الله وكرمه – أن اقطف ما جنيته من ثمار هذه الرحلة المباركة في كتابه العزيز:

- أغلب الأيام الواردة في القرآن لا تقارن باليوم الفيزيائي ذي الأربع والعشرين ساعة بل تدل على حدث ما وواقعة ما فيُعبر عنها بقطع من الزمان. فان دوران الأرض هو مرجع الإنسان الأول في قياس الزمن في هذا الوجود الذي هو فيه " ومقدار هذا اليوم هو أربع وعشرون ساعة في زماننا الحاضر ولكن هذا القياس ليس ثابتا إنما يعتمد على سرعة دوران الأرض حول نفسها فكلما زادت السرعة قلت ساعات اليوم
- ارتبطت معظم العبادات في التشريع الإسلامي بمواعيد زمنية محددة وثابتة، لا تتحقق إلا عن طريق الالتزام بها، فالتوقيتُ شرطٌ لصحة بعض العبادات، وأيام العبادات تدل على يومنا الحالي، وبما أن اليوم يكون ناتجاً من نهار وليل؛ فالآخر هو كـ (ليلنا) أيضا.
- يومُ الدنيا يختلف تماما عن يوم الآخرة، بواقع الآية أَنَّ يوماً كألف سنة؛ لإنَّ الله تعالى لا يجري عليه طارئ الزمان فالمستقبل بالنسبة له حدث وماضي حاصل في علم الله ودون في أم الكتاب وخير دليل قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ)و (وَبُـرِّزَتِ الجحيم لِلْغَاوِينَ)،و (وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ) فعروج الملائكة بيوم كان مقداره خمسين الف سنة

فاليوم بخمسين الف سنة بالنسبة للملائكة والروح فيكون بهذا لهم تقويم زمني مختلف عن تقويمنا ومثله عند ملائكة التدبير فيوم بألف سنة فكل شيء ما عدا الله يجري عليه طارئ الزمان.

- الليالي سابقةٌ على الأيام كون الظلمة خلقت قبل النور.
- **مداولةُ الأيام** هي مداولةٌ للأزمان واليومُ هو ظَرْفُ زمانٍ، وظرف الزمان لا بُدَّ له من حَدثٍ يقع فيه. و التداول الذي يحصل بين الأيام والليالي والذي يُعدّ سنة من السنن الإلهية، وبعد الخوض في غماره يتضح لنا القصد من الأيام (أيام التداول)، فربما يكون يمتد الى سنوات ـ أي ـ يختلف باختلاف السياق القرآني والغاية المُبتغاة منه . فهو قطع من الزمان و وقت من الأوقات، وظروف زمنية محددة تبين وقوع فعل ما أو حدث ما ـ أي ـ فيوم لهذا ويوم لذلك فالأيام التي استعملت هنا انتقلت من معناها الزمني إلى معنى آخر، وهو السلطة والقدرة والتحكم، الفرق بين سنن الكون والسنن الاجتماعية، فالكونية شملت الماديات وظواهر الطبيعية من ليل ونهار، شمس وقمر، ...الخ، أما الاجتماعية حال تبديل الإنسان من ثواب وعقاب ما قبل يوم الحساب، وأما الليل فهو في متداول مع النهار، بوصفه ليل فيزيائي ناتج من دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس.
- أيامُ الخلق، البتة ليس كيومنا الحالي؛ لإن خلق السماوات والأرض لم يكن ليلاً ولا نهاراً ليقال: خلقت السماوات والأرض فيهما؛ لأنّ الليل والنهار ناشئان من دوران الأرض حول نفسها في مقابل الشمس. فالمراد باليوم: برهة من الزمان دون مصداق اليوم الذي نعهده ونحن على بسيط أرضنا هذه وهو مقدار حركة الكرة الأرضية فاليومان اللذان خلق الله فيهما الأرض قطعتان من الزمان تم فيهما تكون الأرض أرضا تامة ، وفي عدهما يومين لا يوما واحدا دليل على أن

الأرض لاقت زمان تكونها الأولي مرحلتين متغايرتين كمرحلة النيء والنضج أو الذوبان والانعقاد أو نحو ذلك.

- جاء القسمُ ضرباً من ضروب التعظيم والتبجيل بالأيام والليالي.
- فأيام القصص التي يحكي بها تعالى عن قصة قوم معينين فاليوم يريد به مقداراً من الزمان فيه أمر ظاهر سواء أكان بلحظة، أو بساعة، أو بيوم، أو شهر، أو أكثر أو أقل، وبحسب السياق، فعاد سُلط عليهم ابسط الأشياء ألا وهي: الرياح التي استمرت ثمانية أيام، أنّ الله قادر على كل شي قادر على القضاء عليهم بلمح البصر ولكن هناك حكمة فأين قوتهم وعتوهم؟ اذ تم نفيهم بالرياح، اما فصالح (عليه السلام) من الأنبياء القائمين بدعوة التوحيد ضد عبادة الأوثان وذُكرت في قصته (ثلاث أيام) وبهذا يكون استعمال التوظيف القرآني لمفردة (الأيام) هنا ما قبل نزول العذاب وعبر عن الأيام بلياليها وأعطى صفة ذلك اليوم بعلامة ظاهرية على وجوههم وعداً غير مكذوب، إما في قصة موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل عبر عن الأيام والليالي بما يلائم اليوم المعاش وكان سببه تلقي الألواح وحصل الخلاف في تعيين المدة والتي أُجملت في سورة البقرة (أربعين ليلة)، وفصلت في سورة الأعراف (ثلاثين ليلة)، واصلح الأقوال هي التي تقول: العله ذكر الليالي دون الأيام – مع أن موسى مكث في الطور الأربعين بأيامها ولياليها، والمتعارف في ذكر المواقيت والأزمنة ذكر الأيام دون الليالي؛ لأن الميقات كان للتقرب إلى الله سبحانه ومناجاته وذكره، وذلك أخص بالليل وأنسب لما فيه من اجتماع الحواس عن التفرق وزيادة تهيؤ النفس للأنس وقد كان من بركات هذا الميقات نزول التوراة.

ثبت

المصادر والمراجع

خيرُ ما نبتدئ به، القُرْآنُ الكريمُ

أ . المصادر والمراجع

1. أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت/ 1307هـ)، دار ابن حزم، ط1، 2002م.
2. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت/ 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1974 م.
3. أحكام القران، أبو بكر احمد علي الرازي الجصاص(ت/370هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، لبنان، دار الكتب العلمية، 1971م.
4. أحكام القرآن الكريم، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري بالطحاوي (ت/ 321هـ) ،تح :سعد الدين أونال ، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول ،ط1، 1995 م.
5. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت/982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
6. الأزمنة والأمكنة، احمد بن محمد أبو علي المزروفي (ت/ 1277هـ)، مطبعة حيدر اباد.
7. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت/ 468هـ)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام ،ط2 ، 1992م.

8. الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي(ت/ 329 هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط3، 1388هـ، ط3.

9. أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت/1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، لبنان،1995 م.

10. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/ 751هـ) ،تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1، 1991م.

11. ألفاظ الزمان بين اللغة والقرآن، كاظم الراوي، مجلة آداب المستنصرية، العدد 4، 1979م.

12. الفقه على المذاهب الخمسة: محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، الطبعة الأخيرة ، 2000م .

13. الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت/ 381 هـ)، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1417هـ.

14. أمالي الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت/460هـ)، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، 1964م.

15.الأمثل فـي تفسير كتـاب الله المنـزل، ناصـر مكـارم الشـيرازي، مؤسسـة الاعلمـي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2013م.

16.أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ١٤١٨ هـ.

17. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 2003م.

18. بحـار الأنـوار، محمـد بـاقر المجلسـي(ت/1110هـ)، دار أحيـاء التـراث العربـي، بيروت، د. ت.

19. بحـر العلـوم، أبـو الليـث نصـر بـن محمـد بـن أحمـد بـن إبـراهيم السـمرقندي (ت 375هـ)،تح: علـي محمـد معوض وعـادل احمـد عبـد موجز، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط1، 1993م.

20. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت/ 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.

21.بدائع الفوائد: حمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/ 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

22.البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت/ 774هـ)، دار الفكر، 1986 م.

23.البرهـان فـي تفسـير القـرآن، هاشـم الحسـيني البحرانـي (ت/ 1107هـ)، مؤسسـة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2006م.

24.البرهـان فـي علـوم القرآن، أبـو عبـد الله بـدر الـدين محمـد بـن عبـد الله بـن بهـادر الزركشي (ت/ 794هـ) تـح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957 م.

25. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت/ 817هـ) تـح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،1992م.

26. البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت/ 558هـ)، قاسم محمد النوري الناشر، دار المنهاج، ط1، 2000 م.

27.تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت/ 1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

28.تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت/ 310هـ)، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.

29. تأريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء ، مصر ،ط1، 2002 م.

30. تـأويلات أهل السنة، أبـو منصـور محمـد بـن محمـد بـن محمـود الماتريـدي (ت/ 333هـ)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005 م.

31. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت/460هـ)، تح: احمد قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
32. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت/ 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 م.
33. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي (ت/ 1426هـ)، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، 1339هـ.
34. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت/741هـ)، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
35. كتاب التعريفات، الشريف الجُرْجَانِيّ (ت/816هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.
36. تعيين أوائل الشهور العربية باستعمال الحساب، حسين كمال الدين، السعودية، دار عكاظ، ط1، 1979م، 144. الوقت والتوقيت، عبد السميع الهروي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.
37. تفسير أبي علي الجبائي(ت/303هـ)، تح: خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
38. التفسير التربوي للقرآن العظيم، أنور الباز، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2007م.

39. تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت/ 864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت/ 911هـ)، دار الحديث ، القاهرة، ط1.

40. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت/ 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

41. تفسير العياشي، أبو النصر محمد بن مسعود ابن عياش السمرقندي (ت/ 401هـ)، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1.

42. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت/ 1421هـ) ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423 هـ.

43. تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري ابن أبي زَمَنِين المالكي (ت /٣٩٩هـ) تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، ط1، 2002م.

44. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت/ 774هـ) تح: محمد حسين شمس الدين الناشر، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419 هـ.

45. تفسير القرآن العظيم، أبو القاسم بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت/ 360هـ)، تح: هشام بن عبد الكريم الموصلي، ط2.

46. تفسير القرآن الكريم «سورة النور»، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط1، ١٤٣٦ هـ.

47. تفسير القرآن الكريم(تفسير شبر)، عبدالله شبر(ت/ 1242هـ)، شركة مكتبة الألفين، الكويت، ط1، 2006م.
48. تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/ 751ه)، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410 ه.
49. تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي (ت/ 489هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، السعودية، ط1، 1418ه، 1997م.
50. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت/1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
51. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(ت/329)، تح: مؤسسة الأمام المهدي(عجل الله فرجه)، قم، ط1، 1435ه.
52. تفسير القرآن الكريم «سورة النور»، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط1، ١٤٣٦ ه.
53. تفسير القرآن الكريم(تفسير شبر)، عبدالله شبر(ت/ 1242هـ)، شركة مكتبة الألفين، الكويت، ط1، 2006م.
54. تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/ 751ه)، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410 ه.

55. تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي (ت/ 489هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، السعودية، ط1، 1418هـ، 1997م.
56. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت/1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
57. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(ت/329)، تح: مؤسسة الأمام المهدي(عجل الله فرجه)، قم، ط1، 1435هـ.
58. تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت/1979م) ،دار الأنوار، بيروت، ط4.
59. التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، 1412 هـ.
60. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (ت/ 1354هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م.
61. تفسير المنسوب للإمام العسكري، تح: مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، قم، ط2، 1433هـ.
62. تفسير النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت/ 450هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، لبنان.
63. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، ط1.

64. تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمّد الجنابذي(ت/ 1327هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2.

65. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت/ 150هـ)، تـح: عبـد الله محمـود شـحاته، دار إحيـاء التـراث، بيـروت ، ط1، 1423 هـ.

66. تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت/1112هـ)، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، د. ت.

67. التقـويم الأرضـــي: زكـــي الشـــمايله الأبراهيمـــي، الآن ناشـــرون وموزعـــون، ط1، 2019م.

68. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت/ 1031هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.

69. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت/ 1376هـ) تـح: عبـد الـرحمن بـن معـلا اللويحـق، مؤسسـة الرسـالة، ط1، 2000 م.

70. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت/310هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م.

71. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت/ 905هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004 م.

72. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت/ 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964 م.

73. جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، احمد بن حمد الخليلي، دار جريدة عمان للطباعة والنشر، عمان، 1988م.

74. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت/ 875هـ)، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ.

75. حسن المدد في معرفة العدد، برهان الدين إبراهيم الجعبري(ت/732هـ)، تح: بشير بن الحسن الحميري، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، 1413هـ.

76. دائرة المعارف الكتابية، تحرير: منيس عبد النور وأندريه زكي وأنور زكي، دار الثقافة، ط1.

77. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت/911هـ)، دار الفكر، بيروت.

78. دقائق التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت/ 728هـ)، تح: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط2، 1404هـ.

79. ديـوان النابغـة الـذبياني، نقـلا عـن ديـوان الشـعراء الخمسـة، الهـلال، مصـر، 1911م.

80. ديوان طرفة بن العبد: طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (ت/ 564 م)، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 2002 م.

81. ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين، روبن فايرستون، المحرر: الحاخام جيمز أ. رودين، ترجمة: عبدالغني بن إبراهيم، تحرير الترجمة العربية و تنقيحها: وصفي كيلاني و د. إران ليرمان، معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية.

82. ذكرى الشيعة في أحكام الشّريعة، محمّد بن جمال الدّين مكّي العاملي الجزيني(ت/786هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط1.

83. رسائل المحقق الكركي، علي بن حسين الكركي(ت/ 940هـ)، تح: محمد حسون، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ومكتب النشر الإسلامي، ط 1، 1409 هـ.

84. الرقم سبعة (7) أثره وإعجازه في القرآن والسنة النبوية الشريفة: بلعيد محاسن، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971م.

85. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، طباعة حسن عباس الشربتلي، مكتبة الغزالي دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط3، 1980م.

86. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (ت/ 1127هـ)، دار الفكر، بيروت.

87. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت/ 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

88. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت/ 597هـ) تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ .

89. الزمان الدلالي. دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، كريم زكي حسام الدين، دار غريب للطباعة والنشر، ط2، 2002م.

90. السماء والسموات في القرآن الكرم، عبد المجيد بن محمد الغيلي، منشور على موقع من رحى القرآن، 2015م.

91. سنة التداول ،محمد عماره، كتاب نُشر على المكتبة الشاملة بتاريخ 2008.8.13م.

92. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت/ 275هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

93. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.

94. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت/ 279هـ) تح: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1975م .

95. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت/ 458هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003 م.

96. السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي نور الدين ابن برهان الدين (ت/1044هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ.

97. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت/ 213هـ) ، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1955م.

98. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبي الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

99. الصافي في تفسير القرآن، محمد المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني(ت/ 1091هـ)، تح: محسن الحسيني الأميني، دار الكتب الإسلامية، ايران، ط1، 1419هـ.

100. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت/ 393هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1987،4م.

101. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،ط1، 1422هـ.
102. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997 م.
103. الضوء المنير على التفسير: ابن قيم الجوزية، تح: علي الحمد المحمد الصالحي، مؤسسة النور للطباعة، الرياض.
104. الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة، عبد الحليم عويس، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، العدد 21، 1408هـ.
105. الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن الكريم، عبد العليم خضر، الدار السعودية، جدة، 1984م.
106. عذاب النار وأهوال يوم القيامة،محمد الشعراوي(ت/1999م)، القاهرة، مطبعة النصر، ط1.
107. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت/ 1393هـ)، تح: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: 2، 1426 هـ.
108. العروة الوثقى فيما تعم به البلوى، محمد كاظم اليزدي(ت/1337هـ) ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 2، 1409 هـ.
109. علل الشرائع، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت/ 381 هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط1، 2006م.

110. عيون أخبار الرضا (ع)، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت/ 381هـ)، تح: حسين الأعلمي، 1984م.
111. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت/ 850هـ) تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416 هـ.
112. فتحُ البيان في مقاصد القرآن : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت/ 1307هـ)تح : خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1992 م.
113. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت/ 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.
114. الفروع من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت / 329هـ)، تح: علي أكبر الغفاري 1367 دار الكتب الإسلامية، 1367هـ.
115. الفروق في اللغة، الحسن أبو هلال العسكري (ت/ 395هـ)، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط3، 1997م.
116. فقه السنة، سيد سابق، ط 3، دار الكتاب العربي، 1977 م.
117. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي(ت/1966م)، دار الشرق، القاهرة، ط34، 2004م.
118. قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مكتبة المشغل، بيروت، ط6، 1981م.

119. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت/ 817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، مادة.
120. القرآن الكريم وأسرار العدد سبعة وأثره وإعجازه في القرآن الكريم والسنة النبوية، بلعيد محاسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
121. القرآن وليلة القدر، محمد لغزالي ومحمد طنطاوي واحمد عمر هاشم، د. ط.
122. قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت/ 774هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط1، 1968 م.
123. القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، جعفر السبحاني، مؤسسة الأمام الصادق، ايران، ط1، 1427هـ.
124. القيم الأخلاقية ودورها الحضاري في القصة القرآنية، مجلة الرواق، جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان – الجزائر، عدد9 لسنة2015م.
125. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني(ت/329هـ)، مطبوعات الفجر، بيروت، ط1، 2007م.
126. كتاب التهذيب(باب أوقات الصلاة)، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت/460هـ)، تح: علي اكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، ط1.
127. كتاب الحج، أبو القاسم الخوئي(ت/1991م)، لطفي، ط2.
128. كتاب الصلاة: الشيخ مرتضى أنصاري(ت/1281هـ)، تح: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم ط1، قم، 1415هـ، 30.

129. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت/ ١٧٠هـ)، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

130. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت/538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.

131. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت/ 427هـ) تح: أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002 م.

132. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي(ت/ 1094هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

133. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي المتقي الهندي (ت/ 975هـ)، تح: بكري حياني ، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة ، ط: 5، 1401هـ.

134. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن (ت/ 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.

135. اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت/ 775هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

136. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت/ 711هـ)، تـح: أمـين محمـد عبـد الوهـاب ومحمـد الصـادق العبيـدي، مؤسسـة الاعلمـي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2005م.

137. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت/ 465هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.

138. الليل في حياة العارفين بالله: بن سالم باهشم، كتاب ناشرون، بيروت، د. ت.

139. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2003 م.

140. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت/ 518هـ)، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

141. مجمـع البيـان فـي تفسـير القـرآن، أبـو علـي الفضـل بـن الحسـن الطبرسي(ت/548هـ)، دار العلوم، بيروت، ط1، 2006م.

142. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت/ 1332هـ) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1418 هـ.

143. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت/ 542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1422 هـ.

144. مركز دراسات الشرق الأوسط ، التلمود البابلي، الأردن، 2011م، ط1.

145. مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي (ت/660هـ)، باب الميم، ط1، دار صادر، بيروت، 2008م.
146. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ط11، 2010 م.
147. مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، أبو منصور الحسن بن يوسف الحلي(ت/726هـ)، تح: مؤسسة النشر الإسلامية، قم، ط3، 1433هـ.
148. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت/ 710هـ) تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998 م.
149. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت/1320هـ)، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، بيروت، ط1، 1987م.
150. مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت/241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م.
151. مع الله في السماء: احمد زكي، د. ط، د.ت.
152. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت/ 510هـ) تح: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997 م.

153. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت/ 510هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.

154. معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت/ 381هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، 1971م.

155. معانى القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي البصري، المعروف بالأخفش (ت/ 215هـ)، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1، : الأولى، 1990 م.

156. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت/ 311هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.

157. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات /حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة.

158. معجم متن اللغة، احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.

159. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا(ت/395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1979م.

160. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ١٤٢٠ هـ.

161. المفردات في غريب القرآن، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.

162. مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت/٥٠٢ هـ)،تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق، ط1، 1412هـ.

163.مقارنة الأديان : أحمد شلبي ، ط3 (1973م) مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

164. مقدمة تفسير البرهان، أبو الحسن ابن محمد طاهر العاملي (ت/1138هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 2006م.

165.مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت/ 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3.

166.المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط43، دار المشرق، بيروت، 2008م.

167. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي الصدوق (ت/ 381هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط 2، 1413 هـ.

168.منهج القرآن الكريم في مدح القلة وذم الكثرة، توفيق علي زبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

169. من هدي القرآن، محمد تقي المدرسي، دار القارئ، ط2، 2008م.

170. من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط 2، 1998م.

171. موسوعة الفقه الإسلامي ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية ط1، 2009 م.

172. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت/ 1982م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1997م.

173.موسوعة اليهود واليهودية: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، 2001م.

174. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت/ 885هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
175. نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي (عليه السلام)، ايران، ط1، 1426هـ.
176. نهج البلاغة : من كلام امير الكلام علي بن ابي طالب(عليه السلام) جمعه محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي(ت/406هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1408هـ.
177. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت/ 437هـ) ،تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، ط1، 2008م.
178. وجوه القرآن (معجم ألفبائي في الألفاظ المشتركة التي تحتمل عدة معان في القرآن الكريم)، ابو عبد الرحمن الحيري النيسابوري الضرير(ت/431هـ)، تح: جلال الاسيوطي، باب أيام معدودات، لبنان، 2011م.
179. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت/468هـ) تح: صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية، دمشق، ط1، 1415 هـ.
180. وسائل الشيعية، محمد بن الحسن الحرّ العاملي(ت/ 1104 هـ) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط3.

181. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت/ 468هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1994م.

ب . المجلات والمواقع الإلكترونية

1. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الجزء الثاني الاحتفال بالسر.
2. التوظيف القرآني في بعض خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الباحثان: جعفر علي، وجواد عوده، مجلة آهل البيت عليه السلام، العدد 9.
3. مصطلح «اليوم» ودلالاته في القرآن الكريم، د. عودة عبد عودة عبد الله، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، د.ط، د.ت.
4. بحث بعنوان: ماذا يعني الليل في الكتاب المقدس؟ بتاريخ 19-2022

https://alsina-sa.com/ar/biblia/que-significa-noche-en-la-biblia.html

5. محاضرة على اليوتيوب للدكتور مصطفى محمود بإسم اللغز الزمني، بتاريخ 1-11-2022.
6. مفهوم اليوم في القرآن: ملتقى أهل التفسير، مجموعة من المؤلفين، 2010م، بتاريخ 23-11-2021

https://al-maktaba.org/book/31871/16297#p22

Abstract

They are the verses of God that speak the clear scientific facts, the sphericality of the earth, its rotation and movement, from the Qur'anic facts that were proven by the Qur'an before an immemorial age and the passage of time. It is a cosmic phenomenon that is almost incomprehensible to humans, and in this research the angle of time was shed light on the days and nights, and by emulating the philosophy of times, the Holy Qur'an is one of the greatest approaches considered in serving humanity, and there is no doubt that the Qur'anic interpretation is important in its comprehensive objectivity to all The lofty meanings, he came with a fundamental constitution that goes along with all times and achieves the signs of salvation.

The plan was organized into a preface and three chapters, and the preface was titled: (Idiomatic Approaches to the Employment of the Three Days and Nights and their Philosophy in the Heavenly Religions). (Judaism, Christianity, and then Islam), with the difference in meaning.

The first chapter was entitled: (Dimensions of Quranic employment of the verses of days and nights), which included three sections. The first topic came under the title: The Legislative Dimension of Quranic Employment, and dealt with two aspects of devotional legislation (prayer, fasting, Hajj) and other miscellaneous provisions related to days and nights From (charity, the waiting period of her husband's death, penance for false oaths), and each of them has an influential moral dimension.

The second topic is entitled: (The Formative Dimension of Quranic Employment), highlighting the beginning of creation and whether it was created during the day or at night, and is our day similar to the six days of creation? He raised problems and tried to find solutions to them from within the blessed verses, and by attribution on the sayings of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), narrators and commentators, and balancing between sayings and giving.

And the third topic talks about: the nodal dimension of Quranic employment and the relationship of days and nights to the year of deliberation, and the circulation of days between people, including the fluctuation that occurs in the night and the day.

The second chapter came under the title: (Manifestations of Qur'anic Employment of Verses of Days and Nights), which consisted of three sections. The first: Manifestations of employment as conditions for temporal events. The nights and days in the Holy Qur'an were employed in spontaneous forms, and structures according to the Qur'anic contexts contained therein as being added days and described by several Attributes and circumstances of events, with an apparent effect for each.

The second topic: revolves around the dialectic of nights and days, and the dispute occurred between them, which of them is earlier than the other, and I dealt with vivid examples from the Holy Qur'an, such as curling and flaying.

And the third topic: It talks about the symbolism of the nights and days, as they became examples, symbols and live applications, and the famous nights and days were mentioned.

The third chapter was entitled: (Association of Days and Nights with Qur'anic Stories), which consists of a preface and three sections. .

The second topic is about the story of the people of Thamud, in which I talked about their lineage as well, their residence, the miracle of their Prophet, their violation of his orders, the torment and its duration.

As for the third topic, the days and nights were added in the story of the Children of Israel, so the content of the discussion revolved around the forty nights and the purpose of the meeqaat, when it was revealed as a whole and another in detail as thirty and increased by ten, and the reason for mentioning the night is not the day.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon
College of Islamic Sciences
Department of Quranic Science

The Qur’anic interpretation of the verses of the days and nights (fluency study)

A study submitted

to the Council of the College of Islamic Sciences at the University of Babylon
It is part of the requirements for obtaining
a master's degree in Qur'anic sciences

A thesis by

Bushraa yas khudir Einad

Supervised by

Assist Prof Dr. Riyad Hammoud Al-Malki

1444 AH 2022 .A.D